التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

Yanabee'a

ينابيع

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٥٧ ٥٨

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهْلِ البَيْت عليهم السلام/ السَّنة ١١/ العَدَدان٥٧-٥٨ رجب ـ شوال ١٤٣٥هـ/ أيار ـ آب ٢٠١٤م

صلح الإمام الحسن (ع) في فكر المستشرقين

مقام الإمام زين العابدين (ع) .. استطلاع مصور

٥٧ ينابيع ٥٨
Yanabee'a

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام
تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية
1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
فلاح حسن العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

التدقيق ومراجعة النصوص
ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي
أمير محمد العنكوشي

العراق ـ النجف الأشرف ـ حي السعد
العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org
البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com
ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

الرائد للطباعة ـ النجف الأشرف

استطلاع مصور:
مقام الإمام زين العابدين (عليه السلام)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦
مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م
مسجلة في المركز الدولي للمطبوعات برقم ISSN 2305-591X

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

قصيدة: (بوح)

قصيدة في الإمام الحسين عليه السلام

للشاعر: مسلم الناصري •

يا ثَوبَ صَبْري ما الَّذي أبْلاكا ... لا تفضحنّي ليس لي إلّاكا
فاستُر لِحالي ما أُحاذِرهتكه ... واحْفَظْ على المَفْتونِ ما استرعاكا
أذعتُ إلى الأنامِ سرائري ... ما كُنتَ تَعْرفُ قَبْلَ ذا هتّاكا
فأجابني صَبري بِنَبرةِ جازعٍ ... إيّاكَ لَوْمي صاحِبي إيّاكا
بَلْ هَلْ سَمِعْتَ بِعاشِقٍ كَتَمَ الهَوى ... كَيْما تُطالِبُني بِسترِ هواكا
إنَّ الغرامَ كما الُمدامةُ شأنهُ ... إنْ لم تُذِعْهُ تَبُحْ بِهِ عَيْناكا
دَعْنا نَبُحْ للعالمين بِحُبِنا ... وارفَعْ بِحُبِك للحُسينِ نِداكا
فَمَضَيتُ أكتُبُ للحَبيبِ قَصائِدي ... فاقبلْ صَغيرًا ياكَبيرُ أتاكا

هـَـذي القَـوافي يا حُسين نَظَمْتُهـا ... وَهَـل القَوافي تَحتَوي مَعْناكا

* * * *

يا أيُّها الوجـهُ المُضـيءُ بِدربِنـا ... بَهَـرَ النفـوسَ بنـورهِ مَرْآكـا
أعطيـتَ رَبَّكَ خـيرَ ما أعطيتَـه ... حتى طغى فوقَ الوجودِ نِداكـا
فَلِـذاكَ أعطـاكَ الُمهيـمِنُ مِنَّـة ... تاج الُملـوكِ وفَوقَهُـم عَلّاكـا
وملكـت ألْبـابَ الورى فإذا بِهِـم ... في الحُـبِّ قَـدْ صَيَّرتَهُم أسْراكـا
لَـوِّن أبا الأحـرارِ بالدم عِزَّنـا ... فالعـزُّ لم نُبصِـر بـِهِ لوْلاكـا
واكتُبْ أَناشـيدَ البُطـولَـةِ لِـلأُلى ... تَقفـو خُطـاكَ فأنتَ ما أزْكاكـا
لا يَسْقُطُ النَجْـمُ المقـدَّس في حِمى ... شَـبَك بأيْـدي الحـاقِدينَ محاكـا
إنَّ اصطيـادكَ ليسَ في مَقْدورِهِـمْ ... حيثُ انتأى عن سَـعْيِهِمْ مَسْعاكا
دَعْهُـمْ لَهمْ فَلينصِبوا شِرْكَ الردى ... ولِكَيْدِهِـمْ فلينْصِبـوا الأشباكـا
إنَّ الـذي يُحيـي الضمائِـرَ بالفِدى ... روحٌ تَصيـرُ إلى الخُلـودِ مَلاكـا
تَعْسًا لِقَـوْمٍ حاولـوا قَتْلَ الهُـدى ... اللهُ أركَسَهُـمْ بِهـا ووقـاكـا
لَمْ تَـدرِ مَنْ نَهَضَـتْ إليكَ بأنَّهـا ... لا تَستطيـعُ بأنْ تَنـالَ عُلاكـا
مُتَوَهّمـونَ بأنَّهـا تَصفـوا لَهُـمْ ... ما أكْثـر الأوْهـامَ في دُنياكـا
قَتَلُـوهُ فانتفَـضَ الحُسـينُ مُجَـدّدًا ... نُـورًا عظيمـًا يمـلأُ الأفلاكـا

* * * *

عِشْ يا هُدى مَلكوتِـكَ الأرواح ... فالموتُ الذي ظَنّـوهُ ما أفناكـا
حتى وإنْ أُودعِـتَ أطبـاقَ الثَـرى ... سَيَفوحُ مِنْ تَحتِ التُرابِ شَذاكا
هذا شُموخكَ حاضرٌ فينا مَعـًا ... ولقَـدْ تَبَدَّدَ كُـلُّ مَنْ عاداكـا
ذَهَبَـتْ جَـريمَتهم بِهم وتَهافَتـوا ... وَمَضَوا إلى سَقَـرٍ وما أدراكـا
باعُـوكَ بالدُنيـا الغَرور جَهالَـةً ... لَمْ يَعرِفُـوا ماذا تَـؤولُ دِماكـا
كَمْ قَدْ وَقَفْتَ بِهِمْ خَطيبًا واضحًا ... لكِنَّهُـمْ لَمْ يَدخُلـوا مَنْجاكـا

قَـوْمٌ هُـمُ مَهما تَكُنْ عَلْياؤهـــمْ أَعلاهُـــمُ مَهْما عَلا أدناكـــا
إنْ كانَ بَعْضُ عُتاتِهِمْ لَمْ يَفْهَموا قَــولًا فَهَل لَـمْ يَعْرِفوا مَعناكـــا
يا بنَ النَبـيِّ المُصطفـــى أُولاءِ لا يعنــونَ إلّا للسيــاط عداكا
وَيْلٌ لَهُـمْ لَمْ يَحْسَبــوا وَيُقَــدِّروا مــاذا سَيَصنَعُ ثَـأرُك الفَتّاكـــا

* * * *

يا آيــةَ اللهِ العَظيــمة وَالُهدى يا ظِلَّـــهُ العالـــي الَّذي مَدَّاكـــا
يا مُنْقِذَ الدّينِ الحنيـفِ بِنَحْرِهِ رُوحي وَمَنْ يَسعى إلَيكَ فِداكـــا
لمَّا دَعَتْكَ إلى الجِهادِ عَقيـــدة لَمْ تَغتمض عَنْ حَقِّـها جَفْناكـــا
يا أيُّها الجُرحُ الَّـذي قَـهَرَ الضُبا كيفَ الرَدى في كَربَـلا أرداكـــا
نَبقى نَسيرُ على خُطـاكَ تَحديًا سَلِمَتْ إلى أبَدِ الحَيـاةِ خُطاكـــا
يا فَـرْقَـدَ الإسـلام يا مِصْباحنـا نُـورٌ على نـورٍ ومـــا أبَهاكـــا
ماتُوا بِقَتْلِـكَ إذْ حَيِيـتَ مُخلَّدًا في قَلـبِ كُـلِّ مُجـاهِدٍ مَثواكـــا
اللهُ أكبـرُ في لِسانِكَ ثَـــورةٌ ما الظّالمــونَ وكيـفَ لا تَخشاكـا

* * * *

يا سَيّدي يا بنَ الَّذينَ بِمَدْحِهِـــمْ نَسْتأصِـلُ الُمستهزئَ الأفّاكـــا
جِئناكَ يا بنَ الأكْرَمينَ مَواكِبـــًا والقلبُ قَبْـلَ مَجيئِنا هَنّاكـــا
أنتَ الحُسينُ المُهتدى بَحْرُ النَدى وَرَسَـتْ مَراكِبُنـا على مَرْساكـا
جِئْنــاكَ نَمْشي طائِعينَ بِمَلْكِنـا بَلْ طامِعيـنَ بِمُنْتَهى جَـدْواكـا
جِئْناكَ لا نَمشي عَلى الأقْـدامِ بَـلْ مَشْيًا عَلى هاماتِنـا جِئناكـــا
جِئْنا نُهنئُ قائِليـــــنَ لِأحمـد بُشراكَ يا خَيـرَ الـوَرى بُشْراكـا
ولِحيدرٍ ذاكَ الوصيِّ كَذلِكُـــمْ وَلِفاطِـمٍ تِلْكَ البتـولُ كَذاكـــا

* * * *

ينابيع

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

لا حياة لمن تنادي...

المشرف العام ٨

قرآنيات

الصوم في التعبير القرآني

د.سيروان عبدالزهرة الجنابي ١٠

فحوى الخطاب في القرآن الكريم

د.أزهار علي ياسين ١٦

أسلوب التوكيد في قصة البقرة

مصعب مكي زبيبة ٢٠

قراءات

كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية

د.عادل عباس النصراوي ٢٤

تقنيات الأداء التصويري في المناجاة

أ.م.د.عقيل جاسم دهش ٣٠

صلح الإمام الحسن عليه السلام في فكر المستشرقين

كريم جهاد الحساني ٣٦

الأسلوب التجديدي عند الشيخ المفيد

ثائر عباس النصراوي ٤٢

آمن الرسول

الشرك

الشيخ ليث عبدالحسين العتابي ٤٦

الدعاء سراج الصيام

د.محمد كاظم الفتلاوي ٥٢

التوبه النصوح

الشيخ حسن العيساوي ٥٦

استطلاع مصور

مقام الإمام زين العابدين عليه السلام بين الأمس واليوم

حيدر الجد ٦٠

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٧٠

واحة الأدب

الرثاء.. هجاء الموت ومساءلته

أ.م.د. علي مجيد البديري ٧٨

ص١٦

ص٢٤

ص٦٠

ص٧٠

قصيدة: يوم الوصي

المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ٨٤

القراءة وأهميتها في حياة الأفراد والمجتمعات

الشيخ جميل مال الله الربيعي ٨٨

نوادر الكلام في نهج البلاغة

أ.م.د. عبد علي ناعور الجاسمي ٩٤

حكاية كنز البستان ذات المغزى الأخلاقي

عبد الواحد الشيخ محمود ١٠٠

دلالة التعاقب الإعرابي في نصوص نهج البلاغة

د. هاشم جعفر الموسوي ١٠٤

إضاءات السيرة

الإمام الحسين عليه السلام قبس من صفاته وسيرته

د. مرتضى عبد النبي الشاوي ١١٤

دور الأئمة في التعريف بحقوق أهل البيت عليهم السلام

حسن جودي كاظم الجبوري ١٢٠

الإمام علي بن الحسين عليه السلام وفريضة الجهاد

طالب علي الشرقي ١٢٤

للفضيلة نجومها

عبدالله بن أبي يعفور العبدي

د. علي الفحام ١٣٠

الشيخ خضر بن شلال العفكاوي الباهلي النجفي

الشيخ حميد البغدادي ١٣٦

المُسيَّب بن نُجبة الفزاري

أ. د. صلاح الفرطوسي ١٤٢

السيد نعمة الله الجزائري (رحمه الله)

م. مسلم عقيل الشاوي ١٤٨

إضافة إلى مواضيع أخرى ستعجب القراء إن شاء الله تعالى

أجوبة مسابقة العدد (٥٥) وأسماء الفائزين ١٩٢

مسابقة العدد (٥٧_٥٨) ١٩٣

ص ٧٨

ص ١١٤

ص ١٣٠

ص ٤٦

لا حياة لمن تنادي...

بسم الله الرحمن الرحيم

تحل علينا في هذه الأيام مواسم عظيمة وأيام شريفة، قد شرعها الله سبحانه وتعالى فرصة لعباده في نيل مرضاته، وتشرفاً لهم في الدنو من ساحة رحمته، وتحبباً منه في الدعوة لهم، ليغتنم المؤمن هذه الأيام بشغف العبادة، وولع الوصال، وحبّ الإنابة، وليجدد ما فاته من الفرص الماضية، ويتوب إليه سبحانه ما اقترف من سالف معاصيه.

فرصته تتجدد ما تجددت الأيام والسنون.. كل ذلك كرماً منه وجوداً.. وعطفاً على خلقه ومحبته.. وأي عاطف أشد عطفاً من عطف الخالق على مخلوقه، بل أي رحمة أعظم من رحمة المنشئ لخلقه.. فسبحانك ما أعظمك، وأكرمك، إلهاً ومعبوداً، تقدست، وتقدست أسماؤك، وجل فعالك، ورحمتك وسعت كل شيء...

يا لها من نعمة عظيمة وبلاء جميل أن نكون ممن ينظر الله إليه ويهيئ له أسباب رحمته ليفيض عليه من لطفه وكرمه ما يسموا به إلى درجة العبودية ويرفع إلى مصاف الأولياء..

ونحن إذ نذكر أنفسنا وإخواننا بهذه النعمة العظيمة في مثل هذه الأيام الشريفة لا يفوتنا ما تلاقيه هذه الأمة المتحنة في هذا الأيام العصيبة المملوءة بالمحن والآلام مع شدة الفتن وضيق الأحوال، جراء التعسفية المقيتة وشدة الحقد الدفين الذي يتوارثه الخلف عن السلف تجاه هذه الطائفة المحقة، وما تمتلكه من الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة على أولويتها وأحقيتها من سائر الملل والنحل، فترى الهجمة الشرسة الواحدة تلو الأخرى على شيعة أهل البيت عليهم السلام، وما يعتري ذلك من القتل والتشريد والنهب والسلب.. وغير ذلك، ناهيك عن هتك الأعراض والتعدي السافر على الحقوق والممتلكات.

وقد ساعد ذلك الأرضية الخصبة جراء السياسات الخاطئة والشعور بالغرور والأنانية وحبّ الاستبداد وعدم المشورة، وترك سماع الآخرين. كل ذلك ساعد على استفحال الشر وتقوية أواصره وتعريض الأمة لمثل هذه الأزمة التي لا يعلم منتهاها وما ستخلفه لنا من التركة الثقيلة. وقد سبق أن حذرنا مراراً وتكراراً من هشاشة الوضع وتهدل قوائمه، وضرورة السير بحكمة بالغة، وترك المصالح

الشخصية، والعبث بمصير الأمة بغية الحصول عـلى المناصب والمراتب. ولكـن الأمر كما قال الشاعر: قد أسمعت لو ناديت حياً.. ولكن لا حياة لمن تنادي.

إن الأسـف كل الأسـف أن تنجر الأمور إلى ما نحن عليه اليوم مـن غياب الأمن وفقد السلطة الحقيقية التي توفر للأمة العيش الرغيد والحفاظ على الأنفس والثمـرات، بعد المعاناة التي طالت هـذه الأمة ما يربـوا على الأربعة عقود من الزمن قتلاً وتشريداً وانتهاكاً للحقوق والممتلكات، حتى شـاب الطفل الصغير على المعاناة والذل والهوان طيلة الفترة الماضية. وما أن ارتفـع الكابوس عن كاهل هذه الأمة وهي مليئة بالاتعـاب ومنغصـات العيش كان لهم أمل كبير في أن يحسـن أولياء الأمور التصرف ليعيدوا لهذه الأمة مجدها وهيبتها، ويؤكدوا على اسـترداد حقوقها الضائعة بعيداً عن التوترات والمهاتـرات، وليكـن همهـا الوحيـد نصرة المظلومين واسـترجاع حقوقهم، وليقفوا صفاً واحداً منيعاً دون المؤامـرات الضيقة الداخلية والخارجية التـي هي تحت قيـادات لا يروق لهـا عراق علوي حسـيني، إلا أن القوة تكمن في توحيد الصف، وتظافـر الجهود، والاهتمام بالواقع المؤلم الذي يعيشه أبناؤنا وآباؤنا في هذه البقعة من الأرض. وقد كشفت الأيام خلاف ذلك تمامـاً فتفكك الجمع، وتشـققت القوى وضاعت الجهود.. فالمشتكى

ونحـن إذ نتقطع ألماً وحـسرة لما يلقى هذا الشـعب المظلـوم الصابر من صنـوف المحن والآلام نسـأل الله تعالى أن يكـون ذلك بعينه سـبحانه، وأن يتكفل هو بتعويض المظلومين، ويشـد على قلوبهـم ويثبت أقدامهـم. ندعوا إخواننـا وأهـل ملتنـا إلى رص الصفـوف، والتكاتـف في نصرة المظلوم، ودفـع الطغيان كلٌ بحسـب ما أوتي من قوة، أو مال، أو جاه، ولا يبخل عن شيء مـن ذلك إذا دعت حاجة أحد إليه، وليعلم أن غوث الملهوف ورفع كربة المكروب من أعظم القربات عند الله تعالى ولا يقصرن أحد في نصرة أخيـه المؤمن فإن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، كما ورد في الحديث عن المعصومين عليهم السلام.

والأمل كل الأمـل أن لا تدوم هذه المحنة أو ترجع بالفائدة على المؤمنين لأن الله سبحانه لابد مـن أن يحفظ لهذه الأمـة جهادها ودمها المهـراق طيلة الفـترة الماضيـة وإصرارها في سـاحات العقيدة وثباتها الذي شهد به القاصي والداني وتفانيها من أجل قضية سـيد الشهداء عليه السلام وولائها لأولياء الله وعدائها لأعداء الله.. بل هي غمة يتبعها فرج كبير، ونصر عظيم، كما مرت نظائرها عبر السنين الماضية وليبقى الحق وأهله تقوم بهم الحجة ويقطع بهم العذر.. ولله أمرٌ هو بالغه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

■المشرف العام

الصوم في التعبير القرآني

- قراءة في أبعاد المفهوم ودلالة النص-

ا.م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

في اللحظة التي خاطبت فيها السماءُ بنصِّها المعجزِ العقلَ البشري والروحَ الإنسانية معاً بغاية إرجاع ذلك العقل إلى عدالته المنطقية وإعادة تلك الروح إلى مكامن فطرتها الأصل؛ كان أولئك – الذين وجِّه إليهم ذلك الخطاب- بمنأى عن جوهره المضموني عقلاً وعملاً؛ إذ كانوا يعيشون على مبدأ الضد والمخالفة لذلك المضمون الإلهي المقدس؛لذا احتاج المجتمعُ حينذاك إلى من يُعيدُ إليه إنسانيتَهُ ويوقظ عقلَهُ المحرومَ من سلوك الوعي وممارسة البصيرة بعد طولِ رقاد ليمنحَهُ نور الحقيقة وحقيقة النور ووجه الحياة الحقَّة التي امتد عمرُهُ وهو على خصام معها، ولا يعيد الأمرُ إلى نصابه إلا القادرُ الأوحد سبحانه، فجاءَ النصُّ القرآنيُّ منقذاً للبشرية فكان دستوراً تشريعياً؛ إذ يتعامل مع الناس على أساس مبدأ إرجاع الحق إلى أهله ودرء الباطل عَمّن تنكبه، ومُعلِّماً يصقل شخصية الإنسان، ومُنظِّماً ممتازاً لشؤونه الحياتية؛ إذ ضمَّ كثيراً من أصول علم الاجتماعي الإنساني، وهو في الوقت نفسه يعمل مُرشداً للحفاظ على صحة البشرية؛ وكان من بين الأمور التي تمتُّ إلى التَّهذيب الصحي والنفسي للإنسان بصلة هي فريضة (الصوم)؛ ذلك بأنَّها تعدُّ من أجلى الفرائض التعبدية التي تسعى إلى تقويم النفس الإنسانية وصقلها سلوكياً وتوجيهياً من جهة؛ ومن جهة أخرى فإنَّها تعمل على بناء الكيان الصحي لجسد الإنسان وتنظيم عملية غذائه بصورة صحيحة كي لا يقع في تبعة سوء التنظيم الغذائي مدى حياته دون وعي منه إلى ذاك أو إحساس البتة، وتأسيساً على هذا المنطلق نجد أن (الصوم) الواجب على الإنسان المسلم إنما ورد لمنفعة، ولما كانت هذه المنفعة مبنية على أمر سماوي واجب الأداء كان من دواعي الاستجابة إلى المرتكز المنطقي أنْ نقرأ مفهوم وماهية هذه المنفعة؛ إذ إنَّ التساؤل المثار في هذا النطاق يكمن في منحيين: الأول منها هو بيان مفهوم (الصوم)؛أ كان للتعبير القرآني استعمال آخر لدلالة (الصوم) بخلاف ما هي عليه في التداول اللساني لها لدى العرب.. أم إنَّ المفهوم الاصطلاحي الذي وظَّفَهُ النصُّ القرآنيُّ لإرساء مفهوم

هذه الفريضة السماوية مبني أصالةً على المعطى المعجمي لها.. أو أنَّ ثمة خصوصاً وعموماً من وجه بينهما؟ أما المنحى الثاني فيكمن في بيان الإعجاز اللغوي ومنطق الدلالة النصية في صياغة فريضة الصوم على المسلمين وجوباً؛ ذلك بأنَّه لم ترد في النص القرآني صيغةُ الأمر بالصوم كما هي الصيغة الإنشائية الشائعة استعمالاً وتداولاً على اللسان العربي؛ بل وردت دلالة الإقرار بهذه الفريضة بصياغات لغوية أخرى تعبر عن دلالة (الأمر بالصوم) على الرغم من انتفاء صيغة الأمر نفسها في الصياغة الخطابية للغة الآية الكريمة التي فُهِمَ منها دلالة الصوم وجوباً؛ وتأسيساً على الرغبة في الإجابة عن هذين المنحيين نقول:

معنى (الصوم) في اللغة:

إذا أردنا معرفة معنى (الصوم) في اللغة فإنَّنا سنجده تحت مادة (صوم)، وإذا كان الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أول من أسَّس معطيات دلالة المفردة بتصنيفها بين دفتي مُدوَّن سمِّي بـ (معجم العين) فإنَّه – والحال هذه- تفرض الأولوية الرُّكون إليه ابتداءً لمعرفة معنى هذه المفردة حيث يقول الخليل:(الصَّوْمُ: تَرْك الأكْلِ وتَرْكُ الكلام وقوله تعالى:(إنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً)[1] أي صَمتاً)[2] بهذا نلحظ أنَّ الصوم في اللغة يقترب كثيراً من معناه الاصطلاحي فهو يعني الامتناع عن الأكل والشرب، وقد يدل على الصمت كما هو مدلول المفردة في الآية الكريمة، وقد يُراد به معنى السكون وعدم الحركة كما في قول الخليل: (وصامَتِ الرِّيحُ إذا رَكَدَت)[3] ثم يُعقِّب قائلاً:(ويقالُ: رجل صَومٌ ورجلانِ صَوْمٌ وامرأةٌ صوْمٌ ولا يُثَنَّى ولا يُجمَع؛ لأنَّه نعت بالمصدر وتلخيصه: رجل ذو

صَوم وامرأة ذات صَوم ورجلٌ صَوّامٌ قَوّامٌ؛ إذا كان يصومُ النهارَ ويقومُ الليلَ ورجالٌ ونساءٌ صُوَّمٌ وصُيَّم وصُوّام وصُيّام كل ذلك يقال)[٤]؛ بهذا نجد أنَّ معنى الصوم في اللغة هو الامتناع من الأكل، والصمت عن الكلام، والسكون عن الحركة.

وقد وافق ابنُ منظور الفراهيديَّ فيما أورده من دلالات لمفردة الصوم؛إذ يقول (الصَّوْمُ تَرْكُ الطعام والشَّراب والنِّكاح والكلام، صامَ يَصُوم صَوْماً وصياماً واصْطامَ، ورجل صائمٌ وصَوْمٌ من قوم صُوَّام وصُيّام وصُوَّم بالتشديد)[٥]؛ بهذا نجدُ أنَّ ابنَ منظورٍ لم يتَّفق مع الفراهيدي فحسب في بيانه لمفردة (الصوم) في المعجم العربي؛ بل زادَ عليه بعضَ المعاني ولم يتوقف الأمرُ لديه عند هذا الشأن فقط؛ بل أعادَ صياغة معنى (الصوم) الذي ذكره الخليل بحيثية أكثر دقةً ومهارةً واستيعاباً لمعنى المفردة؛ إذ ذكر الخليل أنَّ الصوم هو ترك الأكل فحسب، وتوقف عند هذا الحد ولم يُضِف أيَّ تعليقٍ آخر على هذا المعنى بالذات، على حين يلفت انتباهنا أنَّ ابن منظور كان أكثر شمولية لبيان معنى الصوم من الفراهيدي في هذا المنحى الدلالي حيث ذكر أنَّ الصوم هو ترك الأكل والشرب والنكاح، فكان بهذا أوفقَ مما قدّمه الخليل لمعنى هذه المفردة.

مفهوم (الصوم) في النص القرآني:

إنَّ لكل فن من الفنون المعرفية مصطلحات خاصة يتداول بها أرباب ذلك الفن، وتأسيساً على هذا المنطلق المنطقي ظهرت المفاهيم الاصطلاحية وتخصَّصت تلك المفاهيم على أساس خصوصيات المعرفة لأصحاب ذلك الفن؛ من هنا كان لابد لعلماء الشريعة من أن يؤسسوا لمفهوم الصوم ويعرضوا له في بطون مدوناتهم التخصصية، فكان من جنس ذلك تعريف القونوي لـ(الصوم) حيث يقول:(هو عبارة عن الإمساك عن الأكل والشرب والمباشرة في جميع النهار[٦] فنلحظ أنَّ تعريفه هذا لا يُباين كثيراً ما عرَّفه به ابنُ منظور بيد أنَّ ما يؤخَذُ على القونوي أنه لم يُحدِّدْ زمن ذلك الإمساك حيث قال: (في جميع النهار) وهذا يقتضي – إذا ما تمسكنا بالدلالة الحقيقية للخطاب - أنْ يكونَ الصوم من بداية النهار إلى نهايته؛ وينتهي النهار -كما هو معهود- بعد الزوال وبناءً عليه يجب الإفطار بعد الزوال لا حين أذان المغرب؛ فضلاً عن أنَّه لم يشترط شرط النية الواجب أداءها في الصوم، على حين نجد أنَّ الجرجاني لم تفته هذه اللفتة في تعريفه لـ (الصوم) فقد عرَّفه على أنَّه (عبارة عن إمساك مخصوص وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية)[٧] فنجده قد أوضح زمن الصوم وحدَّده من وقت اليوم بدقة وزاد على ذلك بذكره لشرط (النية) في الصوم،؛ ذلك بأنَّ النية أساس كل عمل يؤدَّى في الشريعة أو الحياة.

وحدَّه النووي بقوله(وفي الشرع إمساك مخصوص في زمن مخصوص من شخص مخصوص)[٨] فنجده قد أضاف لنا شرطاً آخر في بناء مفهوم (الصوم) ألا هو أنْ يؤدَّى الصوم من شخص مخصوص، ويريد بخصوصية الشخص في هذا الموضع وهو أن يكون مسلماً، فالمراد من الخصوصية ههنا هو (الإسلام)؛غير أنَّه لم يتطرَّق إلى شرط النية؛ من هنا يُحمد له أنَّه أبانَ سمةَ الخصوصية للشخص الصائم وبعبارة أخرى أنَّه قام ببيان مفهوم الصوم المنطبق على المسلمين حصراً دون غيرهم، وبهذا وجب أنْ يُقيِّدَ التعريف بمقولة (من شخص

مخصوص) حتّى يتّضحَ المرادُ ولا تختلط الأمور على المتلقي، على حين أنّه يؤاخذ بحاجة تعريفه إلى شرط النية الذي ذكره أبو عبد الله الحنبلي في تعريفه لـ (الصوم) حيث يقول:(وهو في الشرع عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة في زمن مخصوص من شخص مخصوص بنية مخصوصة)[٩] غير أنَّ ما يؤخذ عليه وعلى النووي معاً هو أنّهما لم يشيرا إلى طريقة ذلك (الإمساك) وهذا ما لم يغفل عنه الطوسي - وهو خير من عرَّفَ الصوم- حيث يقول: (والصوم في الشرع هو الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص، ومن شرط انعقاده النية)[١٠] فقوله (على وجه خصوص) يريد به صوم الجوارح وهي الطريقة الصحيحة والمعنىالحقيقي لمفهوم الصوم؛ فالإمساك لا يكون عن الأكل والشرب والنكاح فحسب؛ بل يجري الإمساكُ على الجوارح ابتداءً ومن ثم يسري الصبر على الغرائز تباعاً ولا خير فيمَنْ صامَ غريزياً ولم يمسك نفسه عن فعل الذنب جوارحَ.

ونحسب أنَّ المفهوم الحقيق للصوم على وفق استحصال الغاية منه قد أوضحه الرسولﷺ في مقولته:(الصومُ جُنةٌ من آفات الدنيا وحجابٌ من عذاب الآخرة، فإذا صمتَ فانوِ بصومكَ كفَّ النفس عن الشهوات، وقطعَ الهمَّة عن خطوات الشيطان والشياطينَ، وأنزلْ نفسَكَ منزلةَ المرضى لا تشتهي طعاماً ولا شراباً، وتوقعْ في كلِّ لحظة شفاكَ من مرض الذنوب، وطهِّرْ باطنَكَ من كلِّ كذب وكدرٍ وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه اللّه تعالى)[١٢] وبتأمل هذا الحديث النبوي الشريف نقف على جملة دلالات:

١- إنَّ الرسولَﷺ لم يُخرجْ – بحديثه الشريف هذا - الصومَ عن معناه اللغوي أو الاصطلاحي البتة؛ إذ أشار ابتداءً إلى أنَّ الصوم (جُنة)؛ والجُنة تعني الستر والدرع والامتناع من الوقوع في الزلل؛ يقول الفراهيدي:(ويقال: أجَنَّه اللَّيْلُ وجَنَّ عليه اللَّيْلُ إذا أظْلَمَ حتى يَسْتُرَه بظُلْمته، واسْتَجَنَّ فلانٌ إذا اسْتَتَرَ بشيءٍ)[١٣]؛ بهذا ندرك أنَّ الصوم هو وقاية وامتناع للشخص الصائم من أن يقع في الهوى أو أن تزل قدمه في ذنب أو معصية فهو أشبه حالاً بالدرع في ساحة الوغى يقي المقاتل من الضربات التي قد يتلقّاها من الأعداء، ولا عدو للإنسان أكثر من الشيطان الذي يسوقه إلى ظلم نفسه وظلم الآخرين؛ لذا عليه أنْ يستترَ بالصوم لأنَّه من أشدِّ السيوف مضاءً في حقِّ الشيطان.

٢- نستدل من الحديث الشريف أنَّ على الصائم أنْ ينوي بصومه أداء غاية الصوم نفسها وهي كفُّ النفس عن الشهوات حتّى يعدَّ الصوم – بذلك- هو فعلاً الدرع الواقي من الزلل، فلا خير في صوم لا يقدم صاحبه خطوة إلى الأمام في طريق الصلاح؛ إذ يقول أمير المؤمنينعليه السلام:(كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ؛ وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء)[١٤]، فإذا لم تتحقق الغاية من الصوم فإنَّه الصوم – والحال هذه- يعدُّ تعذيباً للنفس بالجوع والعطش بلا طائل أو نتيجة.

٣- نفهم من الحديث أنَّ ثمة غايةً أخرى من الصوم، إلا وهي الشفاء للنفس وإسباغ الطهارة عليها، فهذه هي المحصلة الأساسية والنهائية من الصوم، وهي وصول الإنسان إلى حال الطُّهر النفسي؛ وتأسيساً على تحقق هذه الغاية فإنَّ المرء سيشفى من الوسوسة والتفكير بالغي جرياً وراء متابعة الشيطان.

وإذا ما تلمسنا الرابط الدلالي بين معنى الصوم في اللغة ومفهومه في الاصطلاح – سواء ما عرَّفَهُ العلماء به أو ما أوضحَهُ الرسولُ ﷺ- فإنَّنا لا نجد كبير اختلاف بين المنحيين، فكلاهما يدل على معنى (الترك) و(الإمساك) من بعض الأمور فضلاً عن أنَّه يحمل في طياته معنى (السكون) عن الحركة تجاه أمر ما والتَّحصُّن ضد شيء معين؛ بيد أنَّ مفهومه في الاصطلاح له خصوصيات بنائية تميزه من معناه في اللغة، مثل عامل الوقت المحدد للصوم وحيثية الأداء واشتراط النية وخصوصية المؤدِّي والغاية الأساسية من الصوم سواء على المستوى الجسدي أم النفسي ونظائر ذلك.

الدلالة النصية لآية الصوم في التعبير القرآني:

قال تعالى في محكم كتابه العزيز(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) (سورة البقرة: ٣٨١) عند التأمُّل في النص الكريم نجد أنَّ بناءه الخطابي مُفرَّغٌ تماماً من استعمال صيغة الأمر (صوموا)؛ إذ لا نقف على هذه الصيغة في النسيج الصياغي لهذه الآية الكريمة مُطلقاً؛ غير أنَّ المتلقي قد فَهِمَ منها وجوبية أداء هذه الفريضة السماوية فأدَّاها التزاماً؛ والأظهر لدينا أنَّ المتلقي قد استنطق هذه الدلالة الوجوبية وآمنَ بها بناءً على وجود جملة من القرائن الـمُكتَنَزة ومجموعة من الإشارات الكامنة في النص القرآني المعجز الذي ورد فيه ذكر الصوم أعلاه؛ ذلك بأنَّ داعي القول قناعةً بوجود الدلالة الوجوبية للصوم في هذه الآية الكريمة يكمن في حيثيات الصياغة اللغوية وطريقة البناء الخطابي لنص الآية الكريمة نفسها؛ ذلك بـأن التأمُّل في نطاقها يتضح له الآتي:

١- إنَّ الثابت من خلال الاستقراء أنَّ عبارة (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**) تتصدَّر النصوص التشريعية في الخطاب القرآني؛ وبهذا يثبت بما لا يقبل الشك أو التردد أنَّ الآية الكريمة أعلاه إنما هي نص تشريعي أنبأ عن حكم السماء بفريضة الصوم؛ وبهذا تعد مقولة نداء المؤمنين أول إشارة سياقية تدل على وجوبية الصوم على الناس في هذه الآية الكريمة.

٢- إنَّ مضمون الفعل (كُتِبَ) في آية الصوم ينصُّ على دلالة ثبوت فرض الصيام على الناس[١٥]؛ لأنَّ الكتابة توحي ببقاء المكتوب ورسوخه على وجه الديمومة فضلاً عن أن الحرف (عليكم) - اللاحق على الفعل- يدل على معنى التسلط والعلو[١٦]، وهذا يشير من جهة أخرى إلى تلازم حكم الصوم وجوباً مع عقيدة الأداء العبادي للمسلم مطلقاً؛ زيادة على ذلك فإنَّ عملية إبلاغ هذا الحُكم السماوي للمتلقي بهذه التركيبة اللسانية تمثل منحى جلياً لمدى إبداعات النص السماوي في رسم الدلالة التشريعية بحيثية لغوية معجزة إذ أنتج النص دلالة الإنشاء (الأمر الوجوبي) بمبنى إخباري (الجملة الماضية) .

٣- يبدو للباحث أنَّ العلة التي تكمن وراء صياغة دلالة فرض الصيام في هذا النص على هيئة الإخبار (الجملة الفعلية) دون الإنشاء (الأمر) إنما مردُّها إلى أمرين الأول (مراعاتي) والآخر (تأصيلي): فإما الأول فيمكن في أنَّ فريضة الصوم من الفرائض الـمُتعِبَة والشاقّة على الإنسان سواء أكانت بالجهد المبذول من الإنسان الصائم أم بطول الوقت الذي يمضيه المرء صائماً؛ لهذا آثرَ سبحانه أنْ يصيغَ عبارته الدالة على الوجوب على صيغة الإخبار حتّى تكونَ أقلَّ حدّة من صيغة الأمر المباشر؛ فكان في هذا مراعاة

لمشاعر المخاطَب في صياغة الخطاب، أما الأمر الثاني فيمكن في أنَّ التعبير بالفعل الماضي يوحي بمعنى تأصيل فريضة الصوم على المسلمين؛ فكأنَّ هذه الفريضة قد ثَبَتَتْ وجَرَتْ عليها يدُ التقدير منه سبحانه منذ زمن قد مضى؛ وهو الآن في صدد الإخبار عن هذه الفريضة بأنَّها مكتوبة على المسلمين منذ وقت سبق؛ وهذه الدلالة تشدُّ من أزر المتلقي وتشحذ نفسه وتجعله يُسلِّم بالأمر من دون جدل أو نقاش؛ لأنَّ هذا الفرض ليس فرضاً آنياً؛ بل هو مكتوبٌ عليه منذ زمن ساحق؛ لهذا ليس عليه إلا الانصياع والتنفيذ لما تقرر سلفاً من الله تعالى ولا يريد الله بالإنسان إلا الحسنى.

٥- لقد وظَّف سبحانه حرف التشبيه في قوله (كما) بحيثية غاية في الروعة؛ إذ وثَّق به فكرة ديمومة فريضة الصوم على سائر الأمم السابقة فكان ثبوتها – والحال هذه- على المسلمين يعدُّ من باب الأولى؛ ذلك بأنَّ الدين الإسلامي من أكمل الأديان وأفضلها على وجه العموم؛ من هنا نستدل على أنَّ الكاف في هذه الآية قد أسهمت في بناء دلالة الحتمية للصوم على كل أصحاب الكتب السماوية وذلك بدلالتها على أنَّ الصوم لم يُفرَض على المسلمين فقط.

٦- ربط سبحانه غاية الوصول إلى مرحلة (التقوى) بأداء فريضة الصوم وذلك باستعماله للحرف (كي)؛ إذ دلَّ هذا الحرف على معنى العلية أو السببية دون معنى الترجي الذي ألزمه به النحاة أصالةً في تنظيرهم المعرفي؛ بيد أنَّ النص الكريم قد استعمله بدلالة أخرى وهذا يعدُّ من باب التوسع الدلالي في استعمال اللفظ بغير دلالته الأصل ومعرفة الدلالة المترشِّحة منه بفعل قرائن السياق المحيطة به، فقد بنى النصُّ نفسَهُ بطريقة قرائنية يُفهَم منها معنى (لعل) عقلاً ومنطقاً من دون أنْ نصرفَ (لعل) إلى معناها النحوي (الترجي)، فإذا كان الصوم يُوصِل إلى التقوى وكانت التقوى من الدواعي الإلهية إلى العقل البشري لأنْ يلتزمَ بها صاحبُ ذلك العقل المخاطَب، وجبَ والحال هذه أنْ يكونَ الصومُ واجباً لتتحقق غاية تلك الدعوى؛ ذلك بأنَّ الله تعالى لا يدعو إلى فعل شيء من دون أنْ يكونَ ثمة ما يُستَعان به على أداء ذلك الشيء، فلمّا كانت التقوى مطلباً سماوياً كان الصومُ من هنا لازمًا واجبًا لأداء ذلك المطلب.

الهوامش:

(١) سورة مريم: ٦٢.

(٢) الفراهيدي: العين:٧/٧١٧، وينظر: الرازي: مختار الصحاح:٥٧٣.

(٣) الفراهيدي: العين: ٧/٧١٧، وينظر: الرازي: مختار الصحاح:٥٧٣.

(٤)الفراهيدي: العين:٧/٧١٧.

(٥) ابن منظور: لسان العرب:٢١/٠٥٣، وينظر: ابن قتيبة: غريب الحديث:١/٧١٢.

(٦) القونوي: أنيس الفقهاء:٧٣١.

(٧) الجرجاني:التعريفات: ٨٧١.

(٨) النووي:تحرير ألفاظ التنبيه:٣٢١.

(٩) أبو عبد الله الحنبلي: المطلع على أبواب الفقه:٥٤١.

(١٠) الطوسي: التبيان: ٢/٥١١.

(١١) المجلسي: بحار الأنوار:٣٩/٤٥٢، ومصباح الشريعة: المنسوب للإمام الصادق (ع): ٥٣١.

(١٢) الفراهيدي: العين: ٦/٠٢.

(١٣) الإمام علي (ع): نهج البلاغة:٤/٥٣.

(١٤) الطوسي: التبيان: ٢/٤٢١، وينظر: الطباطبائي: الميزان: ٢/٤.

(١٥) العكبري: اللباب في علل البناء والاعراب:١/٩٥٣، وينظر: الانباري: اسرار العربية: ١/٨٣٢.

فحوى الخطاب

في القرآن الكريم

د.إزهار علي ياسين ●
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع من أساليب القرآن الكريم في الخطاب فحوى الخطاب، وعادة يأتي الخطاب في الآيات الكريمة **باتجاهين** الخطاب المباشر:المتمثل بالأمر والنهي والاستفهام والنداء والدعاء وضمائر الخطاب ونحو ذلك.

والخطاب غير المباشر: المتمثل بالرمز والتورية والكناية والالتفات وضمائر الغيبة وغير ذلك.

أما في فحوى الخطاب فنجد أن هناك عملية خطابية واحدة (مخاطِب متكلم) و (مخاطَب متلقٍ) و (الموضوعَ أو الرسالة) امتزج فيها معنيان: دلالة المعنى الأولى ظاهرة ومباشرة، أما دلالة المعنى الثاني فهي ضمنية يشار إليها أو يومأ إليها إيماءً لأنها كامنة في فحوى العملية الخطابية، بمعنى أن اللفظ هنا يحمل ضده، أو الدلالة وما يغايرها من ألفاظ دلت على الشيء القليل والكثير، أو تدل على الجزء والكل في السياق نفسه.

هذا الأسلوب (فحوى الخطاب) يرد في بعض النصوص القرآنية ويطرح خاصية أسلوبية من الاختصار والإيجاز وربما لإثارة المتلقي، فلا تتدفق المعاني تدفقًا، بل تحصل عملية بناء للمعنى أو إنتاج المعنى عبر طرح لمدلول مباشر وآخر غير مباشر، كامن في فحواه ومضمونه (نفس الخاصية الأسلوبية يمكن أن تثير انفعالات متعددة ومتميزة تبعًا للسياقات التي ترد فيها)[1]، ولامناص من القول أن نسق الكلام وخصوصيات التراكيب يومأ إلى أن لهذه الدوال معاني ودلالات، وتوجد أيضًا حركة داخلية متنامية بما تحمل من إيحاءات وإشارات سواء في المعنى أو في الدلالة.

أشار علماء اللغة إلى (فحوى الخطاب) بوصفه أسلوبًا خطابيًا من أساليب أهل العربية بإشارات قليله غير أنه يبدو أقرب إلى الدراسات البلاغية بوصفه أسلوبًا من أساليب الإيجاز والاختصار وتوظيف الألفاظ للدلالة على أكثر من معنى، ومع هذا فإن مما يثير الانتباه أن علماء البلاغة والبيان لم يعتنوا بهذا الدرس ولم تتم الإشارة إليه إلا قليلًا.

وهنا لا بدلنا من الإشارة إلى أن تتبع المعاني اللفظية والمعجمية للفظة (فحوى) واشتقاقاتها من أمهات المعاجم العربية، نجد أن (الفحا) و(الفي) ذات مداليل مادية يتعلق بالأمور المادية تراوحت بين المعاني الآتية : إبراز القدر أو نبات البصل أو توابل القدور بأنواعها[٢] ثم انتقل اللفظ إلى حقل دلالي هو تعلقه بالأمور المعنوية (القول .الكلام .المذهب)وإن كان لا يمكن الإنكار بوجود وشائج وصلات بين المعنيين ، فلفظ (فحوى) قد ورد في كلام العرب في قولهم (فحوى القول) أي معناه وكنهه ، ويجمع على الإفحاء، وعرفت ذلك في فحوى كلامه، أي معراضه ومذهبه، ومعنى يفحي بكلامه إلى كذا وكذا إي يذهب إلى كذا وكذا[٣] ووقف علماء اللغة على حدود ومعاني (فحوى الخطاب) فقد عرفه أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥ هـ) بقوله:(فحوى الخطاب هو ما يُعقل عند الخطاب لا بلفظه كقوله تعالى: (**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**) (النساء:٢٣) فالمنع من ضربهما يُعقل عند ذلك)[٤]، والسيوطي أتى على ذكر موضوع (فحوى الخطاب) في فصل مفهوم القرآن وهو على نوعين : مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة، والذي يعنينا مفهوم الموافقة، وهو ما يوافق حكمه المنطوق، فإن كان أولى سمي فحوى الخطاب كدلالة: (**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**) على تحريم الضرب لأنه أشد[٥]، أما علماء البيان فقد عدوه أسلوبًا

من أساليب البيان وسَمَّوه الإشارة وحدّوه بقولهم: (أن تطلق لفظًا جليًا تريد به معنىً خفيًا وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام[٦] وعند المحدثين سُمي (دلالة الفحوى) أو (دلالة النص) حيث قال بعضهم: (وتتمثل دلالة الفحوى في فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده)[٧] وعند استقراء الآيات الكريمة تبين أن (فحوى الخطاب) يرد في النصوص القرآنية بأنماط ثلاثة:

أولًا: التعبير بالقليل للدلالة على الكثير، بمعنى أن هناك ألفاظًا يدل معناها المعجمي أو اللغوي على الشيء القليل لكنها في التراكيب القرآنية تأتي دالة على القليل والكثير معًا اعتمادًا على القرائن السياقية للآية ذاتها، مثال ذلك قوله تعالى: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) تدل (أف) في المعجم على التضجر[٨] أو هي بمعنى تبًا وقبحًا[٩]، المعنى الشرعي لا يقف عند أعتاب المعنى المعجمي للّفظة بل تتوسع مدارات دلالاتها إلى معاني أُخر وفقًا للسياق الذي يحتضنها، فهذا اللفظ يدل في فحواه على أكثر من معاني التضجر، إذ النهي هنا يضم كل أنواع الإيذاء للوالدين ابتداءً بالتلفظ بـ (أف) إلى ما هو أكثر من ذلك مثل الشتم والضرب والإهانة وما شاكل ذلك، وهكذا يتعدد معنى اللفظة ويتوسع في فحوى الخطاب تبعًا للمواقف والسياقات التي تقع فيها فحوى الخطاب إذن وفقًا لآلياته لا يحيل على المدلول اللفظي فقط، بل يحيل على مسكوت عنه في الكلام شرط أن يكون موافقًا لهذا المدلول في محل التطور، كما صرح بذلك الآمدي[١٠] فاللفظ هنا يحمل دلالة إيحائية غير مصرح بها ولهذا فهو يشكل محصولًا لسانيًا مؤثرًا من مؤثرات الفهم والإبلاغ.

ثانيًا: التعبير بالكثير للدلالة على القليل، يطرح فحوى الخطاب في النص الأدبي التفاتات سياقية وإشارات دلالية عندما يشكل الدال ومدلوله تناسبًا معنويًا مع الحكم أو الموضوع حيث إن لكل دال من هذه الدوال بعدًا دلاليًا لا تدانيه فيه لفظة أخرى على وفق خاصية انسجام التراكيب وتناسق السياق كما في التعبير بالكثير للتدليل على القليل، إذ إن بعض الألفاظ في تأصلها اللغوي تأتي دالة على الكثير لكنها في سياق معين تدل على الكثير والقليل معًا، كما قوله تعالى (**وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**)(النساء:٢٠) القنطار لغة يدل على قيمة مادية عالية حددها علماء التفسير بملء مسك ثور ذهبًا أو فضة أو ألف ألف مثقال[١١] أو سبعين ألفًا[١٢] وغيره، وعمومًا دلالة هذا اللفظ يراد بها المال الكثير أو العظيم[١٣]. دلالة الخطاب في الآية الكريمة، النهي عن أخذ شيء من الصداق، إن كان قنطارً، مالًا جمًا أو كثيرًا، غير أن للخطاب فحوى آخر مغايرًا لأصل الدلالة، ومكملًا له وهو النهي عن أخذ شيء من الصداق، حتى إن كان صداقًا ضئيلًا أو قليلًا فدلت هذه اللفظة على حُرمة أخذ مال الصداق إن كان كثيرًا أو قليلًا، وهكذا طرح لفظ منظار للدلالة المادية الكثيرة إلى جانب دلالة مغايرة لها وهي الدلالة المادية القليلة.

إن فحوى الخطاب هو أسلوب خطابي يضم دلالتين، الأولى مباشرة صريحة، والثانية خطاب غير مباشر، يتلازم سياق معين بقرائن لفظية ومعنوية خاصة به.

ثالثًا: التعبير بالجزء للدلال على الكل،

يطرح النص في بعض الأحيان علاقة تناسبية بين الدال والمدلول، أي بين اللفظ ومعناه رهنًا بالسياق الذي يرد فيه، لأنه يشكل فيصلًا في تحديد معاني المفردات والتراكيب وهذا يؤدي إلى تعددية المعنى للفظ الواحد، نتلمس بعضًا منها في قوله تعالى: (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**) (الإسراء:١)، المعنى اللفظي أو المعجمي للفظ (حول) هو الجانب[١٤] أما الآية الكريمة فمعنى (**بارَكْنَا حَوْلَهُ**) أن البركة حلت ببيت المقدس لكن ليس بجانب أو جزء معين منه بل البركة حلت بكليته أو بجميع أركانه وجوانبه كما صرح بهذا الزركشي بقوله: (فنية بحصول البركة فيه من باب أولى بجعله مهبطًا للوحي ومقرًا للأنبياء)[١٥] وهكذا نرى أن الخاصية الأسلوبية التي يطرحها فحوى الخطاب في النصوص هي سمة الإيجاز والاختصار وذلك باختيار دوال قليلة لنتاج دلالات متنوعة، فضلًا عن هذا فإن الخطاب القرآني الكريم قائم أساسًا على الإبلاغ والتبليغ والتأثير في المتلقي، ومن خلال توظيف الألفاظ في (فحوى الخطاب) توظيفًا دلاليًا وأسلوبيًا أعطى سمة إبلاغية متفردة عن أي أسلوب إذ حمل شحنات تأثيرية أدت إلى خلق الانفعال مع النصوص الشرعية بصدق وإيجابية عند المتلقي، لذلك فكل نقطة في القرآن الكريم لا يمكن أن توجد لها بدائل لفظية أخرى لأنها قامت على انتقاء متناهٍ في الدقة تناسب التراكيب والسياقات.

---

(١) الأسلوبية والأسلوب عبد السلام المسدي ص٥٥، الدار العربية للكتاب تونس ١٩٧٧

وينظر نظرية المتلقي د. بشرى موسى صالح ص٢٩ بغداد ط١ ١٩٩٩.

(٢) الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية ١٧٨١/٢ إسماعيل بن حماد الجوهري حققه وضبطه شهاب الدين أبو عمرو ط١ دار الفكر ولسان العرب ابن منظور ١٤٩/٥ . دار الفكر ١٩٩٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤)الفروق اللغوية ص٤٦ أبو هلال العسكري ضبطه وحققه حسام الدين القدسي دار الكتب العلمية بيروت.

(٥) الاتقان في علوم القرآن ٦٣/٢ للسيوطي ضبطه وصححه وأخرج آياته محمد سالم هاشم ط١ ١٤٢٢هـ

(٦)بدائع الفوائد ص١٢٥ ابن قيم الجوزي ادارة الطباعة المنيرية مصر.

(٧) دراسة المعنى عند الأصوليين ص١٥ د.طاهر سليمان حمودة الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

(٨)المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٨ ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني ط٣ دار المعرفة بيروت ٢٠٠١، وتفسير غريب القرآن ص٨٧ الأصفهاني تحقيق محمد صبحي حلال ط١ دار ابن كثير دمشق بيروت ٢٠٠١.

(٩) تفسير الجلالين ص٢٨٥ جلال الدين محمد أحمد الحلي وجلال السيوطي ط١ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ٢٠٠٦.

(١٠) الإحكام في أصول الأحكام ٩٤/٢ للآمدي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠.

(١١) تفسير غريب القرآن ٢٥٥.

(١٢) البيان في تفسير القرآن ٥٠٤ للشيخ الطوسي تحقيق أحمد العاملي ط١ دار احياء التراث العربي.

(١٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ٥٣٩/١ للطبرسي تحقيق هاشم الرسولي دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٩٧.

(١٤) المفردات في غريب القرآن: ص١٤٣.

(١٥)البرهان في علوم القران ٢١/٢ للزركشي/تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.

أسلوب التوكيد

في قصة البقرة

مصعب مكي زبيبة •
طالب ماجستير/لغة عربية

ينابيع

قبل الخوض في تحصيل النقاط الأسلوبية البارزة في قصة البقرة لابد لنا من وقفة قصيرة في التعريف بقصة البقرة التي إنما سميت السورة باسمها، فما هي قصة البقرة؟ وما العبرة المستفادة والمحصلة منها؟.

إن القرآن الكريم يعرض القصة بأسلوب معجز، لم يعط المبررات للقتل الذي حصل في القصة، ولكن تذكر الكتب تعليلات كثيرة لهذا القتل منها: (أن دافع القتل في هذه الحادثة إما المال أو الزواج، منهم من قال: إن ثريا من بني إسرائيل لم يكن له وارث سوى ابن عمه، فطال عمر هذا الثري ولم يطق الوارث مزيدًا من الانتظار، فقتله خفية ليحصل على أمواله وألقى جسده في الطريق، ثم بدأ بالصراخ والعويل، وشكا الأمر إلى موسى عليه السلام. وقال آخرون: إن القاتل أراد أن يتزوج من ابنة القتيل، فرفض ذلك، وزوج ابنته إلى أحد أخيار بني إسرائيل، فقعد له وقتله)[1].

إن من أساليب القرآن الكريم المعجزة أن يورد القصة من دون أن يقدم الدوافع والمسببات التي أدت إلى الجريمة، ولكنه يقدم القصة على جانب يشعر بأنها حدثت بالفعل وأنها نوع من المسلمات، وقصة البقرة الواردة في القرآن الكريم هي كما يأتي: (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ***

قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ* وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (سورة البقرة: من الآية ٧٦- ٣٧).

لاشك أن للقرآن الكريم حكمته في ترتيبه التوافقي المعجز، فالترتيب في الآيات القرآنية مع المضمون له علاقة وثيقة مترابطة غاية الترابط في وحدة عضوية متماسكة ، ولكن يبدو أنه في القصة أكثر وضوحًا وجلاءً للقارئ، لأن القصة بطبيعتها لابد لها من التسلسل والانسياق.

وهذا التسلسل والانسياق واضح من خلال تسلسل الأحداث فيها. فمن خلال الحوار وتسلسل الأحداث يتضح هذا التسلسل. وهذا ينطبق غاية الانطباق في قصة البقرة موضوع البحث. إذ تتناغم الفقرات والآيات ببعضها لتحصيل غاية عليا من إيراد القصة القرآنية، فنلاحظ كيفية التسلسل في أن الكلام كان قبل القصة مع بني إسرائيل، وكيف أنهم استهانوا بعهودهم مع الله سبحانه وتعالى وكثرة تجاوزاتهم فجاء التعضيد على عدم انصياعهم وامتثالهم للأوامر بهذه القصة، فالقصة جاءت في النهاية للعبرة التي ساقها القرآن الكريم. ثم إن القصة جاءت متسلسلة الأحداث حتى وصلت إلى الذروة في عنادهم، حتى الخاتمة بإذعانهم وما كادوا يفعلون فهي (ترسم سمة اللجاجة والتعنت والتلكؤ في الاستجابة،

وتمحل المعاذير، التي تتسم بها إسرائيل)[٢] والآيات في قصة البقرة عبارة عن (قصة قصيرة) محكمة النسج فيها الحوار وفيها الأحداث وفيها الشخوص، ونخرج منها برسالة تحاول القصة أن تقدمها ألا وهي: (طبيعة بني إسرائيل وجبلتهم الموروثة. وجانب دلالتها على قدرة الخالق، وحقيقة البعث، وطبيعة الموت والحياة ثم جانب الأداء الفني في عرض القصة بدءًا ونهايةً واتساقًا مع السياق[٣]. صحيح أن طبيعة بني إسرائيل، وجبلتهم الموروثة بنيت على العناد والجدال، ولكن هذه صفات إنسانية يجتمع بها الناس كافة، والقرآن بطبيعته عندما يورد قصة ويريد أن يسوق منها رسالة معينة، إنما يريد أن يسوقها للجميع وليس لمجتمع على حساب مجتمع آخر. يقول الكاتب نفسه في هذا الإطار:(إن السمات الرئيسية لطبيعة إسرائيل تبدو واضحة في قصة البقرة هذه: انقطاع الصلة بين قلوبهم، وذلك النبع الشفيف الرقراق: نبع الايمان بالغيب، والثقة بالله، والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل. ثم التلكؤ في الاستجابة للتكاليف، وتلمس الحجج والمعاذير، والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان)[٤] وقول في موضع آخر في نفس الصدد: (...وينفذوا بذبحها امر ربهم، ويعفوا انفسهم من مشقة التعقيد والتضييق .. ولكن إسرائيل هي إسرائيل)[٥] ولكن أليس هذه الصفات تعم الجميع؟ وأليس القرآن عالميًا بدعوته، وهل مهمة القرآن هو إيراد صفات بعض المجتمعات. إن مهمته أعلى وأكبر من هذا، إنها مهمة أكبر من عقولنا وفهمنا، ولكن أريد أن أقول إنه ليس معنى هذا القول أن هذه الصفات لا توجد في بني إسرائيل، بل هي موجودة ويقررها القرآن الكريم في أكثر من موضع،ولكن أقول: إن التركيز على هذه الخصائص وخصها على بني إسرائيل هذا ليس بصحيح لأنها صفات عامة ومن خصائص ومميزات البشرية بصورة عامة، ألم يكن مشركوا قريش هكذا؟! ألم يكن المنافقون هكذا؟!..

هذا فضلًا عن المضامين الأخرى التي تريد القصة أن تردها في أسلوبها المتسلسل من قدرة الله على البعث، وطبيعة التعامل الصحيح الذي يجب أن يكون بين العبد وخالقه. فالنسق (عندما يعمد المبدع إلى تكوين جملة لغوية يقوم بعمليتين متكاملتين: في الأولى يجري اختيارًا في مفردات مخزونة اللغوي، وفي الثانية يجري عملية تنظيم ما تم اختياره، بحيث يتلاءم هذا التنظيم مع النسق الذي يدور فيه الكلام)[٦]. ويجب أن لا ينفك هاتان العمليتان في إقامة النص، سواء أكان عملًا إبداعيًا أدبيًا، أو حتى علميًا، لا الانفكاك يعني عدم إيصال الرسالة إلى المرسل إليه، وبالتالي عدم بلوغ الغاية التي من أجلها تم إنشاء الرسالة. فيكون الاتساق والترتيب في النص (أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه وفي أجزائه، جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهرها على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما يتناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز)[٧].

لأن للغة نظامها الذي يبدعه المبدع أيًا كان، فيطرد فيها الانزياح والانتهاكات، وقد أشار البلاغيون إلى أهمية أن لكل مقام مقال يليق به ويعضده، أي اتصال الصياغة بالسياق.

إن الاتساق المسيطر على أجواء القصة جاء على أسلوب منتظم منسق فهي (قصة قصيدة يبدؤها، فإذا نحن أمام مجهول لا نعرف ما وراءه. نحن لا نعرف في مبدأ عرض القصة لماذا يأمر الله بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، كما أن بني إسرائيل إذ ذاك لم يعرفوا وفي هذا اختبار لمدى الطاعة الاستجابة والتسليم)[٨]. والقصة القصيرة التقليدية كما نعلم لابد لها من بداية ووسط ونهاية. وهذا يعني الاتساق الزمني والمكاني النابع من الأحداث ودور الأشخاص فيه.

(ثم تتابع الحوار في عرض القصة بين موسى وقومه، فلا نرى الحوار ينقطع ليثبت ما دار بين موسى وربه، على حين أنهم كانوا في كل مرة يطلبون منه أن يسأل ربه، فكان يسأله، ثم يعود إليهم بالجواب.. ولكن سياق القصة لا يقول: إنه سأل ربه ولا أن ربه أجابه.. إن هذا الأسلوب هو اللائق بعظمة الله، التي لا يجوز أن تكون في طريق اللجاجة التي يزاولها بنو إسرائيل!)[٩] فأسلوب القصة يعتمد على إبراز الأشياء الكبيرة والظاهرة والمهمة في جريان الأحداث ودورها في إغناء تأثير القصة في نفس المتلقي.

فـ (موضوع الأسلوب هو التعبير اللغوي عن الأفكار. وقوامه عنصران: الكلمات والجمل)[١٠].ومن خلال هذين العنصرين المهمين يتمحور دور المنشئ وتبلغ أهميته، وهذان العنصران متاحان للجميع، ولكن من يمتلك الموهبة الكبيرة هو الذي يتميز بهما. والنص القرآني كونه نصًا معجزًا من الجوانب كافة، فهو كلام الله (سبحانه وتعالى) يكون هذان العنصران قد أديا دورهما في أرقى أسلوب من النظم والتناسق والتسلسل وإيصال الهدف الذي يسعى إليه القرآن في إيصاله.

و (لكل أسلوب يعبر به عن مراده، فالأسلوب هو: طريقة لاختيار الكلمات ونظمها لتؤثر في نفس السامع أو القارئ، وتدعم المعنى الذي يريده الكاتب أو المتكلم ونقله إلى نفس السامع أو القارئ في قوة. ولذلك تختلف قيمة أقوال الشعراء والكتاب تبعًا لاختلاف أساليبهم)[١١]. فما بالك بكلام الله سبحانه الله الكلام الذي أعجز الجميع وتحدى الجميع؟.

---

(١) قصص القرآن:ص٨٩٢.
(٢) في ظلال القرآن/ج١، ص٧٧.
(٣) ن م/ج١، ص٧٧.
(٤) ن م.
(٥) ن م: ج١، ص٨٧.
(٦) البلاغة والأسلوبية، د.محمد عبد المطلب، ص٥٠٣.
(٧)إعجاز القرآن والبلاغة والنبوية/ص٤٧.
(٨) في ظلال القرآن:ج١، ص٨٧.
(٩) ن م.
(١٠) في الأسلوب الأدبي/٢٢.
(١١) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم/ص:٧.

كتاب
الدرجات الرفيعة
في طبقات الإمامية من الشيعة

د. عادل عباس النصراوي ●
جامعة الكوفة – مركز دراسات الكوفة

ينابيع

ألف السيد علي خان المدني كتاب (الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة) لتراجم أعلام الإمامية منذ عهد الرسالة المحمدية إلى عصره، فترجم فيه لرؤسائهم وأعيانهم وقادتهم وعلمائهم، لاعتبارات عديدة، وموزعين على طبقات، كلّ بحسب زمنه وصنفه.

ولعل السبب الذي دعاه إلى تصنيف هذا الكتاب أنه لم يجد كتاباً خاصاً ترجم لهم ولأعمالهم، فذهب كثير منهم أدراج النسيان أو الضياع، فلم يذكرهم ذاكر أو يسمع بهم باحث أو دارس ليرتوي من معين علمهم وفيض معرفتهم، وهذا غمط لحقّهم وخسارة لغيرهم وخاصة طائفتهم التي أنجبتهم وأورثتهم هذا العلم الجمّ والفهم بأمور العقيدة والفكر بجميع مشاربه.

اتبع السيد المدني منهجاً في ترجمة أصحابه، فهو لم يكتفِ في هذا الكتاب بذكر اسم العَلَم أو نسبه ومولده ووفاته، بل تعدى ذلك إلى ذكر طرف من أخباره ولمعات من نكاته ونوادره وشعره، ملتزماً في كل ذلك وَصفه في قالب الإيجاز والإحكام مع التزامه أن لا يُخليه من عيون الأخبار، مع التثبّت والتحري في النقل وعدم التساهل الذي لا يستسيغه العقل .

قسّم السيد المدني كتابه على اثنتي عشرة طبقة، تتلمس في هذا التقسيم أنّ طبقاته مرتبة بحسب الأهمية، الزمانية وأخرى بالطبقية، ومتسلسلاً فيمن ترجم لهم وفق هذا السياق، فقال: (ورتبته على اثنتي عشرة طبقةً، الأولى في الصحابة، والثانية في التابعين، والثالثة في المحدِّثين الذين رووا عن الأئمة عليهم السلام، الرابعة في العلماء من سائر المحدثين والمفسرين والفقهاء الخامسة: في الحكماء والمتكلمين. السادسة: في علماء العربية. السابعة:

في السادة الصفوية.الثامنة: في الملوك والسلاطين.التاسعة: في الأمراء.العاشرة: في الوزراء.الحادية عشرة: في الشعراء. الثانية عشرة: في النساء.

في هذا التصنيف تجد توازناً في التسلسل الزمني والتصنيف الوظيفي، فقد جعل الصحابة والتابعين في الطبقتين الأولى والثانية، فيما جعل المحدثين الذين رووا الحديث عن أئمة آل البيت عليهم السلام لتقدمهم على غيرهم من أهل الحديث في الدرجة الثالثة، لتأخر ظهور علم الحديث وعلومه عن زمن الطبقتين الأولى والثانية؛ ثم أردفهم بسائر المحدثين والمفسرين والفقهاء للسبب ذاته، وهكذا لباقي الطبقات الأخرى.

اشتمل كتاب (الدرجات الرفيعة) على مقدمة خصّها بما تعرّض له شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الظلم والاضطهاد فأصبحوا متخفين في زوايا الأستار، محتجبين عن الأنظار، حتى أصبح أحد من الناس ليقال له زنديق أو كافر أحبُّ إليه من أن يقال له: من شيعة علي، لما طالهم من سوء المعاملة وقسوة التعذيب بكل أنواعه وصوره، وغصب حقهم، وقد ابتدأ ظلم آل البيت عليهم السلام منذ أن أزالوهم عن مقاماتهم ومراتبهم وسعوا في إخفاء مكارمهم ومناقبهم والدس عليهم ونسب الأمور الشائنة لهم.

ثم ذكر السيد المدني ما جرى لهم ابتداءً من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ثم ما جرى لأصحابهم وشيعتهم من

بعدهم، في زمن حكم بني أمية إذ كان معاوية يكتب إلى عماله: (أن برأت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليّاً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة ما بها من شيعة عليّ....)[1]، فولى عليهم زياد بن سميّة، وكان أعرف بهم من غيره، وكان يتبع الشيعة فقتلهم تحت كل حجرٍ ومدرٍ وقطع الأيدي والأرجل، ثم كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: (أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي عليه السلام وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته والذين يروونَ فضائله ومناقبه، وتمادى معاوية أكثر من ذلك حتى أمر عماله بمحوِ اسم من ثبت بالبيّنة حبه لعليّ وأهل بيته من الديوان وإسقاط عطائه ورزقه، حتى أصبحت الشيعة في الكوفة في أسوء حال، وازداد الحال سوءً ووقع البلاء بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

وازداد وضع الشيعة سوءًا مع مجيء بني العباس، وما لقيه أهل البيت عليهم السلام في دولتهم أعظم مما وقع عليهم من بني أمية، حتى قال الشاعر:

والله ما فعلت أمية فيهم
معشار ما فعلت بنو العباس

فهذا مجمل ما خصّ به السيد المدني مقدمته

ولقد ابتدأ السيد علي خان المدني الطبقة الأولى من كتابه بالصحابة وقسمهم على بابين:

الباب الأول: في بني هاشم وساداتهم من الصحابة العلية.

الباب الثاني: في ذكر غير بني هاشم.

وقد سبق الحديث عن الصحابة بمقدمات أربعة:

المقدمة الأولى[2]، كانت في تعريف الصحابة، فذكر إن الصحابي:(هو على أظهر الأقوال من لقي النبيّ صلى الله عليه وآله مؤمناً به ومات على الإسلام ولو تخللت ردّة، والمراد من اللقاء ما هو أعمّ من المجالسة والمماشاة ووصول أحدهما إلى الآخر وإن لم يكالمه ويدخل فيه رؤية أحدهما للآخر سواء كان ذلك بنفسه أو بغيره)[3].

ثم يعمد السيد علي خان المدني بشرح هذا التعريف ونقده وبيان رأيه في كل ما ذكره في هذا التعريف، وأهم ما في هذا القول من تعريف الصحابي(ولو تخلّلت بردّة) أي وإن تخلّل إيمان الصحابي ردّة، فإن الصحبة هذه في نظر الجمهور باقية، قال السيد المدني: (فإن اسم الصحبة باقٍ سواء رجع إلى الإسلام في حياته أي النبيّ صلى الله عليه وآله أو بعده، وسواء لقيه ثانياً بعد الرجوع إلى الإسلام أم لا، هذا مذهب الجمهور خلافاً لبعضهم)[4]، وهذا ما عليه الأشعث بن قيس، وكان ممّن ارتد وأُتيَ به إلى أبي بكر أسيراً فعاد إلى الإسلام فقُبل منه.

ويذكر رأياً آخر في معنى الصحبة وذلك (أنَّ الصحابي هو من طالتّ صحبته ومجالسته للنبي صلى الله عليه وآله على طريق السمع والأخذ، وذكر أيضاً، انه قيل لا يعدُّ صحابياً إلا من أقام معه صلى الله عليه وآله سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين)[5].

وقبض الرسول صلى الله عليه وآله عن مئة وأربعة عشر صحابياً آخرهم موتاً على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن وائلة، مات سنة مئة من الهجرة النبوية المباركة.

أمّا المقدمة الثانية[6] لطبقة الصحابة، فكانت في عدالة الصحابة عند الإمامية إذ

لا يحتم الحكم بالعدالة بمجرد الصحبة، لأنّ هناك من صحب رسول اللّهﷺ ثم انقلب على عقبيه بعد موت رسول اللّه ﷺ ، وعندئذ لم تثبت عدالته، ومنهم من أظهر العداوة لأهل بيته الكرام، غير عابئ بحديث النبيﷺ: (إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب اللّه وعترتي، أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)[٧].

لقد جعل السيد المدني من موالاة آل البيتعليهم السلام معياراً لعدالة الصحابة وذلك لأن الصحابة من بعد النبيﷺ قد تفرّقوا شيعاً، فمنهم من خرج عن طريق الحق ليتبع الباطل فيوالي مَنْ عادىَ اللّه ورسوله وآهل بيته الكرام، ومنهم المنافقون، وهناك منهم من جعل من آل البيتعليهم السلام قدوتهم، مثل سلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد وأبي ذر الغفاري وغيرهم، وأورد كذلك كثيراً من الأحداث من طعن الصحابة لبعضهم فضلاً

عن السب والشتيمة، حتى بلغ حد تكفير بعضهم لبعضهم الآخر.

لذلك لم يصح عند السيد علي خان المدني الخبر بأنَّ رسول اللّهﷺ قال:(أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم).

ثم يورد بعد ذلك ما نقله أهل السير والحديث عن الأخبار في ذم الصحابة لبعضهم ومناقضاتهم وتكذيبهم، عن الصحاح والمسانيد، كصحيح البخاري ومسلم ومسند أنس وعائشة وأبي الدرداء وغيرهم، مما يورد الشك في النفوس من عدالة أكثرهم وضرورة تلمّس طريق آخر للكشف عن العدالة الضائعة بينهم وفرز الصحابي العادل عن غيره.

أمّا المقدمة الثالثة[٨]، فكانت في تقسيم الصحابي بحسب الرد والقبول إلى مردود ومقبول، وقال:(إنّ الصحابي لا يخلو من أنَّ يكون إسلامه مسبوقاً بكفر كما هو غالب الوقوع أو لم يكن مسبوقاً بكفر، بل نشأ على الفطرة الإسلامية وهي قليل كأمير المؤمنينعليه السلام والسبطين

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ .

(آل عمران:١٤٤)

من المقبولين، وعبد الله بن الزبير من المردودين، وكل من القسمين أمّا أنّ يكون كثير الصحبة والملازمة للنبيﷺ أو لا، فإن كان كثير الصحبة فلا يخلو من أن يكون سمع النص الجلي في شأن أمير المؤمنينعليه السلام أو لم يسمع، والذي سمع لا يخلو من أن يكون عمل بمقتضى النص ولم يخالف، كالمقداد وسلمان وأبي ذر(رضوان الله عليهم)، أو لم يعمل، والأول مقبول قطعاً، والثاني إمّا أن يكون عدم عمله بمقتضى النص عناداً واستكباراً أو إكراهاً وإجباراً؛ والأول إن كان مسلماً فطرياً فهو عند بعض الشيعة مرتد فطري، لا تقبل له توبة، ولا تُغفر له حوبة، وإن لم يكن مسلماً فطرياً فإن استبصر ثانياً ورجع إلى العمل بمقتضى النص فهو مقبول وإلا كان مرتداً غير فطري وكان مردوداً ...)[9] .وقد رد السيد المدني الأقوال التي توهمها العامة من أنّ الشيعة يكفرون جميع الصحابة أو أكثرهم، فهو يضع معياراً عاماً وسطاً لقبول الصحابي أو ردّه، هو موقفه من إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إذ عَدَّ علماء الشيعة الإمامية، أن محاربي عليّعليه السلام كفرة، ومخالفوه فسقة، لقول النبيﷺ: عن زيد بن أرقم:(أن رسول اللهﷺقال لعلي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام: أنا حربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم)[10]. وعن عمار بن ياسررضي الله عنه: قال :(قال رسول اللهﷺ: أوصي مَنْ آمن بي وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولّاه فقد تولّاني، ومَنْ تولّاني فقد تولى الله، ومن أحبَّه فقد أحبني، ومن أحبّه فقد أحبَّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني فقد أبغض الله عز وجل)[11]، وغيرها من الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ وآل بيته الكرام التي تذهب أنَّ حرب عليّعليه السلام وبغضه مقياس لإيمان الصحابي وغير الصحابي.

ويخرج السيد علي خان المدني بنتيجة أن الشيعة لا تكفر الصحابة كلّهم أو بعضهم، لكنهم وضعوا مقياسا تمثّل ما قاله النبي ﷺفي حقّ عليعليه السلام فيضع الصحابة على هدى هذا المعيار فيبين من خلاله درجة إيمانه وعدالته.

أمّا المقدمة الرابعة[12]، فقد ذكر فيها أن كثيرًا من الصحابة رجع بعضهم في خلافة أبي بكر وبعضهم في خلافتهعليه السلام حتى كان أكثر الصحابة معه في حروبه، فها هي معركة الجمل، كان معه منهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبو قتادة بن ربعي، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن عباس، وقثم بن عباس، وصفوة الصحابة من الهاشميين وغير الهاشميين.أما الباب الأول: والذي هو في بني هاشم وساداتهم من الصحابة العليّة، فمنهم أبو طالب بن عبد المطلب، عم النبي محمدﷺ، وكافله ومربيه وناصره؛ لأنّ عبد المطلب بن هاشم عندما مات أوصى بالنبيﷺ إليه[13]، فقال:

أوصيك يا عبد مناف بعدي
بواحد بعـــد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد
فكنتُ كالأم له في الوجد

وكان أبو طالب كثيرًا ما يخاف عليه، وكان يقيمه ليلًا من منامه ويضجع عليًّا عليه السلام مكانه، أيام عداوة قريش له.

وترجم السيد علي خان المدني كذلك للعباس بن عبد المطلب وأولاده عبد الله والفضل وعبيد الله وقثم وعبد الرحمن

وتمام، ثم ترجم لآل أبي طالب من نحو عقيل بن أبي طالب وكذلك لأبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وأخوه نوفل وغيرهم كثير من الهاشميين.

والباب الثاني: في ذكر غير بني هاشم من الصحابة، فابتدأهم بالصحابي عمر بن أبي سلمة، وأمه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، وربيبه وهو ابن تسع سنين، وحفظ عن النبي صلى الله عليه وآله الحديث وروى عنه سعيد بن المسيب وغيره، وشهد هو وأخوه سلمة مع علي عليه السلام حروبه، وروي أنّ أمهما أتت بهما إليه عليها السلام فقالت: عليك بهما صدقة فلو يصلح لي الخروج لخرجت معك[١٤].

وترجم كذلك لسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود الكندي، وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت،وأبي أيوب الأنصاري وحجر بن عدي الكندي[١٥]، وبلال بن رباح الحبشي وزيد بن أرقم، وغيرهم، وقد بلغ عدة المترجم لهم من الهاشميين أربعة وعشرين ومن بني هاشم ستة وأربعين صحابيًا، وتفاوتت تراجمهم بين الإطالة والقصر، يذكر فيها أخبارهم وفضائلهم وسنة ولاداتهم ووفياتهم.

هذا ما يسمح به المقام ، ولعلنا نوفق في ذكر باقي الطبقات التي ذكرها السيد علي خان المدني في كتابه (الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة) في مناسبة أخرى.

---

(١) الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني:٦.

(٢) ظ: الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني::٩-١٠.

(٣) ظ: م.ن:٩.

(٤)الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني:: ١٠.

(٥) م.ن:١٠.

(٦) انظر: الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني::١١-٣٢.

(٧) كفاية الخطاب، الكنجي الشافعي: ١٢و ٢٤و ١٣٠، وورد هذا الحديث بأكثر من ١٢٥مصدراً ؛ انظر: الكشاف المنتقى، كاظم الفتلاوي: ٢٠٨-٢١٤.

(٨) ظ: الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني:٣٢-٣٨.

(٩)الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني: ٣٢:.

(١٠) صحيح الترمذي:٥/٦٩٩، وقد نقل هذا الحديث أكثر من ٦٦ مصدراً، ظ:الكشاف المنتقى، كاظم الفتلاوي:١٦٦-١٦٩.

(١١) كنز العمال، المتقي الهندي: ٦/١٥٤-١٥٥، وقد نقل هذا الحديث أكثر من ثلاثين مصدرًا. ظ: الكشاف المنتقى، كاظم الفتلاوي:٢١٧-٢١٩.

(١٢) ظ: الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني:٣٩-٤١.

(١٣)الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني::٤١-٤٢.

(١٤) ظ: الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني:١٩٧.

(١٥) لقد نبش قبره أخيراً على يد خوارج العصر في نيسان من سنة (٢٠١٣م) إبان الهجمة الشرسة التي تقوم بها عصابات الكفر والظلام على بلد الأسلام سوريا.

تقنيات... الأداء التصويري ...في مناجاة

الإمام علي بن الحسين عليه السلام

أ.م.د. عقيل جاسم دهش •
مركز دراسات الكوفة

ينابيع

تعد الصورة من مستلزمات التعبير الفني، وهي مظهر من مظاهر الفن والجمال في النصوص الأدبية ومؤشر قوي على عبقرية المبدع، وهي التي تكسب الكلام صفة الشعرية، وتتجلى فيها براعة المبدع في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي وإثارة انفعالاته. لقد عمد في مناجياته الخمس عشرة إلى توظيف الصورة الفنية بالاعتماد على تقنيات متعددة تقوم على الفطنة والثراء اللغوي للتعبير عن المعاني بطريقة فنية تمكنه من خلق عنصر الاستغراب أو التعجيب لزيادة التأثير الانفعالي في نفس المتلقي ودفعه باتجاه إجراء التعديل السلوكي المرتقب، وأبرزها:

أولا: التضاد:

تعد علاقة التضاد من أهم تجليات شعريّة النص الإبداعي، وهو من أكثر الأساليب فاعليّة في خلق البنى النصية الإبداعية، التي تستدعي حضورًا فكريًا ونفسيًا للمتلقّي في النص الإبداعي، لما يحدثه من خرق أو انحراف في بنية النص قادر على إحداث خرق من نوع آخر، هو خرق في أسلوب التفكير عند المتلقّي والتحرر من سلطان المألوف والطبيعي، وهو ما يدفع به إلى مزيد من التفاعل مع النص ويستدعي منه حضورًا ذهنيًا متميّزًا للكشف عن أغوار النص ودلالاته بمزيد من التأمل والتفكير.ورد التضاد بين (تصاغر) و (تعاظم) في قوله (إلهِي تَصاغَرَ عِنْدَ تَعاظُم آلائِكَ شُكْرِي) إذ تجسد من خلال التضاد الصراع بين نعمة الخالق وشكر المخلوق، وأي قيمة لشكر الناقص المحدود الفقير الضعيف الذي لا يدفع عن نفسه ضرًا ولا يجلب لها نفعًا في إزاء آلاء الخالق التي لا تعد ولا تحصى ولا يعتريها نقص أو أفول، وكأن الشكر قد ألجم وانكمش وقلّ خطره

وانطفأ نوره وانمحى أثره بتعاظم النعم وهيمنتها واستحواذها واتساع خطرها وقوة تأثيرها وشمولها.

ثانيا: البنية الفعلية:

تستعمل البنية الفعلية في الأغلب للدلالة على التحوّل والتغيير. وقد وظّفها الإمام عليه السلام في مناجياته للتعبير عن حالة القلق والاضطراب التي تنتاب الإنسان لحظة الشعور بالندم على موقف معيّن، أو التقصير إزاء التوجه الخالص، أو العبادة الحقّة لله تعالى، أو الشعور بالذنب إزاء الخطيئة أو المعصية، ويأتي هذا الأسلوب من الإمام في معرض الوعظ والتوجيه للأمّة لإجراء التغيير السلوكي المطلوب من جهة، ومن جهة أخرى في معرض التذلل والخضوع للخالق سبحانه وتنزيل النفس- مهما بلغت من السمو- منزلة الشيء المتناهي في الصغر في قبال مقام الذات الإلهية المقدّسة. لقد وردت البنية الفعلية في قوله:(**قَدْ مَلاَ بِالْوَسْواس صَدْري، وَأَحاطَتْ هَواجِسُهُ بِقَلْبِي يُعَاضِدُ لَيَ الْهَوى، وَيُزَيِّنُ لِي حُبَّ الدُّنْيَا**) إذ أدّت البنية الفعلية وظيفة مزدوجة فهي من جهة أفادت تغطية البعد الحركي للمشهد الذي صور لنا الهواجس جيشًا أو كتيبة من المقاتلين وقد زحفت إليه وأحاطت به وضربت حصارًا على قلبه، وكأني أسمع حركة الوساوس وهي تجيش في صدره، والمخاوف وهي تحكم قبضتها على قلبه وتروح وتغدو عليه لتسلبه الدعة والسكينة وتجعله في قلق واضطراب دائمين، ومن جهة أخرى أفادت الدلالة على التحول والانتقال من حالة إلى أخرى، إذ كان صدره فارغًا

ساكنًا مطمئنًا وإذا به تملؤه الوساوس وتجعله مثقلًا مضطربًا، وإذ كان قلبه حرًا طليقًا وإذا به يغدو محاصرًا أسيرًا للمخاوف والقلق والحيرة.

ثالثا: البنية الاسمية:

تستعمل البنية الإسمية في الأغلب للدلالة على الثبوت والاستقرار. وقد وظّفت في كلام الإمام عليه السلام للتعبير عن البعد النفسي للإنسان المؤمن في مناجاته لله عز وجل والتضرع إليه فضلًا عن وظيفتها الدلالية المتمثلة في تأكيد المعنى المقصود وترسيخه في ذهن المتلقي. وردت البنية الاسمية في قوله: (**أَنْتَ لا غَيْرُكَ مُرادي، وَلَكَ لا لسواكَ سَهَري وَسُهادي، وَلِقاؤُكَ قُرَّةُ عَيْني، وَوَصْلُكَ مُنى نَفْسي، وَإِلَيْكَ شَوْقي، وَفي مَحَبَّتِكَ وَلَهي، وَإِلى هَواكَ صَبابَتي، وَرِضاكَ بُغْيَتي، وَرُؤْيَتُكَ حاجَتي، وَجِوارُكَ طَلَبي، وَقُرْبُكَ غايَةُ سُؤْلي، وَفي مُناجاتِكَ رَوْحي وَراحَتي، وَعِنْدَكَ دَواءُ عِلَّتي، وَشِفاءُ غُلَّتي، وَبَرْدُ لَوْعَتي، وَكَشْفُ كُرْبَتي**) للدلالة على الثبوت والاستقرار ومطابقة القول الظاهري للاعتقاد الباطني وأن المعاني المذكورة هي أمور ملموسة وحقائق محسوسة، وذلك لأن القرب من الله تعالى ووصاله والظفر برضاه هو الغاية الأسمى ومنية نفس المؤمن وطلبته ومراده وأن الشكوى إليه وحده سبحانه إقرار له بالقوة واللطف وتسليم لإرادته وحسن ظن به، أما الشكوى لغيره فذل للعبد وسوء ظن منه بربه وخالقه، وكذلك فإن الوجد والشوق واللوعة والسقم سمات العاشق المتيّم بمعشوقه، ولا شك أن حب الله تعالى يسمو على حب البشر لأنه أمل العارفين وغاية المحبين ودليل التائهين ومنتهى طلب السائلين، وهو الرحمن البر الرحيم الذي تتطلع إليه العيون المفتونة وتشتاق إليه القلوب المشغوفة وتتوق إلى قربه ووصاله النفوس الزكية الملهوفة.

رابعا:الاستعارة:

تعد الاستعارة أداة الشاعر في عملية الخلق الشعري. وهي أقدر وسائل التعبير الفني على إحداث التأثير المطلوب في المتلقي ومنح التعبير الشعري هويته الفنية والجمالية، إذ تجنح إلى تشكيل علائق غير متجانسة وإحداث خروقات غير مسبوقة لتنسحب من فلك المألوف والمتجانس إلى نقيض ذلك، يقول الدكتور مجيد عبد الحميد: (إن الاستعارة عملية خلق جديد في اللغة ولغة داخل اللغة فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات وبها تحدث إذابة لعناصر الواقع وإعادة تركيبها من جديد، وبذلك تمنع الاستعارة اللغة الشعرية من الابتذال بما تقوم عليه من مبدأ تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية. وقد لعبت الاستعارة دورًا مهمًّا وحيويًا في تشكيل الصورة الشعرية في مناجيات الإمام عليه السلام، ومما ورد من استعاراته:

استعارة الشجرة للشوق والحديقة للصدر في قوله:(**إلهي فَاجْعَلْنا مِنَ الَّذينَ تَرَسَّخَتْ أَشْجارُ الشَّوقِ إِلَيْكَ فِي حَدائِقِ صُدُورِهِمْ**) لكون الشجرة والشوق يمتلكان القدرة أو القابلية على النمو والترعرع والإثمار، وإن الحديقة والصدر يمثلان الحاضنة أو التربة الصالحة للنمو والترعرع، وهما استعارتان تصريحيتان إذ شبه دواعي الشوق بالأشجار في إمكانية النمو والاشتداد ثم حذف المشبه

وأبقى المشبه به، وشبه جوانح الصدر بالحديقة فكما أن الحديقة تحتضن البذور حتى تنبت وتصير أشجارًا، كذلك جوانح الصدر تشتمل على الشوق فينمو بداخلها ويترعرع ثم حذف المشبه وذكر المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

واستعارة الوجه المبرَّز (السافر) للمعصية المُعرّاة (وَانْزَعْ عَنَّا جَلابِيبَ مُخالَفَتِكَ)، وهي استعارة مكنية تخييلية إذ شبه المعصية أو (المخالفة) بالوجه فكما أن الوجه يسفر وتبرز ملامحه إذا رفع عنه الخمار، فكذلك المعصية تتعرّى وتفتضح إذا أزيلت مسوغاتها ودواعيها، ثم حذف المشبه به وأبقى على لازمه وهو الجلباب، ويحتمل أن تكون استعارة تصريحية فيكون شبه الأهواء بالثياب في إمكانية خلعها والتخلص منها فضلًا، عن كونها تزيّن المعصية للإنسان كما تزيّن الثياب البدن، ثم حذف المشبه وذكر المشبه به وأراد أنه يمكن للنفس بالإرادة الصلبة والتوفيق الإلهي أن تتخلص من أهوائها ونزعاتها المنحرفة كما يتمكن الإنسان من أن يخلع ثيابه الرديئة أو المتسخة ويتخلص منها.

واستعارة السبع للمنية في قوله: (وَعَلَّقْتنا بِأَيْدِي الْمَنايا فِي حَبائِلِ غَدْرِها) إذ يشتمل النص على استعارتين، الأولى استعارة السبع للمنية وهي استعارة مكنية فقد شبه المنية بالسبع في كونهما يفاجئان فريستهما، فكما أن السبع يتحين الفرصة لمفاجأة الفريسة والانقضاض عليها، فكذلك الموت يفتك بالإنسان فجأة ومن دون إنذار سابق أو موعد محدد، ثم حذف المشبه به وأبقى لازمه وهو اليد، أو تكون من باب الاستعارة التخييلية أي جعلتنا في قبضة المنية وتحت حكمها، وإن فعل المنية بالإنسان فعل القابض على الشيء يقلبه بيده، والثانية استعارة الصياد للمنية إذ شبه المنية بالصياد في الإمهال والمكر والخديعة، فكما أن الصياد يلقي شباكه ويتلطف في إخفائها ليصطاد بها فريسته فكذلك المنية في إعراضها وإمهالها للإنسان قبل أن توقع به فجأة وتصطاده على حين غرَّة، ثم حذف المشبه به وجاء بلازمه وهو الحبال.

خامسا: التناص:

عمد الإمام عليه السلام إلى تشكيل صوره ببراعة وحرفية عالية، ولعبت الصورة في كلامه دورًا نفسيًا في التـأثير في المتلقي فضلًا عن دورها في التعبير عن المعاني بطريقة فنية، وكان للصور القرآنية حضور فاعل في فكر الإمام عليه السلام ولذلك جاء التناص في مناجياته مع صور قرآنية عديدة، منها:

صورة الرجل المتلبِّس بالفتن المكتوي بنارها الذي جعلته غرضًا لسهامها وأصابت منه مغنمًا عظيمًا، في قوله: (**وَلاتُصَيِّرَني لِلْفِتَنِ غَرَضاً**)، وقد وردت في قوله تعالى: (**كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا**)، (سورة النساء:١٩) وقوله: (**وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا**)(سورة المائدة:١٤).

وصورة الرجل الغافل عن ذكر الله، الذي تمادى في طلب الدنيا وعزف عن الآخرة، ولها عنها وقد غفا ونام وعشعشت على رأسه الطير وباضت وأفرخت وهو غارق في ملذاته وأحلامه، طالب عرض الدنيا الزائل زاهد في الآخرة ونعيمها الدائم لا يحرك ساكنًا ولا ينتبه من طول نومته ولا يصحو من شدة سكرته، في

قوله (**إلهي إليْكَ أَشْكُو نَفساً..مَمْلُوَّةً بالْغَفْلَة وَالسَّهُو**)، وقد وردت في قوله تعالى (**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**) (سورة الأنبياء: ١)، وقوله: (**يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا**) (سورة الأنبياء: ٧٩).

وصورة الرجل الآيس من الشيء ثم لا يلبث أن يجده في متناول يده، وهذا أوقع في النفس وأشد تعلقًا في القلب لأن الشيء إذا عزّ طلبه واستنفد لأجله الجهد ولم يكن يتصوّر حصوله أو تحققه، وإذا به يظفر به ويستحوذ عليه، فعندها يكون نيله أحلى وأشغف وموقعه من النفس أجل وألطف، عبّر عنها الإمام عليه السلام في قوله: (**وَإِنْ أَوْحَشَ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَرْطُ الْعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ، فَقَدْ آنَسَنِي بُشْرَى الْغُفْرانِ وَالرِّضْوانِ**)، وقد وردت في قوله تعالى: (**حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا**) (سورة يوسف:١١٠)

الصحيفة السجادية: ٣٠٢

م ن: ٧٩١

م ن: ٧٠٢

ظ : قضايا الشعرية :٨٥١

ظ : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، ط١، ١٩٨٤م :٧٠١.

الصحيفة السجادية: ٢١٢

من:٦١٢

من:٦١٢

من: ٧٩١

الصحيفة السجادية: ٦٩١

الصحيفة السجادية: ١٠٢

(وكَانَ مِنْ دُعَاء الإمام السجاد عَلَيْه السَّلَامُ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ)

(الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِه ، وجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِه لِنَكُونَ لإِحْسَانِه مِنَ الشَّاكِرِينَ ، ولِيَجْزِيَنَا عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ . والْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي حَبَانَا بِدِينِه ، واخْتَصَّنَا بِمِلَّتِه ، وسَبَّلَنَا فِي سُبُلِ إِحْسَانِه لِنَسْلُكَهَا بِمَنِّه إِلَى رِضْوَانِه ، حَمْداً يَتَقَبَّلُه مِنَّا ، ويَرْضَى بِه عَنَّا . والْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَه شَهْرَ رَمَضَانَ ، شَهْرَ الصِّيَامِ ، وشَهْرَ الإِسْلَامِ ، وشَهْرَ الطَّهُورِ ، وشَهْرَ التَّمْحِيصِ ، وشَهْرَ الْقِيَامِ (الَّذِي أُنْزِلَ فِيه الْقُرْآنُ ، هُدىً لِلنَّاس ، وبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدى والْفُرْقَانِ) فَأَبَانَ فَضِيلَتَه عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَه مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمَوْفُورَةِ ، والْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ ، فَحَرَّمَ فِيه مَا أَحَلَّ فِي غَيْرِه إِعْظَاماً ، وحَجَرَ فِيه الْمَطَاعِمَ والْمَشَارِبَ إِكْرَاماً ، وجَعَلَ لَه وَقْتاً بَيِّناً لَا يُجِيزُ - جَلَّ وعَزَّ - أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَه ، ولَا يَقْبَلُ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْه . ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيه عَلَى لَيَالِي أَلْفِ شَهْرٍ ، وسَمَّاهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ والرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ) ، دَائِمُ الْبَرَكَةِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه بِمَا أَحْكَمَ مِنْ قَضَائِه .

فضل شهري رجب وشعبان

* عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (رجب شهر الاستغفار لأمتي أكثروا فيه الاستغفار ، فإنه غفور رحيم ، وشعبان شهري . استكثروا في رجب من قول أستغفر الله ، وسلوا الله الإقالة والتوبة فيما مضى والعصمة فيما بقي من آجالكم ، وسمي شهر رجب شهر الله الأصب لان الرحمة على أمتي تصب صبا فيه ، ويقال الأصم لأنه نهي فيه عن قتال المشركين ، وهو من الشهور الحرم).

(بحار الأنوار/ المجلسي ج٩٤ص٣٨)

* عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رجب شهر الله الأصب وشهر شعبان تتشعب فيه الخيرات.

(وسائل الشيعة / الحر العاملي ج١٠ص٣١٥)

* عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رجب شهر الاستغفار لأمتي، أكثروا فيه من الاستغفار فإنه غفور رحيم ، وشعبان شهري ، استكثروا في رجب من قول : (استغفر الله) وسلوا الله الإقالة والتوبة فيما مضى ، والعصمة فيما بقي من آجالكم ، وأكثروا في شعبان من الصلوات على نبيكم.

(وسائل الشيعة / الحر العاملي ج١٠ص٥١٢)

* روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : إنّ رجب شهر الله العظيم لا يقاربه شهر من الشهور حرمة وفضلاً ، والقتال مع الكفار فيه حرام ، ألا إنّ رجب شهر اللهُ ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمتي . ألا فمن صام من رجب يومًا استوجب رضوان الله الأكبر ، وابتعد عنه غضب الله وأُغلق عنه باب من أبواب النار .

عيون أخبار الرضا عليه السلام: بالإسناد إلى دارم ، عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله رجب شهر الله الأصب يصب الله فيه الرحمة على عباده ، وشهر شعبان تشعب فيه الخيرات.

(بحار الأنوار/ المجلسي ج٩٤ص٣٦)

صلح الإمام الحسن عليه السلام في فكر المستشرقين

كريم جهاد الحساني •
مركز الأمير(عليه السلام)لإحياء التراث

ينابيع

حَفلَ التاريخ الإسلامي بالوقائع المهمة التي مثّلت تحولاً خطيراً في الواقع السياسي الإسلامي، وكان لموضوع الخلافة الدور البارز في ظهور الخلافات السياسية التي أصبحت نقطة الخلاف والانقسام عند المسلمين، وأدى بالتالي إلى ظهور تلك الوقائع في صدر الإسلام وجلبت الويلات على المسلمين .

وصُلحُ الإمام الحسن عليه السلام واحدٌ من تلكمُ التحولات الخطيرة التي شهدت وضعاً سياسياً مرتبكاً بين المسلمين، فهي ليست واقعة عابرة أو حادثة سطحية احتوت البساطة في مجرياتها، بل كان لها الأثر الأكبر عمقاً في امتداد الرسالة الإسلامية والأكثر تأثيراً في سير خطّها الطويل.

وحيث إنّ مسألة الصلح تتعلّق بجوهر الرسالة السماوية وتكملة الإنجازات النبوية التبليغية، وتكمن في إبراز وصاياها التي لا تنقسم ولا تفترق عن الأوامر القرآنية التي صدرت عن الباري عزّوجل في إثبات القوانين اللازمة على صاحب تلك الرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله، ومن ثم على المسلمين الالتزام بها والسير عليها وهو ما جاء في قوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**[1]، لذلك فقد حدد القرآن الكريم الواقع السياسي والهيكلية الإدارية للمسلمين في حالة انتقال المُبلّغ الأول وصاحب الرسالة إلى الباري عزّوجل، ولم يشأ أن يضع المسلمين في حالة الحيرة؛ لأنّ القرآن الكريم كان قد رسمَ الخطوات الأساسية المهمة للمسلمين، وليس من الصحيح أن يتركهم سداً يقعون في غيّهم وحيرتهم .

ولكن في حالة عدم التزام المسلمين بما صدرَ عن المُدبّر الأول وواضع القوانين لهذا الكون، فإنّ الويلات سوف تحلُ بهذا المجتمع الذي سوف ينحدر إلى الهاوية، وهذا ما حدث بالفعل وأدى إلى سلسلة

من الصراعات والنزاعات بين المسلمين أنفسهم، بعد أن أولدت خلافات عميقة كانت أسبابها تتعلّق باليوم الأول الذي رحلَ فيه المبلّغ المحمدي للرسالة الإلهية، ويعتبر السبب الرئيس لذلك هو عدم التزام المسلمين للأمر الإلهي منذ ذلك اليوم وانطلاق الشرارة التي توّهجت نيرانها في الخلاف الذي دبَّ بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، ممّا أدى في نهاية المطاف إلى اللجوء إلى الصلح .

الصُلح في المنظومة الاستشراقية

قبل التعرض لآراء المستشرقين في صلح الإمام الحسن عليه السلام، لابد من الإشارة إلى أن هذا الصلح بقي منذ حصوله إلى يوم الناس هذا موضع خلاف بين المسلمين وغيرهم من جهة ،وبين الشيعة أنفسهم من جهة أخرى، في أسبابه ونتائجه وجدواه، فمنهم من اعتبره فتحًا كصلح الحديبية، وعزًّا للمؤمنين، وكشفًا لزيف الحكم الأموي الذي كان يحكم باسم الإسلام. ومنهم من اعتبره انتكاسة في تاريخ الشيعة وذلًا لهم.للمزيد مراجعة كتاب (صلح الحسن للشيخ مرتضى آل ياسين).

وكيفما يكون فإن الإمام تعرض لهجمة شرسة وما زال يتعرض لها، تحاول النيل منه بشكل أو بآخر (وليس يضر الحسن بن علي أن تظلمه الضمائر البليدة ثم ينصفه التمييز . وإن لهذا الإمام من مواقفه ومن مواهبه ومن عمقه ومن أهدافه ما يضعه بالمكان الأسنى من صفوة (العظماء) الخالدين .)(صلح الحسن/ص١٩)

فإذا كان هذا التباين بالمواقف بين

المسلمين أنفسهم ، فلنا أن نتصور ما ينقله المستشرقون، فمنهم واضح الحقد والكراهية ،ومنهم من دس السم بالعسل باسم العلم والحيادية والموضوعية.

والمتتبع لأغلب تلك الآراء والدراسات التي تحاملت على الإمام الحسن عليه السلام يرى كثيرًا من المؤاخذات التي حملت في طياتها الحقد والكراهية والتعصب على حفيد رسول الإسلام النبي محمد(ص)، وهذا ناتج لا محالة عن القصور الذهني، والاعتماد على المصادر التاريخية التي صنعتها أيادي السلاطين، وأنتجتها تلك العقول التي لا تحمل سوى الحقد والكراهية لآل البيت عليهم السلام.

ويلمس القارئ في كتابات تلك المنظومة كثيراً من التهجم والتجريح البعيدين عن الحيادية والموضوعية للباحث الذي يُريد أن يصل إلى الحقيقة دون المساس بهذا أو ذاك، ولعلّ بعض هذه الآراء جاءت بوحي من المبشرين الذين غزو العالَمَين العربيّ والإسلامي، وأرادوا تغطية الفشل الذي وصلوا إليه، فعمدوا إلى تشويه الحقيقة التي هي أبين من الشمس في واضحة النهار .

ونحن هنا لسنا بصدد الرد على التخرصات والأقاويل البائسة بشكل تفصيلي، وإنما ننوه بإمكانية الرد على تلك الآراء لأنها لا تصمد أمام الواقع والدليل.

وإليك بعض هذه الآراء :

فالمؤرّخ (فيليب حِتّي) في كتابه (تاريخ العرب)[2] الذي أرجع الوقائع التاريخية التي حدثت بعد مقتل الإمام علي عليه السلام إلى النزاع حول خلافة المسلمين، وسرد كلاماً حول معنى الخلافة، وهل هي منصب سياسي أم لا ؟ وما كان من رأي الطرفين الأموي والهاشمي حول هذا المنصب، ويعزو (حِتّي) سبب تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن عرش الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، لأنّ الحسن بن علي عليه السلام لم يكن يهتم بأمور السياسة والحكم، بل كان مهتماً بحياته الشخصية ، قائلاً:(غير أن الحسن بن علي لم يكن يهتم كثيراً بأمور السياسة والإدارة والحكم، بل انقطع إلى أمور حياته الشخصية وما لبث أن نزل عن الخلافة لمعاوية واعتزل في المدينة).

وهذا أمرٌ غير مبرر له؛ لأنّ السياسة عند أهل البيت عليهم السلام التي يجب أن تسود جميع أنحاء البلاد هي السياسة البناءة التي تضمن المصالح العامة للمجتمع، وبذلك تعمل على إيجاد الوسائل السليمة لرقيّه وبلوغ الأهداف، ومن ثم حمايته من الظلم والجور، وتحقيق المساواة وتبنّي العدل، وإيجاد الفرص المتكافئة لعموم المسلمين لوقايتهم من البؤس والحرمان .

ولقد تمادى بعض المستشرقين على الإمام الحسن عليه السلام ،ومنهم المستشرق الإنكليزي (أنطوني ناتنج) في كتابه (العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام)، إذ وقع في أخطاءٍ قد تعمّدَ في تدوينها، وممّا يزيد الطينَ بلّة، أنّ مترجم هذا الكتاب وهو الدكتور راشد البراوي قد ساهم في إيجاد المبررات لاستخدام هذا المستشرق الأسلوب غير الموضوعي لمعالجة أحداث التاريخ الإسلامي .

إذ يُشير (ناتنج) أثناء حديثه عن الإمام الحسن عليه السلام وهدنته مع معاوية بن أبي سفيان، أنّ مبايعة أهل الكوفة للإمام الحسن عليه السلام كانت قد صدرت من باب الاحترام لذكرى والده الإمام علي عليه السلام، وأنّ الحسن عليه السلام كان يؤثر العافية ويحب السلم[3] .

إنّ البيعة الكوفية التي ذكرها (ناتنج) لم يشأ أن يضعها على طاولة الدراسة والتحليل، وإنما تأثر كما تأثر غيره بتحليلات المغرضين والحاقدين لآل البيت عليهم السلام. فالبيعةُ : هي العهد على الطاعة؛ لأنّ المُبايع يُعاهد أميرهُ على أن يُسلّم له أمر النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا يُنازعه على ذلك، ويُطيعهُ فيما يُكلّفهُ به من الأمر، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد، فأشبه ذلك كُلاً من البائع والمشتري، فسُميَّ بيعة[٤].

وقد أفرزت دراسة المستشرق الألماني (شتور ثمان) حولَ الربط بين الإمامة والشيعة، وابتغاء الأخير أن تبقى الإمامة في الإسلام للعلويين، باعتبارهم (آل بيت) النبي محمد صلى الله عليه وآله، وهذا ما لم يتحقق، فخلافة علي عليه السلام القصيرة بين عامي (٣٥و٤٠) لم تكن سوى خلافة لم يجمع عليها المسلمون وتنازعوا في شأنها تنازعاً شديداً، أما ابنه الحسن والقول لـ (شتور ثمان) فإنه لا يمكن أن يسلك (بحق في عداد الخلفاء)[٦] .

إنّ هذا الكلام الصادر من المستشرق الألماني مرفوض، لأنَّ المصادر التاريخية الإسلامية لا تقرّهُ، فالإمام الحسن عليه السلام تولى الخلافة بشرعية كاملة وبويعَ من قِبل المسلمين، كما أشرنا إلى ذلك في عدة مواضع، وبعد عقد اتفاقية مع معاوية تنازلَ عن الخلافة (بصفتها الدنيوية) وفق شروط مُعيّنة ومدوّنة .

ويذهب (جرهارد كونسلمان) إلى الرأي الشائع الخاطئ عند المستشرقين من أن الحسن عليه السلام هو الذي طلب أولاً الصلح من معاوية بن أبي سفيان بعد أن فقد الأمل في نهاية المعركة، قائلاً :

((عندئذ فقد الحسن الأمل في نهاية طيبة لمعركته مع معاوية وأدرك في يُسر أنه خسر معركته السياسية، فقرر الحسن التعامل مع معاوية في الحال . فأرسلَ مبعوثاً إلى دمشق بغرض محدد للتنازل فرّد عليه معاوية فوراً بأنه مستعد أن يُكافئ الحسن بسخاء، وفي حالة تنازله عن كل الحقوق التي حصل عليها بانتمائه لعائلة النبي صلى الله عليه وآله. وكان العُرف ينص على أن يقوم الإمام الحسن عليه السلام بنفسه بتحديد المبلغ الذي يراه مناسباً . وفي ردّه قام الحسن عليه السلام بتحديد مطالبه مقابل تنازله عن الخلافة يطلب خمس ملايين درهم – مرة واحدة للأبد – ويمنح طيلة حياته إقليماً غنياً في بلاد فارس، وتُعادل قيمة هذه المطالب إلى عشرة ملايين دولار . وقد مدّ الحسن أثر التنازل عن الخلافة على أخيه الحسين أيضاً، فبيع حقوق الأخير تعني نصف المبلغ الذي طلبه الحسن لنفسه، ولكي يُبرر الحسن خيانته لقضيته ببيع حقوق

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنه لما وقع عليه ـ ويقصد الإمام الحسن عليه السلام ـ من أصحابه ما وقع ، وألجأه ذلك إلى مصالحة معاوية ، فصالحه ، واشتد ذلك على خواص أصحابه ، فكنت أحدهم فجئته فعذلته ، فقال :(يا جابر ، لا تعذلني ، وصدق رسول الله في قوله : (إن ابني هذا سيد ، وإن الله تعالى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) .

(الثاقب في المناقب/ ابن حمزة الطوسي ص٣٠٦)

بيت النبي ردد الحسن مقولة مزعومة عن الرسول(ص) تُضفي على استسلامه صيغة تقديس إطاعة مشيئة الله . ونص المقولة هو : (بحَسَن يجعل الله حزبيّ الإسلام المتناحرين أمّة واحدة) . ولمّا كان أهل الكوفة مبهوتين لما حدث فقد أقروا تنازل حفيد النبي عن السلطة في الدولة الإسلامية واستمعوا إلى خطبته الأخيرة في الجامع غير مبالين . وقد قام الحسن بمحاولة تبريره للتنازل عن السلطة :لقد أخضع الله الدنيا للتغير المستمر) [٧] .

ويَعزي (كارل بروكلمان) صُلح الإمام عليه السلام مع معاوية إلى أنه بسبب حفنة من الأموال تنازل عن حقّه بالخلافة، بقوله :

(والواقع أنه آثر مفاوضة معاوية وتنازلَ عن حقّه في الخلافة على أن يُترك له خمسة ملايين درهم كانت في بيت مال الكوفة) [٨] .

إنَّ ما أشار إليه المستشرق ليس هو الواقع؛ لأنَّ ما في خزانة الكوفة من الأمتعة والأموال قد كانت تحت تصرّف الحسن عليه السلام، فضلاً عن أنها لم تكن محجوبة أو ممنوعة عليه حتى يشترط على معاوية أن يُمكّنهُ منها، بالإضافة أن الإمام الحسن عليه السلام كانَ في غنى من أموال معاوية، وليس بحاجة لها، ولو كان كذلك فلا ضير على الإمام من أخذها، لأنّ إنقاذ أموال المسلمين من حكام الجور أمرٌ واجب .

أماالمستشرقة البولونية (بوجينا غايانة ستشيجفسكا)، والتي تعد من ظاهر كلامها من المنصفين للإمام الحسن عليه السلام، فقد دست السم بالعسل ، في دفاعها عن الإمام الحسن عليه السلام ،فطعنت به وبأمير المؤمنين عليه السلام، كما جعلت معاوية وأتباعه القاسطين بمراتبهم وبمصافهم، بقولها :(بعد مقتل علي بايع شيعته ابنه الحسن وأقام في الخلافة ٦أشهر ولم يخضع معاوية له فكادت تكون بينهما حروب كما كان في أيام أبيه، ولكن الحسن فكّر في الأمر ونظرَ إلى الظروف نظرةً صائبة، وكان يكره الفتن ويحب للمسلمين الألفة . فرأى خير المسلمين أن يتنازل عن الخلافة إلى معاوية وصالحه على شروط رضيها الطرفان، وكتب إلى معاوية بالبيعة وسلّم إليه الكوفة في أواخر ربيع الأول سنة ٤١ .وبذلك تمَّ ما قاله الرسول في الحسن ((إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين)[٨].

---

(١)المائدة ، ٦٧ .

(٢)حتي ، فيليب تاريخ العرب ، ترجمة : ادوارد جرجي وجبرائيل جبور ، ط لبنان – ١٩٧٤، ، ص٢٤٤- ٢٤٦

(٣)ناتنج ، انطوني ، العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام ، ترجمة : راشد البراوي ، ط مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ١٩٧٤م ، ص٩٢ .

(٤)ينظر : تاريخ ابن خلدون ، المقدمة ، ج١ ، ص٢٠٩ .

(٥)شتروثمان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ص٥٨ ، مادة (شيعة) .

(٦)كونسلمان ، جرهارد ، سطوع نجم الشيعة ، ترجمة : محمد أبو رحمة ، ط الاولى – مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٩٢م ، ص٤٥ . ، ص٤٧ .

(٧).بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب العربية (العرب والامبراطورية العربية)، ترجمة : د . نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ، ط الثانية – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٥٣م ، ج١ ، ص١٤٥ .

(٨)ينظر : ستشيجفسكا ، بوجينا ، تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها ، ط الاولى – التجارية – بيروت ١٩٦٦م ، ص٩٦ .

ذكرى هدم قبور أئمة البقيع

٨ شوال ١٣٤٢ هـ

البقيع أرض مقدسة، وأرض مشرفة، وتربة معظمة بل هي قطعة من الجنة لأنها تضم ـ في طياتها.. أبدان ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وأجساد جمع من أولياء الله. وقد كانت على هذه القبور قباب وبناء، وكان لها صحن وحرم، فكانت عظيمة في أعين الناس، شامخة في قلوب المسلمين... محفوظة حُرمتها وكرامتها، وكان الناس يتوافدون على هذه البقعة المقدسة لزيارة المدفونين فيها ـ عملاً بالسنة الإسلامية من استحباب زيارة القبور وخاصة قبور ذرية رسول الله وأولياء الله تعالى. شن الوهابيون حملتهم عليها، فعَمدوا إلى هذه القباب المكرمة فهدموها بمعاول الحقد على النبي صلى الله عليه وآله وسَوّوا تلك القبور مع الأرض، وحّولوا البقيع إلى تراب وغبار وأحجار ـ بعد أن كان مفروشاً بالرخام ـ ونَهبوا كل ما كان فيه من فُرش غالية وهدايا عالية، وسرقوا المجوهرات واللآلئ، التي كانت داخل أضرحة أهل البيت عليهم السلام. وذلك في الثامن من شوال عام ١٣٤٢ هـ . كما قاموا قبل ذلك بفعلة شنيعة في سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١م) بالاعتداء على مباني مدينة كربلاء، فهدّموا المساجد والأسواق، والكثير من البيوت التراثية المحيطة بالمرقدين وعبثوا بالمراقد المقدسة وهدموا سور المدينة، وبذات أفكارهم وفتاواهم السقيمة هدموا مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء قبل عدة أعوام وتحديدا في ٢٣ محرم ١٤٢٧ هـ الموافق ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٦ م ليؤكدوا من جديد حقدهم على النبي واله، وبأنهم ليسوا بعيدين عن الإسلام فحسب بل (هُمُ العَدُوْ فاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللهُ أنّى يُؤفَكُوْن).

الأسلوب التجديدي عند الشيخ المفيد

رسالة المسح على الرجلين أنموذجاً

د. ثائر عباس النصراوي ●
جامعة الكوفة/ كلية التربية

ينابيع ترك الشيخ المفيد مؤلفات متنوعة وفي موضوعات شتى كلها تعبر عن روح العصر وحاجته الماسة لمثل تلك المؤلفات سواء على مستوى التنظير العقيدي الأصولي أو على مستوى التطبيق العملي الفقهي ، وإن أكثر تلك المؤلفات كانت في العقائد والكلام والردود والنقوض،إذ أثبت السيد عبد العزيز الطباطبائي في مقال له عن الشيخ المفيد إن نسبة الكتب الكلامية والاحتجاجية من مصنفات الشيخ المفيد قد ترتقي إلى نسبة (٥٧٪) من مجموع مؤلفاته[١] ، والمتابع لهذه المؤلفات فانه يجدها تعبر عما يأتي [٢]:

١. إنها صدى لروح العصر الذي عاش فيه الشيخ المفيد وانعكاساً واضحاً لطبيعة تلك الحقبة الصاخبة بالجدل الديني والمناظرات المذهبية .

٢. إنها تمثل ابرز ثورة فكرية عرفها الفكر الإسلامي آنذاك والفكر الشيعي بالذات يوم كانت بغداد مسرحًا لعقائد وآراء ونزعات ومذاهب في مختلف أشكالها وألوانها وهي في نقاش وجدل مستمرين .

٣. إن هذه الثورة الفكرية لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل حرية فكرية واسعة تشمل الجميع بل وحتى الملاحدة والزنادقة .

لذا كان على الشيخ المفيد وهو مرجع الشيعة الإمامية العلمي والفكري أن ينبري لمصارعة زعماء تلك المذاهب والاتجاهات والنزعات بما وهبه الله من طاقة علمية حية وفكر واع رحب ، ومن هنا كانت مؤلفاته في الأكثر ذات طابع متميز عن مؤلفات غيره وإن الصفة المميزة لها هي تشبعها بروح الجدل والمناظرة

أو بروح الدفاع العقائدي أو التقريري لمذهب أهل البيت عليهم السلام[٢].

وهناك بعض المؤلفات التي مثلت هذه النظرة عند الشيخ المفيد منها :

المسح على الرجلين والإفصاح في الإمامة ورسالة في المهر وجوابات أهل الموصل والمسائل السروية والحكايات في الرد على المعتزلة وغيرها من المؤلفات الأخرى .

الأسلوب التجديدي في رسالة المسح على الرجلين

تمثل هذه الرسالة واحدة من بحوث الشيخ المفيد الفقهية ، وخاصة في مجال الفقه المقارن الذي يتم البحث فيه مع العامة المخالفين لنا في المباني الأصولية والمناهج الفرعية ووحدات الأدلة وطرق الاستدلال بها .

والشيخ يعتمد منهجه الرصين للبحث العلمي على :

١ - فهو أولًا - يوافق الخصم ، عندما يستدل بحديث يرويه كل بطرقه عن النبي صلى الله عليه وآله ، فلا يجابهه الشيخ بإنكار الرواية وردها كما لم يعارضه بإنكار مبناه في الاعتماد على أخبار الآحاد ، التي لا يعترف الشيخ بحجيتها . فهو يقول للخصم : (أنا أسلم لك العمل بأخبار الآحاد تسليم نظر وإن كنت لا أعتقد ذلك) ووجهته في هذا التصرف ما ذكره . يقوله : (استظهارًا في الحجة) يعني إذا ألزمه على مبناه وأبطل مستنده كان ذلك أنجع في الحجة وأحكم في الإلزام . ويقول له أيضًا : (نحن سلمنا حديثك ، وما رويناه قط ، ولا صححه أحد منا ، ثم كلمناك عليه . . . وقد كان يسعنا دفع حديثك في أول الأمر) ويطلب منه الإنصاف واتباع نفس الطريقة فيقول : فينبغي لك أن تنصف وترضى لغيرك بما

ترضاه لنفسك) . وبهذا قرر الشيخ المفيد واحدة من (آداب البحث والمناظرة) .

٢ - وهو ثانيًا ينبه الخصم على عدم صحة (الانتقال في المناظرة) وأصل (الانتقال) هو : ترك الدليل الأول ، والاعتراض بشيء أخر . فالمفروض في البحث العلمي أن يكمل المستدل دليله الأول ، ويخرج عن عهدته ، بجميع فروضه ونقوضه وما يرد عليه ، ثم يتركه إلى غيره . وقد ذكر الشيخ - بكل هدوء - أمثلة لهذا الانتقال ، وأوضح عدم صحته ، وبين ما وقع من المستدل من ذلك . ثم إن الشيخ تصدى لرد الخبر الذي استدل به الخصم وهو المنسوب إلى النبيﷺ من قوله : (هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به) بعد أن غسل رجليه في ذلك الوضوء . وقد رده الشيخ بوجهين :

١ - بتحليل الخبر على أساس من ألفاظه ومفرداته ، فقال ما معناه : إن اسم الإشارة (هذا) يدل على أن الحكم المذكور وارد على المشار إليه المعين بالإشارة ، فالحكم مختص بما صدر من الرسول ﷺ في تلك القضية والواقعة ، ولا يسري إلى غيره ، لأن التعدي بحاجة إلى دليل من عقل وليس هناك دليل عقلي عليه ، وليس هذا أيضًا محلًا للقياس ، لأن اللفظ (هذا) يدل على الخصوصية في المستعمل فيه فلا يمكن شمول غيره . وإذا كان لفظ (هذا) إشارة إلى خصوص ما صدر منه في هذا المورد ، سواء كان ما وقع منه - من غسل الرجل - جزءا للعمل أو خارجا منه لضرورة التطهير مثلا ، كما إذا كانت الرجل محتاجة إلى الغسل لإماطة نجاسة ظاهرية أو مانع عن مسح البشرة ، ونحو ذلك فإن عمل الغسل ودخوله في خصوص هذا العمل لا يدل على دخوله في خصوص فرض الوضوء ، لأنه أعم كما ذكرنا . ثم إن إطلاق كلمة (الوضوء) على مجموع ما هو داخل في فرض الوضوء ، وما هو خارج عنه ، باعتبار الجموع أمر متعارف ، وفيه من المسامحة العرفية ما هو متداول ، لأن اللوازم القريبة والمقدمات اللازمة التي يتوقف عليها العمل ، تدخل في التعبير به ، للمناسبة اللغوية ، وإن لم تكن داخلة في حقيقة لفظه .

٢ - بالنقض على الخبر ، بالأخبار التي تدل على عدم اشتراط غسل الرجلين في الوضوء . وقد نقل الشيخ المفيد تلك الأخبار الناقضة من طرق المخالفين لتكون أتم في الحجة على الخصم وإلزامه بما يلتزم هو به . ثم إن الخصم عمد إلى رواية نسبها إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام ، و فيها : (إنه توضأ ومسح على رجليه ، وقال : هذا وضوء من لم يحدث) وجعلها دليلا على رأيه القائل بأن الغسل واجب في الوضوء ، وذلك لأن قوله : (من لم يحدث) معناه : من لم يصدر منه الحدث الناقض للطهارة ، فيكون الوضوء المجرد من غسل الرجل ، والمحتوى على مجرد المسح وضوءا غير رافع للحدث ، ورد الشيخ المفيد بأن ظاهر الرواية : أنه أخبر عن أن الوضوء المشتمل على مسح الرجلين هو الوضوء الذي لم يتغير ولم يدخله إحداث أو تغيير ، فيكون الوضوء بغسل الرجلين وضوءا محدثا مبتدعا ، حيث لم يجئ به كتاب ولا سنة ، فكان الغاسل بدلا عن المسح محدثا بدعة في الدين ، والدليل على صحة هذا التأويل - دون الأول - : انعقاد إجماع الأمة على صحة وضوء من أحدث إذا أتى به من لم

يحدث ، كالمتوضئ تجديدا ، وعلى أن من لم يحدث فليس له وضوء خاص به . ثم إن هذا التأويل الثاني ، إذا لم يكن متعينا معلوما ، فهو - على الأقل احتمال مفروض في الرواية - وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال على الاحتمال الأول .

وهذه الرسالة على صغرها تحتوي على آراء عديدة للشيخ المفيد ، هي :

١ - عدم الاعتقاد بالعمل بأخبار الآحاد .

٢ - الالتزام بخصوصية المعنى المستعمل فيه الحرف .

٣ - المجازات تحتاج صحتها إلى مناسبات لغوية .

٤ - رأيه في تأويل الأخبار وما يصح منه وما لا يصح .

٥ - التزامه بالوضوء التجديدي لمن كان على طهارة .

٦ - مضافًا إلى توضيحه بعض قواعد المناظرة وآداب البحث وتطبيقها في بحثه هذا . وصدر الرسالة يدل على أن مجلس الشيخ المفيد كان مفتوحًا أمام المخالفين وعلمائهم ، ليحضروا ويطرحوا آراءهم بكل حرية ، فمثل الشيخ النسفي - (ت ٤١٤) الذي كان في عمر الشيخ المفيد - يحضر هذا المجلس ويدخل مع الشيخ المفيد غمار المناقشات العلمية ، وهذا يدل على انفتاح علمي ، وسمو في روح التعامل الفكري ، مضافًا إلى ما يستتبعه من إثارة المناقشات العلمية والفكرية المؤدية إلى نمو المعرفة و نشرها ، وتركيز الحق وتعميقه ووضوحه على المستوى الخاص والعام ، كما يدل على الاستعداد التام لدى الشيخ المفيد لخوض بحار العلوم وفي المجلس العام ، وهو الأمر الذي يستكشف بوضوح من خلال مناظراته ومجالس بحثه المسجلة ، والتي جمع طرفًا منها تلميذه السيد الشريف المرتضى في كتاب (الفصول المختارة) .

الهوامش

(١) ينظر ، الطباطبائي ، عبد العزيز ، الشيخ المفيد وعطاؤه الفكري الخالد ، مقال ضمن كتاب ، مصدر سابق ، ص٣٢-٤٢ .

(٢) البلداوي ، عبد الاله علي حسن ، عكبرى مدينة العلماء و الأدباء ، مصدر سابق ، ص٨٩ ، كذلك الرحيم ، عبد الحسين مهدي ، الشيخ المفيد ، رسالة ماجستير ، ص٩٤-٠٥

(٣)البلداوي ، عبد الاله علي حسن ، عكبرى مدينة العلماء والأدباء ، مصدر سابق ، ص٨٩ .

لا صـوَّتَ الناعـي بِفَقـدك إنّـه ... يـوم عـلى آلِ الرسـولِ عظيـمُ

إن كُنتَ قد غُيّبت في جدث الثرى ... فالعـدل والتوحيـد فيـه مقيـمُ

والقائـم المهـدي يفـرح كلَّـما ... تُليـت عليـك من الـدروس علومُ

(بحار الأنوار/المجلسي/ج٥٣ ص٢٥٥)

الشرك

نشوؤه-درجاته- صوره

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

لقد كان الإنسان ولا يزال يتصرف وفق أحاسيسه المحدودة، وعواطفه الكامنة، كما كان يظهر أحاسيسه وعواطفه وفقاً للوسائل والإمكانات المتوفرة لديه والموجودة في عصره، ومن خلال تتبع الآثار التاريخية المتروكة عن ذلك الإنسان يمكن ملاحظة أنه كان يعتقد بوجود خالق للكون في جميع تلك الفترات والأدوار (فالكل يعلم بوجوب وجود الخالق لكن الاختلاف وقع في كيفية العبادة، والتقرب، والطاعة، لذلك الخالق) فنرى ذلك الإنسان في كثير من الأحيان تشتبه عليه ضالته، فيلتجئ إلى الأجرام السماوية ويعتبرها هي الخالقة والمؤثرة، وتارة يلتجئ إلى غيرها لاعتقاده بمؤثريتها.(إن الإنسان في مزلّة من تجسيم الأمور المعنوية، وسبك غير المحسوس في قالب المحسوس بالتمثيل والتصور وهو مع ذلك مفطور للخضوع أمام أي قوة فائقة قاهرة، والاعتناء بشأنها)[1]. لذا فقد تطور الشرك من أنواع بدائية بسيطة، ومن أفكار ساذجة، كاتخاذه الخشب والحجارة شركاء لله تعالى، ثم تطور إلى أن اتخذ أشكالاً وصوراً أخرى أكثر تعقيداً، وذلك تبعاً لتطور التجربة البشرية. ففي العصور الغابرة حين كان الإنسان لا يعرف سوى الطبيعة وعناصرها لذلك فقد عبدها كما وعبد الشمس، والقمر، والكواكب الأخرى، والماء، والنار، وما شاكل ذلك. ولكن هذه الأشياء والمعبودات اضمحلت تدريجياً وحلت محلها أشياء ومفاهيم أخرى بحسب التطور والطلب والحاجة ومن خلال هذا التتبع التاريخي يتضح لنا (إن الإنسان مجبول بطبيعته وغريزته على العبودية لإله)[2].

موارد نشوء الشرك

ويمكن إجمال موارد نشوء الشرك بما يلي:-

١ـ الحاجة المنبعثة من الفطرة والغريزة على العبودية لإله .

٢ـ الخلل الحاصل للعقل الإنساني في تحديد المعبود مما حدا به إلى التخبط يميناً وشمالاً.

٣ـ الإغواءات الشيطانية المبعدة للإنسان عن جادة الصواب، فهو القائل:(**وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**) (الحجر: ٣٩)

ومن العوامل التي ساهمت في نشوء الشرك وانتشاره الطواغيت. يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إن بني أمية أطلقوا للناس تعليم الإيمان، ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه)[٣].

إذ إن الشرك يعتبر من أفضل أسلحة الطغاة، وذلك خوفاً على مناصبهم وعروشهم، من خلال رمي واتهام الناس به ممن يعارض ويعاند السلطة الحاكمة حتى يقتصوا منه. ويخرجوه من الدين والملة، وبذلك يصنعوا به ما يشاؤون فمعنى (أطلقوا للناس تعليم الإيمان، ولم يطلقوا تعليم الشرك).

أي إنهم ولحرصهم على إطاعة الناس إياهم اقتصروا لهم على تعريف الإيمان، ولم يعرفوهم حقيقة الشرك وما يؤدي إليه حتى إذا حملوهم على طاعتهم لم يعرفوا أي الناس أنها من الشرك، ليكون الناس لو علموا إن طاعة بني أمية شرك لما أطاعوهم.

ومن المعلوم أن طريق الإيمان هو طريق أهل البيت عليهم السلام، وطريق الشرك هو بعكس ذلك، وبالتالي فإن طريق الشرك هو طريق أعداء أهل البيت عليهم السلام، والمتمثل ببني أمية، وكل من ناصب العداء لأهل البيت عليهم السلام.

حيث (بذل الأمويون كل جهدهم لتحريفه. حيث فرغوا الإسلام من محتواه الأصيل واستبدلوه بكذب، في الطعن على علي عليه السلام ليس فقط لتغيب إمامته الدينية بل لتحويله إلى رمز للإلحاد يلعن ويتبرأ منه، وفي قباله يكون القائد إلى الله الذي تكون طاعته قربى وزلفى تقود إلى الجنة هم بنو أمية)[٤].

فديدن الطغاة والظلمة والمستكبرين هو استغفال العقول، والتضليل، وإثارة، الشبهة، وتلبيس الحق بالباطل.

لذا فإن معاوية يقول: (الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما تركت للناس، فبفضل مني)[٥].

لذا فإن ادعاء الخلافة عن الله تعالى هي من بدع واختراعات معاوية بن أبي سفيان، كما وضع أحاديث كاذبة في سبيل تأييد أطروحته. وسار على هذا الديدن كل بني أمية، وبني العباس، وكل من جاء من بعدهم، حتى الدولة العثمانية، ولحد الآن عند الشعوب المستغفلة والجاهلة.

لذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: (لولا أن بني أمية ما وجدوا من يكتب لهم، ويجبي لهم الفيء، ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم، لما سلبونا حقنا)[٦].

فهذه الأسباب وما شاكلها كانت العامل في نشوء الشرك وانتشاره على مر العصور (على أن اليوم من الوثنية على ظهر الأرض ما يبلغ مئات الملايين قاطنين في شرقها وغربها)[٧]. ومن جراء كل ذلك تولدت آلهة بحسب الأهواء والطلبات والتمنيات، فأصبح الإله يُفصّل كالملابس، كما ويمكن تغييره من فترة لأخرى. والجامع المشترك في كل ذلك هو: طلب الشفاعة من هذه الآلهة، أو أن هذه الأصنام هي واسطة الشفاعة، وذلك من أجل طلب الخير، ودفع الشر، وما شاكل ذلك من اعتقادات وتخرصات باطلة، وأعذار واهية.

درجات الشرك

إن درجات الشرك مراتب وأقسام نستعرضها هنا فنقول:

إن للشرك ثلاث درجات رئيسية هي:-

١- الشرك الجلي:-

أو ما يسمى بالشرك العظيم، أو الحقيقي، أو الظاهري، ويتمثل بعبادة غير الله تعالى علناً، وهو ما ذهب إليه أهل الأوثان وعباد الأصنام، وغيرها من المعبودات المخترعة وهم ينكرون توحيد المعبود، أو عبادة الواحد، إذ يقولون في ذلك:(**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**)(ص: ٥).

يقول الراغب الأصفهاني: (الشرك العظيم:- وهو إثبات شريك لله تعالى. يقال أشرك فلان بالله. وذلك أعظم كفر. قال تعالى: (**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**) (النساء: ٤٨)[٨]

والشرك الجلي أو الفعلي أو الحقيقي: من أشد مظاهر الشرك خطورة على الإنسان. إذ إن المشركين وبأكثريتهم مع اعترافهم بالخالق والصانع وعدم إنكارهم له، لا يوحدونه، ولا يعترفون بالنبوة أو الرسالة ولا بالأنبياء والرسل عليهم السلام.

قال تعالى: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللهُ، وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**) (التغابن: ٦)

٢- الشرك الخفي:-

أو ما يسمى بالباطني، أو المستور.

يقول الراغب الأصفهاني:- (وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور...)

[٩].وهو أخطر من الشرك الجلي لقوله تعالى:(**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**) (يوسف: ١٠٦)

ومن صوره (الرياء)، ذلك السم القاتل والمحبط للأعمال. وذلك لأن المرائي أشرك غيرَ الله معه في عبادته، وهذا هو الشرك بعينه، لا بل هو أكثر قبحًا منه لأن عُبّاد الأصنام عبدوا أموراً موجودة وظاهرة للعيان، أما المرائي وفي حال تلبسه بالرياء قد عبد أموراً موهومة، ليس وراءها إلا التعب في الدنيا و الخسران في الآخرة، (فأهل عبادة الأصنام جهال، والمرائي أجهل منهم، حيث إنهم عبدوا ما استحسنوا والمرائي عبد ما استقبحه)[١٠].

فالرياء هو: (ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله تعالى فيه)[١١]

والرياء باطل ومحرم شرعاً وهو من المعاصي، وقد عبر عنه بالنصوص بالشرك، وذلك لأن ظاهرها عبادة المرائي لله، وباطنها وحقيقتها لغيره.

والرياء بحقيقته طلب المنزلة لدى الناس من خلال التظاهر بالعبادة والعمل الصالح أو بصفات النساك والزهاد. (فالرياء هو عدو الأعمال وماحقها وجاعلها هباء، بل جاعلها وبالاً، فليته إذا فاته الثواب سلم من العقاب)[١٢].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (يسيرُ الرياءِ شركٌ)[١٣].

٣ـ الشرك الأخفى:ـ

وهو أخفى وأخطر مما تقدم، يقول السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمه الله): (وأخفى منه القول باستقلال الأسباب والركون إليها وهو شرك، إلى أن ينتهي إلى ما لا ينجو منه إلا المخلصون وهو الغفلة عن الله والالتفات إلى غير الله عزت ساحته، فكل ذلك شرك)[١٤].

يقول الصادق عليه السلام: (إن الشرك أخفى من دبيب النمل)[١٥].

موارد الشرك الأخفى

١ـ تغيير الأشياء بالاعتقاد عما هو عليه واقعاً:ـ

روى بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن أدنى ما يكون به العبد مشركاً.

قال: فقال عليه السلام(من قال للنواة أنها حصاة وللحصاة أنها نواة ثم دان به)[١٦]

٢ـ الطاعة لغير من فرض الله تعالى طاعته:ـ

فمن يفعل ذلك فهو مشرك، لأنه قد أشرك مع الله سبحانه وتعالى من لم يأمر بطاعته. قال الإمام الصادق عليه السلام: في قوله تعالى: (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**) (يوسف: ١٠٦) (يطيع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك)[١٧]. وعنه عليه السلام: (وإن صاموا وصلوا أي الناس وشهدوا أن لا إله إلا الله وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا كانوا بذلك من المشركين)[١٨].

فطاعة من أمر الله تعالى بطاعته واجب كطاعة الله سبحانه وتعالى، إلا أن طاعة الله بالذات، وطاعة من أمر الله تعالى بطاعته طاعة بالعرض.

٣ـ الاعتراض على الحكمة الإلهية:

كما يصدر كثيراً على ألسنة عوام الناس عند التعرض لحادث معين مهما كان سواء كان الاعتراض قلبي أو لساني.

فعن أبي عبد الله عليه السلام: (لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وأتوا الزكاة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله تعالى، أو صنعه النبي صلى الله عليه وآله ألا

أصنع خلاف الـذي أصنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا مشركين)[19].

ومنهـا قول النـاس: لـو أغناني لكان أفضـل، ولو فعل كذلك لـكان الأصلح إلى غيرها من العبارات....

٤ـ الإشراك معه تعالى في المحبة:ـ

أو (تعـدد المحبوبين وتعدد الولاءات) فـي داخل القلـب الواحد، فالإنسـان مع حبه لغيـر الله مع الله إلا أنـه يقول: ليس في قلبي سـوى الله. لكن كل شيء بحسب وقدر وإلا فإن زاد عن حده صار شركاً.قال تعالـى: (**مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**) (الأحزاب: ٤)

قَال رسول اللهﷺ: (حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلب أبدًا)[20].

وقال الإمـام الصادقعليه السلام: (القلب حرم الله، فلا تسكن حرم الله غير الله)[21].

---

(١)الميزان الطباطبائي، ج١٠، ص٢٩٣

(٢)مصدر الوجود، سبحاني، ص٩

(٣) الكافي، الكليني، ج٢، ٤١٥

(٤)الحسـين في مواجهة الضلال الأموي، السـيد سامي البدري، ص١٠

(٥)أنساب الأشراف، البلاذري، ج١، ص٢٠

(٦)الكافي، ج٢، ص٣٣٣

(٧)الميزان الطباطبائي، ج١٠، ص٢٩٣

٨ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص٤٥١

(٩)المفردات، الراغب الأصفهاني، ص٤٥٢

(١٠)الاعتبـار من كربلاء، السـيد حسـين التوبلي البحراني، ص١٣٧

(١١)التعريفات الجرجاني، ص٩٣

(١٢) عدة الداعي، ابن فهد الحلي، ص٢٥٠

(١٣)ـ نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

(١٤) تفسير الميزان الطباطبائي، ج١، ص٢٧٦

١٥ وسائل الشيعة ، الحر العاملي، ج٥، ص٩٩

١٦ـ الكافي، الكليني، ج٢، ص٣٩٧

١٧ـ موسوعة أحاديث أهل البيت (ع)، ج٥، ص٣٢٤

١٨ـ الكافي، الكليني، ج٢، ص٣٢٤

١٩ـ المحاسن، البرقي، ج١، ص٢٧١

٢٠ـ تنبيه الخواطر ، ص٣٦٢

٢١ـ بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٠، ص٢٥

ص

قال أمير المؤمنينعليه السلام الْحَمْـدُ للهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ - وبِمُحْـدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ - وبِاشْـتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ - لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَـاعِرُ ولَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ - لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ والْمَصْنُوعِ - والْحَادِّ والْمَحْدُودِ والرَّبِّ والْمَرْبُوبِ - الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ - والْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ ونَصَبٍ - والسَّـمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ والْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ - والشَّـاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ والْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَـافَةٍ - والظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ والْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ - بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا والْقُدْرَةِ عَلَيْهَا - وبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ والرُّجُوعِ إِلَيْهِ - مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ ومَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ - ومَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ - ومَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ اسْـتَوْصَفَهُ - ومَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ - عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ورَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ - وقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ .

(نهج البلاغة/ ص٢١١)

فضل شهر رمضان

* عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله خطبنا ذات يوم ، فقال : ((أيها الناس ، إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة ، شهر هو عند الله أفضل الشهور ، وأيامه أفضل الأيام ، وليا ليه أفضل الليالي ، وساعاته أفضل الساعات ، هو شهر دُعيتم فيه إلى ضيافة الله ، وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله ، أنفاسكم فيه تسبيح ، ونومكم فيه عبادة ، وعملكم فيه مقبول ، ودعاؤكم فيه مستجاب ، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابة ، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه ، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ، ووقروا كباركم ، وارحموا صغاركم ، وصلوا أرحامكم ، واحفظوا ألسنتكم ، وغضوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم ، وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم ، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم ، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم ، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه ، ويلبيهم إذا نادوه ، ويعطيهم إذا سألوه، ويستجيب لهم إذا دعوه).

(الامالي/ الشيخ الصدوق /ص١٥٤)

الدعاء
سراج الصيام

د. محمد كاظم الفتلاوي •
كلية التربية (المختلطة) /جامعة الكوفة

ينابيع

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أما بعد..

لا شك أن الصائم أقرب الدُّعاة استجابة، وذلك لانعكاس تلك الفريضة تربوياً على نفسه إيماناً وتقوى وإنابة، وعلى سلوكه حباً للطاعة والدعوة في إطار إيجابية الأداء، ونلاحظ التوجيه إلى ممارسة الدعاء من خلال قوله تعالى: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**)(البقرة:١٨٦)إذ يبرز البناء العبادي على طاعة الدعاء من مجيء هذه الآية في آيات الصيام، لأن فريضة الصيام تدفع الإنسان نفسياً إلى التعلق بالدعاء لما تقدم من استشعاره بالرقيب المطلق سبحانه، فضلاً عن أن فريضة الصيام تسهم في رفع روحانية نفسه، وسموها مما يؤثر تأثيراً ملحوظاً في إقبال الإنسان على الدعاء، فكانت الدعوة واضحة إلى الدعاء في سياق آيات الصوم، ومما يلفت النظر في الآية الكريمة أيضاً، أن الله تعالى أشار إلى ذاته المقدسة سبع مرات وأشار إلى عباده سبعاً! مجسداً بذلك غاية لطفه وقربه وارتباطه بعباده، فلا يقتصر الدعاء على طلب استجابة الحاجات، بل هو أيضاً لتحقيق هذا الارتقاء والارتباط بالمطلق سبحانه (وأي مطلوب نفسي أعظم منه مع كونه من الانقطاع إلى الله ومظهر العبودية المحضة لله تعالى)[1].

وقد أكدت آيات قرآنية كريمة على أهمية الدعاء والحث عليه، ووجوب تعلّق قلب الإنسان بالله سبحانه وحده، وان(الآيات كثيرة في هذا الباب فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن)[2]، ومن هذه الآيات، قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: (**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**)(إبراهيم:٤١)، هذا الدعاء

الخاشع من إبراهيم(ع) يناجي ربه بالدعاء الخاشع الضارع يرتسم فيه إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء نموذجاً للعبد الصالح الذاكر الشاكر، كما ينبغي ان يكون الإنسان كعبد لله تعالى.

وفي أهمية الدعاء ما نلحظه في قوله تعالى: (**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**)(النمل:٦٢) يقول السيد الطباطبائي: (إن المدعو يجب أن يكون هو الله سبحانه، وإنما يكون ذلك عندما ينقطع الداعي عن عامة الأسباب الظاهرية، ويتعلق قلبه بربه وحده، وأما من تعلق قلبه بالأسباب الظاهرية فقط، أو بالمجموع من ربه ومنها فليس يدعو ربه وإنما يدعو غيره)[٣]، وقوله تعالى: (**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا**)(الفرقان:٧٧)، فاكتراثه سبحانه بهم (إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة، ولم يعتد بهم، ولم يكونوا عنده شيئاً يبالي به)[٤]، (فإن الدعاء هو الإقبال على الله، والاضطرار والتوجه إلى الله تعالى وهو من أقوى الارتباط بالله ... فلا يعبأ الله بعبده، لولا هذا الانشداد والارتباط والعلاقة القائمة على أساس الفقر والاضطرار إلى الله)[٥] .

وأكد أئمة أهل البيت عليهم السلام أهمية الدعاء، وضرورة الالتزام به والإلحاح فيه، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء وإنه ليس باب يُكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه)[٦]، ويقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل: ما سلاح الأنبياء؟ قال(ع): الدعاء)[٧].

ولا تقتصر عبادة الدعاء فقط عند

نزول البلاء، بل هو عبادة مفتوحة في كل مكان وزمان وفي الشدة والرخاء، سواء بسواء، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (من سره أن يستجاب له في الشدة، فليكثر الدعاء في الرخاء)[٨]، وكذلك ما نلحظه في قوله عليه السلام: (من تقدم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء، وقيل: صوت معروف ولم يحجب عن السماء، ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: إن ذا الصوت لا نعرفه[٩]. وعنه عليه السلام عن آبائه عن الإمام علي عليه السلام أنه كان يقول: (ما من أحد ابتلى وإن عظمت بلواه أحق من المعافى الذي لا يأمن البلاء)[١٠].

وقد خص الصيام في شهر رمضان المبارك وغيره بأدعية مأثورة[١١] أوضح الأئمة عليهم السلام أهميتها وأثرها، فهذه الأدعية تعد (امتيازاً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتأكيداً لعلمهم وإمامتهم ودورهم في الحياة الإسلامية، وتوضيحاً لمنهجهم في بناء الجماعة الصالحة والأهداف السامية لهذا البناء، ومنها إيجاد هذه الجماعة المتكاملة في جانبها الروحي والمعنوي[١٢]، فتتعزز علاقة الإنسان بالمطلق سبحانه لأن الإنسان بطبيعته وفطرته مشدودة إليه سبحانه، لأن علاقته بالمطلق تمثل أحد مقومات نجاحه وتغلبه على مشاكله في مسيرته الحضارية، وهو بحاجة إلى سلوك عملي يعمق هذه العلاقة ويوثقها بدلاً من أن تضيع أدراج الرياح فـ(بدون سلوك معمق قد يضمر هذا الشعور ولا يعود الارتباط بالمطلق حقيقة فاعلة في حياة الإنسان، وقادرة على تفجير طاقاته الصالحة)[١٣]، ويشد من أواصر القرب الإلهي فهو نوع من أنواع (التوعية وإيقاظ القلب والعقل، وارتباط داخلي بمبدأ كل لطف وإحسان)[١٤]، فالإنسان الذي يكون قلبه مشغولاً بغير الله عز وجل، يكون بعيداً عن تقبل الله سبحانه لدعائه، ولو اجتهد ظاهره، وبالتالي يحرم من استجابة ذلك الدعاء أو حصول الأجر فيه. يقول الإمام علي عليه السلام: (لا يقبل الله دعاء قلب لاه)[١٥]. وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة)[١٦].

فنلحظ أن الله سبحانه ختم آية الدعاء بـ (**لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**)، ففيها دلالة واضحة على أن يكون تطبيق الإنسان للأمر الإلهي بتوجه من القلب المفعم بالإيمان المطلق بصاحب الأمر، لا على وجه الإسقاط وحسب، (أي بالجمع بين الإذعان للأمر والنهي، والرشد والرشاد، ضد الغي والفساد فعلمنا أن الأعمال إذا لم تكن صادرة بروح الإيمان، لا يرجى أن يكون صاحبها راشداً مهدياً، فمن يصوم اتّباعاً للعادة وموافقة للمعاشرين، فإن الصيام لا يعدّه للتقوى ولا للرشاد، وربما زاده فساداً في الأخلاق وضراوة بالشهوات، لذلك يذكرنا تعالى – في أثناء سرد الأحكام – بأن الإيمان هو المقصود الأول في إصلاح النفوس، وإنما نفع الأعمال في صدورها عنه وتمكينه إياها)[١٧].

وبكلمة: أكد القرآن الكريم (أهمية الدعاء في رمضان وللصائمين فيه وأن رمضان من الأزمان المباركة التي تستجاب فيه الدعوات لا سيما ليلة القدر وساعة الإفطار للصائم)[١٨]، وإن لهذه الاستجابة شروط ظاهرية وقلبية يجب أن يتحلى بها الإنسان عند مباشرته لهذه العبادة العظيمة، وهذا بطبيعة الحال لا يُغنينا عن

التوسل بالعوامل الطبيعية، ليحدث بذلك تغيير كبير في حياة الإنسان وتجديد لمسيرته، وإصلاح لنواقصه سواء أكان في أيام الصيام أو في سائر أيامه الأخرى... والحمد لله رب العالمين.

هوامش

(١) حسين نجيب محمد ، جمال السالكين للعالم الرباني السيد عبد الأعلى السبزواري:١٧٣ .

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ٨٥/٥. وفي الآيات: سورة الأعراف: الآية٥٦، وسورة الزمر الآية:٨.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٥/ ٣٢٣ ، وابن عاشور ، التحرير والتنوير: ٢٨٩/١٩ .

(٤) الزمخشري ، الكشاف: ٣٠٣/٣ ، والطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن: ٦٥/١٩ .

(٥)محمد مهدي الآصفي ، في رحاب القرآن/: ٣١/١٤.

(٦)الكليني ، الكافي: ٤٧٠/٢ .

(٧) الحر العاملي ، وسائل الشيعة: ٣٩/٧ .

(٨)الكليني ، الكافي: ٤٧٢/٢ .

(٩)المصدر نفسه .

(١٠) الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٤٠٠/٤ ، الحر العاملي ، وسائل الشيعة: ٤٢/٧ .

(١١)الكفعمي(ت٩٠٠هـ) ، البلد الأمين والدرع الحصين، عباس القمي، مفاتيح الجنان، الجوهرجي، ضياء الصالحين.

(١٢)محمد باقر الحكيم ، دور أهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة: ٣٤٨/٢ .

(١٣)محمد باقر الصدر ، نظرة عامة في العبادات: ٣٤.

(١٤)ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٧٦/١ .

(١٥)الكليني ، الكافي: ٤٧٣/٢ .

(١٦)المصدر نفسه .

(١٧)محمد رشيد رضا /تفسير المنار، ١٤٨/٢ .

(١٨)عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، الصيام ورمضان في السنة والقرآن، دار التعليم، ص١٧٣.

التوبة النصوح

الشيخ حسن العيساوي •
باحث وكاتب أسلامي

ينابيع

قال الإمام الصادق عليه السلام إذا تاب العبدُ توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت وكيف يستر عليه قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب ثم يوحي إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب)[1].

لقد ورد في الحديث الشريف كلمة التوبة النصوح، فما هو المراد من النصوح في هذه الرواية الشريفة الطيبة من الإمام المعصوم صلوات الله عليه وآله هناك أربعو تفاسير لكلمة النصوح.

التفسير الأول: النصوح: بمعنى أنه يتوب توبة تؤثر عليه وعلى سلوكه وتؤدي به إلى أن ينصح الناس بترك المعاصي والذنوب.

لأن الإنسان عندما يرتكب الذنوب والمعاصي يرى آثارها السيئة في نفسه وبدنه وحياته حيث تؤثر الذنوب على سلوكه في علاقاته مع مجتمعه وعائلته وأفراد أسرته وزملائه في العمل وغيرهم، وعندما يتوب يشعر بأن حياته قد تبدلت وتغيرت بسبب ترك الذنوب، فمثلاً الذي تعوّد على ارتكاب ذنب الغيبة يرى آثارها السيئة في خلق العداوة والبغض بين الناس حيث يكرهون المغتاب، وكذلك إذا ترك الصلاة والصوم أو قطع الرحم وغيرها من الذنوب، فعندما يتوب يرى آثار التوبة الطيبة على نفسه ويشعر بفضل ونعمة تطهير النفس، وعندئذ يدعو الناس إلى التوبة وينصحهم إلى فعل الطاعات والعبادات حتى تكون عوض الذنوب، ولا بأس أن يكون مقابل كل سيئة حسنة

قال رسول الله ﷺ: (إذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها)[٢]. وأن يقوم بتحسين خلقه لتكون سيئته حسنة يبدلها الله له. قال رسول الله ﷺ: (أربعٌ من كن فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدلها الله حسنات: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر)[٣].

التفسير الثاني: النصوح ما كانت خالصة لوجه الله . وذلك لأن كلمة النصوح بمعنى الخلوص كما يقول العرب : عسل نصوح إذا كان خالصًا من الشمع، وهنا يراد به توبة خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى. ولا يريد بها سوى التقرب لله سبحانه وتعالى، فلا يريد التقرب للناس أو لشخصية اجتماعية كأن يتقرب لرجل الدين أو الرئيس في العمل أو الوظيفة، أو للحصول على مكانة في المجتمع، أو تكون خوفاً من النار، ولا يهمه التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال المحقق الطوسي في كتاب التجريد (بأن الندم من الذنوب للخوف من النار ليس بالتوبة)[٤].

ومن الذين تابوا إلى الله توبة نصوحاً أبو لبابة بن عبد المنذر، وكان رسول الله ﷺ حاصر بني قُرَيْظة فقالوا له ابعث لنا أبا لبابة نستشره في أمرنا، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا لبابة ائت حلفاءك ومواليك، فأتاهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى أننزل على حكم رسول الله ﷺ؟ فقال: انزلوا واعلموا أن حكمه فيكم هو الذبح، وأشار إلى حلقه، ثم ندم على ذلك، فقال: خنت الله ورسوله ونزل من حصنهم ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ، ومرّ إلى المسجد وشَدّ في عنقه حبلاً،

ثم شدّه إلى الأسطوانة التي كانت تسمى أسطوانة التوبة، فقال: لا أحله حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: أما لو أتانا لاستغفرنا الله له، فأما إذا قصد إلى ربه فالله أولى به، وكان أبو لبابة يصوم النهار ويأكل بالليل ما يمسك به نفسه، وكانت ابنته تأتيه بعشائه وتحله عند قضاء الحاجة فلما كان بعد ذلك ورسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة نزلت توبته فقال صلى الله عليه وآله: يا أم سلمة قد تاب الله على أبي لبابة، فقالت: يا رسول الله أفأؤذنه بذلك؟ فقال: فافعلي فأخرجت رأسها من الحجرة فقالت: يا أبا لبابة قد تاب الله عليك، فقال: الحمد لله، فوثب المسلمون يحلونه فقال لا والله حتى يحلني رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا لبابة قد تاب الله عليك توبة لو ولدت من يومك هذا لكفاك.فقال: يا رسول الله فأتصدق بمالي كله؟ قال: لا.قال: فبثلثيه؟ قال: لا قال: فبنصفه قال: لا. قال: فبثلثه؟ قال: نعم. فأنزل الله عزّ وجل: (**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**)[٥].

التفسير الثالث: النصوح من النصاحة بمعنى الخياطة. والعلاقة بين التوبة والخياطة أن التوبة تصلح ما مزقته الذنوب، وكذلك الخياطة فإن الثوب إذا تعرض إلى الصدمات والشد بقوة فإنه يتمزق، وكذلك النفس الإنسانية إذا تعرضت إلى الذنوب والمعاصي، فإنها تتمزق وتتشتت من الصدمات والآثار المرعبة للذنب، فلا تستطيع أن تؤدي الأعمال العبادية فتخرق الشهوات عقله ونفسه ويركن إلى الدنيا ولذاتها وشهواتها، وعندما تأتي التوبة النصوح فإنما تصلح النفس بالندم ونار الحرقة فترجع قادرة على الأعمال العبادية والطاعات الواجبة عليها. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبداً)[٦].

التفسير الرابع:- أن النصوح وصف للتائب. (وإسناده إلى التوبة من قبيل الإسناد المجازي أي توبة تنصحون بها أنفسكم بأن تأتوا بها على أكمل ما ينبغي أن تكون قالعة لآثار الذنوب من القلوب بالكلية، ويكون ذلك بذوب النفوس ومحو ظلمات القبائح بنور الأعمال الحسنة)[٧].

أي إن التائب يكون مؤدياً لها بشروطها وأركانها ولذلك لما (سمع أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً قال بحضرته: أستغفر الله فقال له: ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقعٌ على ستة معانٍ. أولها الندم على ما مضى. الثاني: العزم على ترك العود. الثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليكم تبعة.الرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.الخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.السادس: أن تذيق الجسم ألم

الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: أستغفر الله)[٨].

والشرط الأول إلى الشرط الرابع من أركان التوبة، ولا تتحقق إلا بها، فعلى التائب أن يندم على ما مضى ويجعل في نفسه العزم والهمة إلى عدم العود إلى الذنب إلى آخر لحظة في هذه الدنيا، ولا تفكر بالرجوع إلى الذنب مرةً أخرى مهما كانت الظروف والمصاعب، وأن يستعين بالله سبحانه وتعالى وأهل البيت عليهم السلام للتخلص من الذنب الذي اعتادت النفس عليه وعملته سنوات طويلة، وعليه أن يدعو في جوف الليل ويثق ويعتقد بأن الله سبحانه وتعالى سوف ينصره ويخلصه من هذه الشدة ويبعد عنه الشيطان الذي يدفعه بشدة وقوة إلى ارتكاب الذنوب.وعليه أن لا يبتهج بالذنب عند تذكره أو عندما يتحدث عنه، بل يكون بألم وحرقة، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (إياك والابتهاج بالذنب فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه[٩].

وممن ظهرت التوبة كاملة منه بشر الحافي، فلقد كان من أهل المعازف والملاهي ويقضي ليله بالسكر والدعارة في ليله ونهاره، إلى أن اجتاز على داره ببغداد الإمام الكاظم عليه السلام فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تعلو من داره، وخرجت منه جارية وبيدها قمامة فرمت بها في الطريق، فالتفت الإمام عليه السلام قائلاً: يا جارية صاحب هذه الدار حرٌ أم عبدٌ؟ فأجابت: بل حر، فقال عليه السلام: صدقت، لو كان عبداً لخاف من مولاه. ودخلت الجارية الدار، وكان بشر على مائدة السكر، فقال لها: ما أبطاك؟ فنقلت له ما دار بينها وبين الإمام عليه السلام فخرج بشر مسرعاً حتى ألحق بالإمام عليه السلام فتاب على يده واعتذر منه وبكى، وبعد ذلك أخذ في تهذيب نفسه، واتصل بالله عن معرفة وإيمان حتى فاق أهل عصره في الورع والزهد)[١٠]

فالتائب الحقيقي هو الذي تكون توبته ناصحة أي تامة الأركان والشرائط فيحصل على مرتبة ودرجة عالية في الجنة وصفها الإمام علي عليه السلام بدرجة العليين.

ومن الممكن أن تكون توبة إنسان مخلص لها، تجمع كل التفاسير الأربعة فهو ناصح للناس من تأثير التوبة وخالصة لله سبحانه وتعالى وأن تصلح ما مزقته الذنوب وبذلك يكون مهيّأً للحصول على المغفرة والرحمة الإلهية.

---

(١)أصول الكافي: ٢/ ٣١٤.
(٢)أمالي الطوسي: ١٨٦.
(٣) أصول الكافي: ٢/ ١٠٧.
(٤) الأربعون حديث للخميني (قدس سره) ص٢٦٦.
(٥) التوبة: الآية (١٠٢- ١٠٤).
(٦) كنز العمال: ٢/ ١٠٣.
(٧) الأربعون حديث للخميني (قد سره) ص٢٦٦.
(٨) نهج البلاغة قصار الحكم ٤١٧.
(٩)البحار: ٧٨/ ٥٩.
(١٠)أعلام الهداية الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ٨٠.

مقام الإمام زين العابدين عليه السلام
بين الأمس واليوم

استطلاع: حيدر الجد
تصوير: سرمد مرزه

مقام الإمام زين العابدين

المدخل الرئيس للمقام الذي يطل على الشارع الحولي المطل على منخفض بحر النجف

ينابيع للنجف الأشرف مع الإمام زين العابدين عليه السلام ألفة روحية وعلاقة خاصة حيث شهدت نزوله عليه السلام فيها زائراً قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان القبر الشريف مخفياً عن عامة الناس ولم يعرفه سوى أولاده والمقربين من ثقات صحابته الذين ساروا على طريقته ولزموا منهاجه.

لقد أحدثت واقعة الطف جرحاً بليغاً في نفسية الإمام السجاد عليه السلام، فلم يستقر بالمدينة ولم يهدأ باله إضافة لملاحقة عيون السلطة الأموية إياه ورصد تحركاته بحيث كانت تعد عليه الداخل والخارج فهو ابن الثائر الذي أراد زعزعة الحكم المستبد، والشهيد الذي بذل دمه ودم أهل بيته في سبيل هدفه، وهو بعد الإمام الذي ترنو إليه عيون الناس وتحيط به الأتباع ممن لم يلتحقوا بأبيه لسبب وآخر.

قرر زين العابدين عليه السلام مغادرة المدينة والسير للعراق حيث قبور الأحبة، ولكنه لم ينزل حواضر العراق بل بواديه حتى لا تلاحقه السلطة، ولا تلتف حوله عناصر غادرة كانت بالأمس من أشد الأعداء لأبيه حتى اشتركت بقتله، واليوم ربما تقصده لتبين ولاءها له، وفي هذا الإطار يقول الإمام الباقر عليه السلام: (كان أبي علي بن الحسين عليه السلام قد اتخذ منزله من بعد مقتل أبيه الحسين بن علي بيتاً من شعر، وأقام بالبادية، فلبث بها عدة سنين كراهية لمخالطة الناس وملابستهم، وكان يصير من البادية بمقامه بها إلى العراق زائراً لأبيه وجده، ولا يشعر بذلك من فعله)[1].

وقد أثر عنه في النجف مقام بارز معروف كان مقصداً للزائرين وملاذاً للمتعبدين، توجهنا إليه لنسجل عنه في تحقيقنا هذا لمجلة

ينابيع الغراء ما وجدناه مبثوثاً في الكتب، وما نقلناه مشافهة عن بعض سدنته.

المقام وأثره في المجتمع:

لما كان المقام مقصداً للكثير من الناس فقد انتقد البعض موضوع الاهتمام بمقامات الصالحين المنتشرة وتعميرها والتوافد عليها، كما سألوا عن صحة نسبة المكان كمقام نزل فيه الإمام عليه السلام ومن حدده ومن كان شاهداً معه ليحدد هذه البقعة أو تلك، كانت بعينها صلى فيها الإمام؟ وقد فات الكثير من هؤلاء أن القصد من وراء إتيان المقام هو للتعبد ولذكر الله في الصلاة والتسبيح وقراءة القرآن وفي التواصل الاجتماعي بين الزائرين، وليكن حال المقام كالمسجد، وغاية ما في الأمر أن ولياً صالحاً نزل فيه وأدى صورة عبادية فتصاعدت في هذا المقام أنفاسه معطرة بذكر الله لتبقى عابقة بذلك العطر وعلى مر الزمان، كما أن مسألة تعيين المكان بحد ذاته ليست مهمة بقدر نية الزائر في إتيان المقام ليستذكر إماماً من أئمته وقف فيه وتعبد لله فأحب أن يكون دعاؤه في المكان الذي دعا فيه إمامه ولعله يظفر بمراده بجاه من صلى وتعبد عند الله.

مقامات زين العابدين في النجف:

لم يعرف للإمام زين العابدين في عموم العراق موضعاً نزل فيه بقدر ما عرف به النجف الأشرف، فهذه كربلاء المقدسة لم يؤثر له فيها مقام معروف بالرغم من نزوله فيها لأكثر من مرة، مع أبيه الحسين عليه السلام، وفي يوم دفن الأجساد الطاهرة، وفي زياراته المتكررة حسب رواية الإمام الباقر عليه السلام السابقة.

أما في النجف فمقاماته كما يلي[٢]:

١- في مسجد السهلة المعظم، يقع مقابل الداخل للمسجد، في منتصفه تقريبًا ويقع شماله مقام الإمام الصادق عليه السلام، وعن جنوبه مقام الإمام المهدي عليه السلام.

٢- في مسجد الكوفة، بالقرب من باب كندة، كان ماثلاً للزائرين ثم لم يبق منه أثر ولا رسم، وعلى ذكر الكوفة فقد رأى بعض المؤرخين ولادة الإمام زين العابدين فيها لأن أمير المؤمنين عليه السلام رحل مع أولاده بمن فيهم الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى الكوفة إثر انتهاء واقعة الجمل سنة ٣٦هـ، وبما أن ميلاد الإمام السجاد عليه السلام كان سنة ٣٨هـ فلابد أن تكون الكوفة محلاً لولادته والله سبحانه أعلم.

٣- مقام ملاصق للصحن الحيدري المطهر، من جهة باب الفرج (مقابل محلة العمارة)، كان معروفاً في الأزمنة الماضية، حيث اتخذه بعض العلماء مسجداً للصلاة فيه وقد ضاعت آثاره بعدما فتحت الباب الغربي (باب الفرج) ولم يظهر له أثر لحد اليوم[٤].

٤- المقام المعروف والمشهور -الذي نحن بصدد التحقيق فيه-

تاريخ المقام وتعيين مكانه:

تكملةً لحديث الإمام محمد الباقر عليه السلام المتقدم نورد النص التالي :(فخرج- أبي- سلام الله عليه متوجهاً إلى العراق لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وأنا معه، وليس معنا ذو روح إلا الناقتين فلما انتهى إلى النجف من بلاد الكوفة، وصار إلى مكان منه، فبكى حتى اخضلت لحيته بدموعه، وقال: السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته على عباده...)[٥].

وفي النص أعلاه نرى عدة أمور:

أ- إن الإمام زين العابدين كان يعلم بموقع القبر الشريف في وقت كان غير معروف لكثير من الناس آنذاك.

ب- تأييد فكرة نزول زين العابدين عليه السلام أرض النجف ومقامه فيها ولعله جاء أكثر من مرة قاصداً زيارة جده أمير المؤمنين عليه السلام،

وفي هذا الصدد قال الشيخ محمد حرز الدين: حدث علماؤنا الأعلام، عن مشايخ الغري الأقدس، عن مشايخهم: أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان عندما يأتي من الحجاز لزيارة جده أمير المؤمنين عليه السلام ينزل في هذا المكان ليوهم الرائي له أنه جاء حاجاً إلى بيت الله الحرام من هذا الطريق ببادية العراق، وأنه يريد الوضوء من قليب قديم في هذا الموضع، ويحكى أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان إذا أراد أن يزور جده أمير المؤمنين في العراق، يأتي في طريقه إلى هذا المكان قرب القليب، فيربط ناقته فيه، ثم يذهب حافي القدمين فيزور القبر الشريف، ثم يرجع ويبيت في هذا المكان، وفي الصباح يرجع إلى الحجاز، والكلام للشيخ حرز الدين: وقد وردت أخبار كثيرة في زيارة الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام للمرقد المطهر ومبيته عنده، أما أن يكون هذا المكان هو محل مبيته، فليس لدينا ما يثبته سوى الشهرة الطائرة عند النجفيين وعلمائها ورواتها، والاعتناء به كثيراً، وعرفه النجفيون بهذا الاسم خلفاً عن سلف وصاغراً عن كابر[٦].

أما السيد جعفر بحر العلوم فيقول:(ويقال إن الموضع المعروف بـ(مقام زين العابدين) في جهة الغري من سور النجف كان يربط ناقته هناك، ويأتي قبر جده محدوداً مختفياً، ثم يرجع إلى الموضع ويبيت به، ثم يرتحل صبحاً إلى الحجاز)[٧].

حددت الكثير من المصادر موقع المقام، فقد ذكر الشيخ محمد حسين حرز الدين مكانه قائلًا:(يقع في الجهة الغربية لمدينة النجف المسورة مما يلي جرف البحر، في محلة العمارة (محلة المسيل القديمة) وقال الشيخ جعفر محبوبة: (خارج السور مما يلي القبلة مقام مشهور وبنية معلومة)، كما ذكره التميمي قائلاً:(يقع في محلة العمارة من جهة غروب الشمس وهو مقام مشهور معروف بمقام زين العابدين[٨].

وقد أشار إلى هذا المقام بعض المؤرخين حيث ذكر الشيخ محمد علي بن الشيخ خلف بن بشارة في كتابه نشوة السلافة عن أبيه الشيخ خلف الذي كان حياً سنة ١١٣٨هـ ما يلي:(كنت مع جماعة من الفضلاء والأدباء في مقام زين العابدين عليه السلام المطل على بحر النجف، فجرى ذكر الشعر فأنشدتهم أبياتا...)[٩]، كما ذكره آغا برزك الطهراني في ترجمة الشيخ علي بن محمد بن ناصر الغراوي النجفي إمام الجماعة في المقام المشهور بـ(مقام زين العابدين) وقد توفي هذا الشيخ سنة ١٣١٥هـ[١٠].

لم تحدد المصادر التاريخية أول بناية أقيمت عليه ولعل البويهيين أول من أقام إيواناً عليه، حيث ظل هذا الإيوان قائماً لحد سنة ١٩٩١م، وقد أخبرني سماحة الخطيب الشيخ شاكر القرشي أنه رأى ذلك الإيوان حيث كان يقرأ مجلساً أسبوعياً كل ليلة الخميس في

باحة المقام التي تطل على الحرم الداخلي

المقـام وقال: لـم أر مثله في تناسـق العمارة وروعة الزخارف المنقوشة على حيطانه.

كما ذكره الشيخ جعفر محبوبة قائلاً :(وفي محرابه صخرة جميلة الشكل، بديعة الصنعة، منقوش عليهـا أحرف مقطعة-يقـال إنها من آثـار الشـيخ البهائي وإن هـذه الحروف هي طلسـم لمنع لسـع الأفاعي- ولم يعرف معنى الحروف، واتفق أن بعضاً سـرقها ليبيعها في بغداد فحملها في محمل وأركب عليها زوجته، ولمـا وصل الخان المعـروف بـ(خان الحماد) يعني خان النـص (ناحية الحيدرية بين كربلاء والنجـف) سـقط المحمل وبانـت الصخرة، فافتضح وأرجعت الصخـرة إلى مكانها وهي اليوم موجودة، ولهذا المقام خَدَمة يتعاهدونه ويتولون شؤونه)[11].

أمـا السـيد حسـون البراقـي فقـد قال فيـه:(إن مكاناً بالغري، غربي قبر الإمام أمير المؤمنيـن عليه السلام يميل إلى جهـة القبلة، وهو ما بيـن قبلة القبـر وبين الغـرب بأقصى البلاد فـي ناحية يقال لها بـاب النجف الصغرى إلى جانب سـور النجف، وتلك البـاب يخرجون منها أهالي النجف إلى البساتين، وفي شرقي تلك الباب مقام وعليه قبة بيضاء مبنية بالجص والآجر وله خدم يوقدون الشموع فيه)[12].

قد التقينا بالحاج موسى شكر متولي المقام حيث تحدث لنا عن تاريخه قائلاً:(اكتسب هذا المقام شهرة واسعة حيث كان مقصداً لجميع المسلمين ممن يزورون مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، من الهنـود والباكسـتانيين والإيرانيين والعرب وغيرهم، وقد فتحت عيني في دارنا الملاصقـة للمقـام، وأنا أرى أسـرتي رجالاً ونسـاءً يدأبـون في خدمة هـذا المقام، وقد

احتوى المقام على الكثير من القبور لكثير من الشخصيات وخاصة من الهنود، إضافة لمقبرة أسرتنا التي دفن فيها آباؤنا ممن تعاقب على خدمة المقام منذ سالف الزمن.

لما تسوّرت مدينة النجف عقب هجمات الوهابيين كان المقام ومقام صافي صفا خارج السور الذي شيده آصف الدولة الهندي سنة ١٢٢٦هـ، وعلى إثر تكرار غزو الأعراب الوهابيين للنجف تبرع الصدر الأعظم نظام الدولة الوزير محمد حسين خان العلاف ببناء سور صغير يحوط المقامين، فأدخلا للمدينة.

وقد أقام الصفويون على المقام قبة بيضاء كانت قائمة، ثم طرأ عليه إصلاح في العهد العثماني.

وبما أن المقام يطل على منخفض بحر النجف، فقد كان منسوب الماء يرتفع لدرجة كنت ألاحظ فيها أهلي يصطادون الأسماك بسهولة.

في سنة ١٣٠٠ هـ تقريباً قام علي حسين إنجيل هره رولا وهو أحد علماء الهند بترميم المقام وتحسين خدماته ولكنه لم يغير من معالم البناء شيئاً خصوصاً الإيوان البويهي.

كنا نلاحظ عن الكثير من الهنود كانوا يأتون ومعهم خارطة يعرفون فيها موقع المقام والمقابر الموجودة ونسبتها إلى علمائهم فلا يحتاجون دليلاً على ذلك.

في سنة ١٩٦٢/١٣٨٢م تقريباً تصدع البناء وظهرت مشاكل كثيرة في هيكل البناية، الأمر الذي جعل والدي الحاج محمود يسرع إلى العلماء ليبلغهم في الأمر، فقام المؤمنون بجمع التبرعات وكان بينهم التاجر الحاج حسين الكَط حيث مد يد العون فباشر الحاج شريف المعمار الذي كان متولياً لأعمال ترميم وصيانة العتبة العلوية المقدسة بالترميم والبناء، وقد أنشأ صحناً كبيراً نسبياً وأتبعه لباحة المقام مع الإيوان البويهي الذي بقي على حالته عدا بعض الترميمات التي أجريت عليه.

في يوم ١٩٩١/٤/٨م المصادف يوم الاثنين ٢٢/رمضان/ ١٤١١هـ، عقيب دخول قوات صدام مدينة النجف الأشرف، قام أفراد الجيش بوضع أربع أصابع من المتفجرات (الديناميت) في أركان بناية المقام وقاموا بتفجيرها فتحولت إلى أكوام من الأنقاض والحجر والمدر، بحجة إيوائها عدداً من المجاهدين والصحيح أنه لم يأوِ أياً منهم، حيث قمنا وبعد اندلاع الانتفاضة الشعبانية بإغلاق المقام كلياً وبقي مقام صافي صفا المجاور مقراً من مقرات المجاهدين، وعند

المحراب الواقع في الجهة القبلية

صورة لداخل الحرم وتبدو فيها بقايا القبة المنهارة

انتكاس الانتفاضة واستيلاء الجيش على مدينة النجف، فقد اتخذ صافي صفا أيضًا مقراً له، ولما وجد الجيش أن عدداً من جثامين الشهداء موجود بجانب المقام ظن أن هناك المزيد منهم يتحصنون داخله فقام بتفجيره وقد فقدنا بهذه الجريمة معلماً أثرياً مهماً، فقد تلاشى الإيوان البويهي والصخرة الأثرية وكان مثبتاً عليها بعض الحجر الكريم، إضافة لفقداننا الأرشيف التراثي والوثائقي الكامل فيما يخص المقام، حيث كنا نحتفظ بجميع الوثائق المتعلقة بالمقام في غرفة خاصة تحولت بعدئذ إلى ركام.

زار العراق في تلك السنة بعد أن وضعت الحرب أوزارها وفد من الأمم المتحدة، بينهم رجل هندي فطلب زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، ولما جاء إلى النجف وأدى زيارة المرقد المطهر عرّج على المقام، فلما وصل إليه رآه وقد أزيلت معالمه تماماً فسأل عما كان موجوداً في المكان، فقال مرافقوه: هنا كان بناء لمركز شرطة، فأصر عليهم وأبوا إخباره، وبعد سفره بأيام قلائل صدر مرسوم جمهوري بإعادة إعمار المقام فتقدم مقاول من المنطقة الغربية في العراق لإسناد مقاولة بنائه إليه، ولكنه لما آلت إليه ولكنه قام ببنائه بصورة غير متقنة،فطلب منه الحاج شريف المعمار الذي تولى بناءه سنة ١٩٦٢م أن يسند البناء إليه فرفض وامتنع، الأمر الذي أدى إلى انهيار القبة في منتصف شهر آذار الماضي حيث لم تصمد القبة أمام رياح قوية فانهار جزء كبير منها والحمد لله لم يصب أحد بأذى.

أما عمارته اليوم فقد زرناه يوم السبت المصادف ١٢/ ٢٠١٤/٤ وكان الحاج موسى شكر معنا، ومما لاحظناه أن البناية بكاملها آيلة للسقوط، وهي عموماً تقع على مساحة ٤٠٠ متر مربع تقريباً، حيث يواجه الداخل من

صورة للقبة المنهارة من الخارج

الباب الرئيسة ممر يحيط بباحة مكشوفة تطل على حرم المقام، تبلغ مساحة الحرم الداخلي ٢٠٠ متر مربع، ويقع المحراب في وسط الجانب الأيسر من الحرم، وتعلوه بقايا القبة بارتفاع ٨م وقطر ٨م أيضاً، وقد حدثنا الحاج موسى أيضاً عن تقليص مساحة بنائه بعد سنة ١٩٩١م إذ عمد المقاول إلى الأخذ منها لغرض تقليل كلفة البناء.

اليوم بعد مرور عشر سنوات أو أكثر على سقوط النظام البائد نجد أن المقام بقي على حالته لم تمتد إليه يد الإعمار فتشيد بناءً يليق بمن يُنسب إليه، ولم تأخذ على محمل الجد أهميته حيث كان مقصداً لكل من يزور أمير المؤمنين عليه السلام، لكونه يقع على شارع متميز.

إنها دعوة لديوان الوقف الشيعي وغيره من مؤسسات الدولة كمحافظة النجف الأشرف أو المؤسسات الخيرية لكي يشمروا عن ساعد الجد في إعمار هذا الصرح التاريخي المرتبط بإمامنا صاحب القبر المهدوم زين العابدين عليه السلام.

---

(١) ابن طاووس، فرحة الغري، ص١٣٧.
(٢)المشهدي، فضل الكوفة ومساجدها، ص٣٩.
(٣)القمي، مفاتيح الجنان، أعمال مسجد الكوفة، ص٣٩٤.
(٤)محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ٩٤/١.
(٥)ابن طاووس، فرحة الغري، ص١٣٧.
(٦)حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، ٣٤٤/١.
(٧)بحر العلوم، تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، ٥٠٠/١.
(٨)التميمي، مشهد الإمام، ص١٧٥.
(٩)الأمين، أعيان الشيعة، ٣٢٩/٦.
(١٠)الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ٣٨١/٤.
(١١)محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ٩٥/١.
(١٢)البراقي، اليتيمة الغروية والتحفة النجفية، ص١٥٢.

مع الفقيه..

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: بعض الذين يقرؤون المدائح والمراثي يستعيرون ألحان بعض الأغاني بقصائدهم فهل هذا محرم أو لا فهو من حيث المضمون غير مألوف عند أهل الفسوق بينما من حيث اللحن مألوف عندهم، ونتيجته أن هذا المضمون بهذا اللحن غير مألوف عندهم، فهل هذا حلال وكذا استماعه؟

ج: الظاهر حلية ذلك وحلية استماعه.

س: هل يجوز الاستماع إلى بعض المجودين بحيث يسيطر المجود على مشاعر السامع فيبكيه حين الوصول إلى آيات العذاب والوعيد بالنار، ويسره حين الوصول إلى آيات الرحمة والمغفرة والوعد بالجنة.
فهل هذا من الطرب المحرم أو أن الطرب المحرم مختص بالغناء مع طلب تحديد الطرب المحرم شرعاً وفي صورة حرمة السيطرة على المشاعر في مفروض السؤال الأول ما حكمها في صورة إذا شك في أن الذي يبكيه هو صوت المجود أو استعداده الإيماني؟

ج: لا بأس بالاستماع إليهم ولو مع السيطرة منهم على المشاعر. نعم إذا تلذذت بصوت المجود وانجذب المجود له جنسياً كان الاستماع محرماً.

س: يكثر النزاع في تشخيص المراد من عبارة الغناء أو الموسيقى المناسبة لمجالس اللهو والفسوق لذا نرجو التشخيص وتعريف المسلم بما يحل ويحرم عليه من قبلكم مباشرة ولكم الأجر.
أ ـ الموسيقى التصويرية التي تصاحب الفلم عادة؟
ب ـ المدائح النبوية وأضرابها التي تبث في شهر رمضان من الإذاعات؟
جـ ـ ترجيع الصوت ومده والتغني بشعر في مدح المعصومين دون استعمال الآلات؟

ج ـ يجوز ذلك.

س: ما تقولون بالنسبة للموسيقى والأناشيد؟

ج: تحرم الموسيقى إذا كانت بالوجه اللهوي، كما هو المتعارف بين أهل الفسوق والترف، وكذا الحال في الغناء والأناشيد إن صدق عليها الغناء، وأما إذا لم يصدق عليها ذلك فهي حلال.

س: هل يجوز غناء النساء في الأعراس، وما هي ضابطة الغناء الجائز لهن وهل يقصد من الأعراس هنا الزفاف فقط أو يشمل مجلس العقد والحناء وغيرهما؟

ج: نعم يجوز غناء النساء في الأعراس، ويختص بمجلس الزفاف.

س: هل يجوز استعمال الدفوف إذا كانت هناك حفلة أو غير حفلة؟

ج: لا يجوز مطلقاً.

س: هل المرأة المتبرجة تجوز غيبتها وهل يحكم عليها بأنها فاسقة مع أنها تصلي وتصوم؟

ج: نعم هي فاسقة وتجوز غيبتها لأنها متجاهرة بالفسق.

س: شخص يفعل المستحبات ولا يريد أحد أن يراه أو يتحدث عنه بفعل المستحبات ولكن شخص آخر تحدث عنه فهل تعتبر غيبة أو لا لأنه لا يجوز التحدث بفعلها؟

ج: ليس ذلك من الغيبة المحرمة. نعم إذا اطلع شخصاً على عمله وأسر إليه وشرط عليه الكتمان لم يجز له أن يكشف سرّه لأن المجالس بالأمانات لا لأنه من الغيبة.

س: ما هي الغيبة وهل سرد الحكاية بما جرت من الوقائع تعتبر من الغيبة؟

ج: الغيبة انتقاص المؤمن وإعابته في غيبته فإذا كان سرد الوقائع بقصد الانتقاص من الغيبة وإذا لم يكن بذلك القصد لم يكن غيبة وإذا لزم هتك المؤمن من دون قصد الانتقاص كان ذلك محرماً وإن لم تكن غيبة والأولى للمؤمن أن يبعد نفسه عن الحديث عن الآخرين مهما أمكن فإن ذلك من مواطن الامتحان والفتنة.

س: هل يجوز سب أو لعن أو أخذ غيبة (المخالف والناصبي)؟

ج: المؤمن لا ينبغي له أن يكون سباباً ولا يذكر الناس في غيبتهم خصوصاً إذا أوجب ذلك فتنة أو مشاكل.

س: هل يجوز مقاطعة المؤمن لردعه عن معصية فعلها؟

ج: إذا كان في ذلك ردع له عن المعصية فهو جائز.

س: مـــا هو حد الصلـــة للأرحام ومن هـــم الأرحام فـــي المفهوم الإسلامي؟

ج: تكفي الصلة بمثل رد السلام كما أوضحناه في رسالتنا (منهاج الصالحين) في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والأرحام هم ذوو القرابة النســببين وتحديدهم تابع للصدق العرفي.

س: هل للمؤمن أن يقطـــع رحمه مع أخواته المتزوجات إن أصررن على الســـفور وعدم ارتداء الحجاب الشرعي وكذلك الأمر مع أخوته إن كانوا مصرين على شرب الخمر أو ترك الصلاة أو معونة الظالمين في ظلمهم؟

ج: نعم يجوز قطيعتهم إنكاراً للمنكر.

س: هـــل يتعدى وجوب صلـــة الأرحام الأخوة والأخـــوات إلى أبناء العـــم والخال وأمثالهـــم وكيف تكون أدنى الصلـــة الواجبة هل يكتفي بالسلام؟

ج: نعم يتعدى وجوب صلة الأرحام إلى القرابة بالحد المذكور.

س: ما هو رأي الشـــرع المقدس في شـــخص يقـــوم بتأليب الناس بعضهم على بعض فيفرق بين الأخ وأخيه والزوج وزوجته والوالد والولد وأمثال ذلك، فهل تجوز غيبته وبيان حاله لأتباعه وغيرهم كي يتحرزوا عن الوقوع في الضرر الناتج عن الانصياع لأوامره والتأثر بأفكاره علماً بأنه ليس رجل دين ولكنه يتكلم باسم الدين ويؤثر في الآخرين بلباقته وذكائه؟

ج: الحالة المذكورة في الســؤال من النميمية فيما إذا كان الشخص ينقل كلام بعضهم لبعــض بما يوجب الفرقة بينهم وهي من الكبائر التي وعد الله عليها النار. ويجوز تحذير النـــاس منه بإظهار واقـــع حاله من دون انتقاص أو أعابة وإنما بذكر حاله بقصد نقل واقع الحال هذا إذا كان متســـتراً بذلك، أما إذا كان متجاهـــراً فيجوز غيبته وانتقاصه وتحذير الناس منه والإنكار عليه.

حكاية مستبصر..

أحمد حسين يعقوب

مولده ونشأته : ولد في الأردن ، مدينة جرش عام ١٩٣٩ م ، في أسرة شافعية المذهب حصل على الثانوية العامة من مصر ، وأكمل دراسة الحقوق في جامعة دمشق وسجل للدراسات العالية ، دبلوم القانون العام في الجامعة اللبنانية ، محامي وخطيب جمعة ورئيس بلدية.

الانتقال : إلى المذهب الشيعي الإمامي.

- من البديهي أننا في هذا العصر فتحنا أعيننا على كشكول من المذاهب والحركات الإسلامية والتي تدعي كلها : أنها على المحجة البيضاء ، وأن غيرها ضال مضّل . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالك إلا واحدة).

ولأن الله تعالى ذم التقليد الأعمى وتقليد عقائد الآباء والأجداد ، فقد قال : (**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**).

لكن الأستاذ يعقوب عمل بقوله تعالى : (**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**)، نعم هذا هو منطق العقل والقرآن الكريم، ولم يكن تشيع الأستاذ نابعاً من الهوى ولا عن خوف أو طمع بل مال مع الدليل القوي الذي لا يصمد أمامه دليل (نحن أبناء الدليل حيث ما مال نميل) ، فخواء العقيدة الأشعرية وتنازع المذاهب الأربعة في المسائل الفقهية لا يدع مجالاً لمنصف أن يركن ويطمئن إلى إحداها ، خاصة وأن الأدلة التي توجب اتباع مذهب الشيعة ـ مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ لا تدع لباحث المجال للتردد ، وما زاد في طمأنينة من تشيعوا بها ، وهو وجودها حازمة واضحة كحضور الشمس في أمهات كتب ومصادر السّنة كالبخاري ومسلم ومسند أحمد وغيرها ، وإذن فلماذا التردد ولماذا الحيرة ؟! هنا والحجة ملقاة على الجميع ، نعم إنّ التعصب واتباع الأكابر يعمي ويصم : (**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**)

تشيّع على بصيرة : لم يكتف الأستاذ بتحوله إلى المذهب الشيعي الاثني عشري فحسب، بل إنه أنار الطريق لغيره من المضلّلين، فقد أغنى المكتبة الإسلامية بكتب عدّة، نسأل الله أن تشفع له في الآخرة.

وضع الأستاذ يعقوب يده على الجراح ، أو الخطوط الحمراء التي كانت عقبة كأداء تقف أمام أي باحث منصف لتسد عليه الطريق ، من هذه الخطوط الحمراء مسألة الصحابة التي أخذت حجماً أكبر من حجمها وصارت حاجزاً دون وصول الملايين من المسلمين والبشر للوصول إلى الإسلام

المحمدي الأصيل وفهم منظومته كاملة.
فكتب كتاب (نظرية عدالة الصحابة) ، متسائلا فيه: لماذا حدثت الانهيارات ، لماذا توالت؟
ويقول: لو كان الصحابة كلهم عدولًا لما حدثت الفتنة ، ولو كان الصحابة كلهم عدولاً لما تفرقت الأمة ، ولو كان الصحابة عدولاً لما قتل الصحابي صحابياً مثله ، لأن العادل لا يقتل النفس التي حرم اللّه إلّا بالحق ، ولو كان الصحابة كلهم عدولًا لما وصل الأمر لغير أهله ولما أصبحت الخلافة ملكاً وغنيمة يأخذها الغالب .
ثم يأتي المحامي يعقوب ويضع الإجابات الشافية الوافية، ومن القرآن وكتب الحديث المعتبرة لدى المسلمين حول مسألة المرجعية الشرعية في الإسلام ، وما هي نظرية الإسلام في الحكم ، هل هي الشورى ، كما يدعي أم التعيين أم النص؟
ثم يعرض الأستاذ يعقوب مسالة الانقلاب على هذه المرجعية الشرعية وذلك بنزع الخلافة والإمامة ، عن بني هاشم وتفريقها على بطون قريش .
وما وقع في سقيفة بني ساعدة من نزاع وسب وشتم فانتخب أبو بكر خليفة دون إجماع ولا شورى المسلمين.
وعين أبو بكر عمر ولم يستشر أحداً وكذلك فعل عمر حيث عين ستة، فأين الشورى؟ ، بعد الشورى جاءت نظرية أخرى وهي نظرية الغلبة حيث الملك والخلافة لمن يغلب فحكم بنو أمية وبنو العباس وكل الخلفاء في تاريخ المسلمين بالقوة والقهر .
وللأستاذ أحمد حسين يعقوب كتب رائعة(نظرية عدالة الصحابة) و(المواجهة) وكتب أخرى ، لا غنى للقارئ الواعي من قراءتها . والتي يثبت فيها صحة نظرية أهل

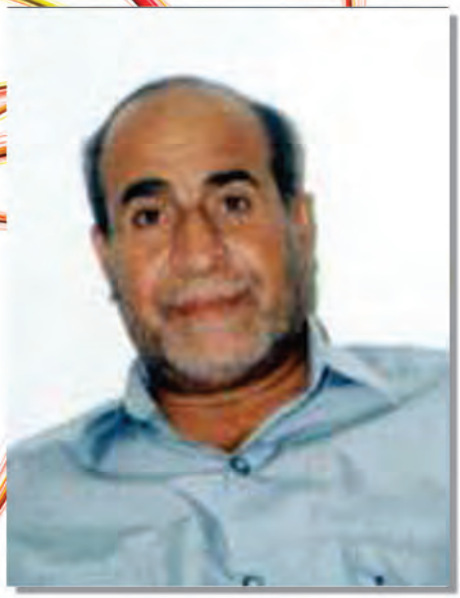

البيت عليهم السلام والشيعة بالخلافة والإمامة..
وبالمقابل فإن السلطة القابضة بأيديها على زمام كل شيء في المجتمع ، صادرت حرية الشيعة بطرح وجهة نظرها ، واتهمت الشيعة بأنها خارجة على الجماعة ، وشاقة لعصا الطاعة ، وأحياناً أتهمتها بالمروق والرفض والزندقة والكفر .... الخ ، والشيعة محتسبة ، صابرة ومثابرة ، وواثقة أن اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق ليس ببعيد ،وقد أقبلت جماعات وأفراد حرة ، واعية بالإسراع نحو مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام ، والحمد للّه على هدايته وتوفيقه.

نقل بتصرف عن:(موسوعة من حياة المستبصرين/مركز الأبحاث العقائدية ج٢ ص٢٣)

تهدمت واللّه

أركان الهدى

هيئة التحرير •

كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بشهادته وأنه تخضب هذه من هذه (لحيته من هامته) ثم قال له فكيف صبرك يا علي، فقال ذاك مقام الشكر لا مقام الصبر ،وأنه لما أصيب على رأسه أهلَّ فرحًا فقال:(فُزْتُ وَرَبّ الكَعْبَة).

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كلما رأى عبد الرحمن بن ملجم المرادي - لعنه اللّه - قال لمن حوله : هذا قاتلي . فقال له قائل : أفلا تقتله يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : كيف أقتل قاتلي ؟ ! كيف أرد قضاء اللّه سبحانه ؟ ! سهر عليه السلام في تلك الليلة فأكثر الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول : واللّه ما كَذبْتُ ولا كُذّبتْ ، وإنها الليلة التي وعدتُ بها ، ثم يعاود مضجعه ، فلما طلع الفجر وأراد الخروج من الدار استقبله الإوز فَصحْنَ في وجهه ، فقال عليه السلام:صوائحُ تتبعُها نوائح ، وانحل مئزره على الباب فشده وهو يقول :

اشدُدْ حيازيمك للموت
فإن الموتَ لاقيكا
ولا تجزع من الموت
إذا حلَّ بواديكا

فمشى قليلاً ،فطلبت منه ابنته أم كلثوم عدم الخروج، فقال عليه السلام: لا مفرّ من الأجل، ثم خرج فأقبل ينادي : الصلاة الصلاة. فلما استقر في محرابه، وبدأ بنافلة الفجر، وعندما رفع رأسه من السجود وإذا ببريق السيف وقائلاً يقول :الحُكْمُ للّه لا لَكَ يا علي، فلما وقعت الضربة على رأسه الشريف لم يتأوه . بل صبر واحتسب، وقال: بسم اللّه وباللّه وفي سبيل اللّه وعلى ملّة رسول اللّه، فُزْتُ وربّ الكعبة . أيها الناس لا يفوتكم الرجل، قتلني ابن اليهودية قتلني عبد الرحمن بن ملجم. ونادى جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ : (تَهَدَمَتْ واللّه أركانُ الهُدى ، وانطمَسَتْ واللّه نجومُ السماء وأعلامُ التُقى ، وانفَصَمَتْ واللّه العُروةُ الوثقى ، قُتِلَ ابن عَمِّ محمد المصطفى ، قُتِلَ الوصي المُجتبى ، قُتِلَ عليُّ المرتضى ، قُتِلَ واللّه سَيّدُ الأوصياء ، قَتَلَهُ أشقى الأشقياء).

فقال عليه السلام : احملوني إلى موضع مُصَلاي في منزلي . فحملوه إليه وهو مُدنفٌ والناس

حولــه ، وهم في أمر عظيم باكين محزونين ، قد أشــرفوا على الهلاك من شــدة البكاء والنحيب.

يقــول الأصبغ بن نباته: لمــا ضُربَ علي عليه الســلام كنا عنده ليلًا ، فأغمي عليه ، فأفــاق ، فنظر إلينا ، فقال : ما يجلســكم ؟ فقلنــا : حبك يا أمير المؤمنيــن . فقال : أما والذي أنزل التوراة على موســى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ، والفرقان على محمد رســول الله صلــى الله عليه وآله لا يحبنــي عبــد إلا رآني حيث يُسِــرَّه ، ولا يبغضني عبد إلا رآني حيث يكرهه.

فلمــا ادخل اللعين ابــن ملجم على أمير المؤمنيــن عليه السلام نظر إليــه، ثم قــال : النفسُ بالنفــس ، فإن أنا مِــتُ فاقتلوه كما قتلني ، وإن أنا عِشــت رأيت فيه رأيــي ، فقال ابن ملجم : والله لقد ابتعته بألف وســممته بألف ، فإن خانني فأبعده الله (ويقصد سيفه) .

ودخل علــى الإمام عليه السلام أكبر أطباء الكوفة واســمه: أثير بن عمر بن هاني، فلما فحصه مليّاً قال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدَك، فإن عدو الله قد وصلت ضربتُه إلى أم رأسك.

ويقول الأصبغ بن نباته: دخلتُ على أمير المؤمنيــن عليه الســلام، فإذا هو مســتند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمُه واصفرَّ وجهه. فما أدري وجهه أشــد صفرة أم العمامة، فاكببتُ عليه فقبلته وبكيت. فقال لي: لا تبكِ يا أصبغ فإنها والله الجنة.

فقلت له: جُعلتُ فداك، إني أعلم - والله - أنك تصير إلى الجنة، وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين. وبكت عنده أم كلثوم بعد أن نعى إليها نفسه، فقال لها:

(لا تؤذيني يا أم كلثــوم، فإنك لو ترين ما أرى، إن الملائكة من الســماوات الســبع بعضهم خلف بعض، والنبيون يقولون: انطلق يا علي فما أمامك خير لك مما أنت فيه).

وبقــي الإمــام عليه السلام ثلاثــاً تشــتد حالته، حتى كان ليلة الحادي والعشــرين من شــهر رمضان، في الثلث الأول منها، وعهد عهده إلى الإمام الحســن عليه السلام وأوصاه وأخاه الإمام الحســين عليه السلام، بآخــر وصاياه، ثــم ودّع أهل بيته، واســتقبل ملائكة ربه بالسلام وفارقت روحه الزكية الحياة، وصرخت بناته ونساؤه، وارتفعت الصيحة في بيته، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنيــن قد قُبض، فأقبل الرجال والنســاء أفواجاً، وصاحــوا صيحة عظيمة، وارتجَّــت الكوفة بأهلهــا ! وكان ذلك اليوم كيــوم مات فيه رســول الله صلــى الله عليه وآله.

ثم غسله الإمام الحسن والإمام الحسين معــاً ســلام الله عليهم أجمعيــن، بينما كان محمد بــن الحنفية يصب الماء. وحُنِّط ببقية حنوط رســول الله، ووضعوه على سريره، وصلّــى عليه الإمام الحســن عليه الســلام، وحُمل في جوف الليل من تلك الليلة إلى ظهر الكوفة فدفن بالثوية عند قائم الغرّيين حيث مرقده الشريف الآن.

وطويــت صفحة ناصعة مــن حياة الإمام عليه السلام بشــهادته، لتنشــر علــى مــدى الدهر صفحات مجــده وعزه، وفضائلــه، وتابعيه علــى الهدى والاســتقامة. فســلام الله عليه حين ولــد في الكعبــة، وحين وقــع صريعاً فــي محــراب الكوفة، وحين مضى شــهيداً وشــاهداً على الظالمين، وحين أضحى راية العدالة وعلم الهدى، ومنار التقوى. وســلام الله عليــه حين يبعث حيّاً، ليجعله الله ميزاناً يفصل به بين عباده، وقســيماً للجنة والنار.. وســلام على الصدِّيقين الذين اتَّبعوا خطاه، وعلى شيعته الذين تحملوا في ولائه ما تعجز عنه الجبال الراسيات.

الرِّثاء
هجاءُ الموتِ و مساءلته

صعصعةُ بن صوحان يبكي أميرَ المؤمنين عليه السلام

أ.م.د علي مجيد البديري •
كلية الآداب ـ جامعة البصرة

ينابيع

ظلَّ غرضُ الرثاء في الشعر العربي محافظاً على طابعه الخاص وخطابه المميز، على الرغم من صلتهِ بغرض المديح التي أشار إليها غيرُ واحد من النقاد العرب القدامى وتبعه في ذلك بعضُ النقاد المعاصرين. غير أن ما يمنحُ كلَّ نص شعري، مهما كان غرضُه، خصوصيتَه وتفردَه صلتُه بتجربة كاتبه الجمالية والشعورية، فالشاعر لا يتعاملُ مع المواقف والظواهر الحياتية في الواقع الموضوعي بطريقة آلية، تقتصرُ على كون هذا الواقع رافداً حيوياً لنصه، بل يُخضعُ هذه العلاقة إلى رؤيته الروحية/ الوجدانية معتمداً في صياغتها والتعبير عنها على ذائقة فائقة بجماليات التعبير اللغوي وطرائقه.

الرثاء في النَّص الشعري الذي سنقرؤه هنا ونتأملُ خصوصيةَ تجربته، لشاعرٍ لم يصلْنا من شعره سوى هذه المقطوعة القصيرة، وبضعة أبيات أخرى اختلف المحققون ودارسو الأدبِ في نسبتها إليه. ولعل الباحثَ عن أسبابِ فقدان هذا الشعر لا يبذلُ جهداً كبيراً في معرفتها واكتشافها، إذا ما توقف قليلاً عند ما ورد في كتب الأدب من ترجمة لحياة الشاعر، فيكفي لاكتشاف الأسبابِ معرفةُ أنَّ صعصعةَ بن صوحان أحدُ حواريي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن الذين عرفوه حقَّ معرفته، ويعدُّ من سادات عبد القيس من أهل الكوفة، وكانت ضريبة هذه المحبة لأمير المؤمنين أنْ مورس القمع والنفي ضده مرتين؛ الأولى: حينما نفاه الخليفة الثالث إلى الشام مع مالك الأشتر و بعض رجالات من الكوفة، و المرة الثانية نُفي بأمر معاوية بن أبي سفيان، حيث كانت لصعصعة مواقفُ حقٍ كَسرتْ أنوية

مرقد صعصعة بن صوحان العبدي في البحرين

معاوية، ذكر فيها فضائل الإمام ومناقبه مراراً، فنفاه المغيرة على إثرها من الكوفة إلى جزيرة (أوال) في البحرين، فمات فيها عن عمر بلغ ٧٠ عاماً. كان في جيش الإمام في الجمل، وبعد أن استشهد أخواه زيد وسيحان، رفع لواءهما وواصل القتال .وكان رسول الإمام عليه السلام إلى معاوية ومن أمراء الجيش، ونقل كثيراً من أحداث صفين ووقائعها. وكذلك في حرب النهروان، ويعد من أبرز الذين احتجّوا على الخوارج بأحقّيّة الإمام. ويكفيه أن الإمام عليه السلام جعله شاهداً على وصيّته . فكيف لشعره أن يسلم من التغييب الأموي ؟

كان من محطات لوعته أنْ يقفَ باكياً حبيبَه أمير المؤمنين، ويرثيه بأبيات، غاية في اللوعة والألم، وهي على الرغم من بساطة ألفاظها، و طبيعة عباراتها المألوفة في شعر الرثاء عادة، حققتْ خصوصيتها، واحتفظتْ بحرارة تجربتها وصدقها، ولا شك في أنَّ وراء ذلك ما سنرى ملامحه في صدق التجربة، وجمال المبنى الشعري للمقطوعة .

يقول صعصعة في رثاء الإمام عليه السلام[1]

هل خبَّرَ القبرُ سائليه
أم قرَّ عيناً بزائريه
أم هل تَراه أحاطَ علماً
بالجسد المُستكنِّ فيه
لو عَلِمَ القبرُ مَنْ يواري
تاه على كلِّ مَنْ يليه
يا موتُ ماذا أردتَ مني
خِفتُ ما كنتُ أتقيه

يا مــوتُ لــو تقبــل افتداءً
لكنــتُ بالــروح أفتديــهِ
دهــرٌ رمانــي بقصــدِ إلفي
أذمُ دهــريَ و أشتكيــهِ

تدعونا رغبةُ اكتشــاف خصوصية هذه الأبيــات، إلــى أنْ نقف عند مســتوى من مستويات تحليل لغة النص، وهو المستوى الصوتي، لســعة هذا الأخير وقدرته على تشكيل الدلالة و إثرائها في التعبير الأدبي عامــة، وفــي النص الشــعري علــى نحو خاص. ومنشأ ذلك ما للغة من علاقة جدلية تربطهــا بالشــعر، فاللغة الشــعرية(تؤلف جانبــاً مهماً مــن جوانب القيمــة الجمالية للقصيدة باعتبار أن للكلمات سلوكاً يرتبط بالتغييرات التي تصيب الثروة اللفظية في ضــوء تحليل المعنى الذي يقرر طبيعة ذلك الســلوك في مدى تفاعله بســلوك التعبير الــذي يعد مــن خصائص التحليــل الأدبي حيــن تكــون مهمة النقــد دراســة الأدب بوصفه ظاهرة، إنها ابتداء الاهتمام بتحليل العمل الأدبي وهو أمر يذهب إلى أبعد من الانطباعات العادية)[٣] .

لا بــد من معرفة أن الشــاعر في أثناء كتابــة نصه لا يبدأ من فراغ ولا ينتهي إليه، فعملية الكتابة لديه تخضع إلى أنساق فنية، يــزاوج فيها الشــاعر بين الفكــرة واللفظ حيث يرتقي باللفظ إلى أبعاد ومســتويات تحقق لــه درجة عالية من التماثل والتطابق بين عالمي القصيدة (الخارجي والداخلي). ومن هنا فإنَّ المحاكاة هي العملية الإبداعية التي يشــكِّل الشاعر بواســطتها معطيات الواقــع الذي يعيشــه، و يصاحبه شــعور خــاص يثيره عنصر المحاكاة الحســي في التجربة الشعرية.[٣] و إنَّ التماسك والتوافق مــا بين مفــردات بنية الشــعر اللغوية هي سمة البناء الفني الجيد الذي يرتقي بالنص الشــعري إلى خصوصيته الفنية العالية، و قيمتــه الذاتية المتفردة؛ ولا شــك في أنَّ هذه البنية ســتكون المــرآة التي تعكس لنا صــدق التجربة الشــعورية، نتيجــةً حتمية لهــذا التماســك والتوافــق. ويعــد الإيقاع الداخلي الذي تولــده الأصوات داخل بناء النص الشــعري عنصراً هامــاً من عناصر الأداء الفنــي الــذي يعتمــده الشــاعر في تجســيد تجربته، ولذا يكتسب خصوصية في الدراســة النقدية التي تتحرى التحقق من جودة النص الشــعري أو عدمها؛ فثمة علاقات طبيعية بين الفكر والبنى اللســانية المعبرة عنــه، و هناك نوع من التعادل بين الشكل والمضمون، واستعداد طبيعي يقوم في الشــكل للتعبير عن بعض فئات الفكر، يتجلــى فــي علاقــة طبيعية بيــن الصوت والمعنــى في الكلمات المحاكية، وفي عدد كبيــر من الكلمــات بفضل اســتعداد هذه البنى لإنتاج حركة الانفعال[٤].

تتجســد الصلــة واضحــة ما بيــن لغة صعصعــة بن صوحــان الشــعرية في هذه الأبيات وبيــن معاني ودلالات هــذه اللغة الغائرة في نفس الشــاعر و وجدانه، ومن ثم نرى الصدق الفني متجلياً بشكل متلازم مــع صــدق التجربة الشــعورية فــي هذه الأبيــات، فكان الموقف المؤلم (رثاء أمير المؤمنين عليه السلام وحالة استشعار فقده) محفزاً و مســتثيراً لأحاسيس الشــاعر الصادقة، وهو مــا نراه حاضراً عبــر الرقة الظاهرة فــي الكلمــات، فالإيقــاع الداخلــي فيها ناتــج عن مزاوجة بين مســتويات المفردة الشعرية من (صوتية ودلالية)، وكاشف عن تقنية عالية في بنــاء النص الفني، وهو ما

مسجد صعصعة بن صوحان في الكوفة بالقرب من مسجد السهلة المعظم

سنحاول قراءته في تجربة الشاعر هنا.

يبدأ المقطع بالتساؤل المجازي عن إدراك القبر ومعرفته بالشخص الثاوي فيه، وهل يجيب سائله عن ذلك، أم إن استبشاره بشخص أمير المؤمنين عليه السلام وبهجته به قد منعته من الكلام والإخبار. ويستخدم الشاعر لتأدية هذا المعنى الفعل (خَبَّرَ) بأصواته المجهورة ذات التردد السمعي العالي، وفي تكرار صوت الباء (المشدد) ما يُثقلُ من إيقاع الشطر الأول من البيت، ثم تكراره في لفظة (القبر) ليكون هذا الثقل محاكياً لإيقاع الحزن الثقيل المتموج الذي يطبق على الشاعر كما ينطبق القبر على ساكنه.

والشاعر في غمرة حزنه يبحث عن متنفس للوعته وغصته التي تملأ صدره فلا يملك إلا أن يخاطب الموت مراراً، إمعاناً منه في تصوير حالة الشعور بالوحدة والفقد التي تستفحل إلى صورة التمني بأن يكون فداءً لشخص أمير المؤمنين عليه السلام وبديلاً عنه، لو كان الأمر ممكناً، فيستخدم (لو) الدالة على امتناع لامتناع، فهو يستبق معنى النفي واستحالة تحقق الأمر المرجو. ويستمر نداؤه وأمنيته التي لا تتحقق، فلا شيء لديه غير دعوة الموت إلى القبول بهذا الطلب، ونلاحظ اطراد معنى النفي وحالته، إذ يأتي موحَّداً من حيث الدلالة ومتعدداً من حيث الصورة والشكل. ولا تخلو دلالة النداء للموت من شعور لدى صعصعة بهيمنة سطوة الموت وقوته الخاطفة التي تأخذ الأحياء وتنتشلهم على حين غرة، ولعل في دعوة الموت لأن يقبل به فداءً لأمير المؤمنين عليه السلام نوعاً من إنزال العقاب بالذات،

فصعصعة يشعر بقساوة أن يبقى حياً بعد أمير المؤمنين عليه السلام، وهنا لا يظهر الجانب الإيجابي لصورة الموت من أنه لقاء بالأحبة وارتحال إلى حياة أبدية، وليس الشاعر معنياً هنا بهذا الأمر، فهو المفرق بين الأحبة، والمغيب لصورهم، ودفء حضورهم وبهجته. وستكون التركيبة الصوتية للألفاظ مجسدةً لهذا المعنى ومشاركةً في تأكيده وزيادته .

يُسهم الإيقاع المتموج الذي تشكَّلَ من المقاطع الطويلة المفتوحة (سا / زا / را/ حا/وا / تا/ يا .. إلخ) في الأبيات في هيكلة الحزن الذي يغرق فيه الشاعر. حيث يمتاز صوت العلة بوضوح سمعي عال، وهو ما يعكس علواً في مستوى التوتر النفسي، وقد جاءت استجابة لحالة حزن هادئة مفعمة بالأسى، ثم صفير صوت (السين) الذي هو من الأصوات المهموسة ليخلق الأثر السمعي أثراً انطباعياً، لدى المتلقي بضراوة حالة الفقد والألم التي تفترس الشاعر.

أما الحضور الآخر البارز في الأبيات فهو لصوت (الهاء) الاحتكاكي المهموس، فقد جاء مكسوراً ليمثل قافية الأبيات، وهو حرف حلقي خارج من أقصى الجهاز الصوتي، ليؤلف مع ما يسبقه من مقطع طويل مكون (صوت + الياء)، مقطعين طويلين ستنتظم الأبيات الستة على وفقه، ويمكن لهذه الدلالة أنْ تتعزز إذا ما قرأنا القافية لوحدها متلاحقة هكذا (هيْ /هيْ / هيْ/هيْ..)، ومن الواضح مجيؤها مماثلةً لصوت البكاء المستمر، فنرى أنَّ لصوتية الحروف فاعلية بنائية تخضع في بعض الأحيان لانطباعات فجائية مبعثها ما يسمى بإيحاء الأصوات أو ما يصطلح عليه (تداعي معاني الحروف) حيث يشكل الصوت في النسق اللغوي منطلقاً للوعي والتأثر، فالشاعر يكرر حرفاً بعينه أو مجموعة من الحروف فيكون لهذا مغزى يعكس شعوراً داخلياً للتعبير عن تجربته الشعرية فقد يتفوق الجرس الصوتي على منطق اللغة فيخرج من قيد الصوت المحض إلى دلالة تحرك المعنى وتقوّيه[٥]، على أنَّ صعصعة هنا لم يقع تحت تأثير انطباع فجائي مبعثه إيحاء الصوت، بل جاء الأمر متماهياً مع حالته الشعورية الخاصة.

وهكذا تنتظم الأبيات وحدةٌ إيقاعيةٌ تندرج في وحدة معنوية، تصبح اللفظة فيها كياناً مكتنزاً بالإيحاءات والدلالات المترابطة، بشكلٍ يدفعنا إلى القول بعدم إمكانية التعبير هنا على أنْ يستنفد إمكانات الرؤيا لدى الشاعر أو يستوعب سعة حزنه و ألمه . ولعل ذلك قد تجلى بشكلٍ واضح حينما اتسعت الدلالة في الأبيات محققةً وحدةً عضويةً متكاملة تجمع بين تجربتها الشعورية، والفنية بطريقة فائقة. وقد حقق صعصعة بن صوحان هذا بعفوية وصدق، ذلك قبل أنْ يصيغ (بوب) عبارته (على الصوت أنْ يبدو كما لو كان صدى للمعنى) .

الإحالات

أعيان الشيعة : العاملي : ٣٨/ ٢٩٠

(١) التحليل النقدي والجمالي للأدب : د. عناد غزوان: ٣٠

(٢) ينظر: الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق (مقال) : د. ماهر مهدي هلال، مجلة آفاق عربية ع ١٢، س ١٩٩٢ : ٦٨ .

(٣) ينظر : الأسلوب والأسلوبية : جيرو : ٣٦

(٤) الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق (مقال) : ١٩٩٢ : ٧١ .

نوادر

* أراد رجلٌ تطليق زوجته، فقيل: ما يسوؤك منها؟ قال: العاقل لا يهتك ستر زوجته... فلما طلقها قيل له: لِـمَ طلقتها؟ قال ما لي و للكلام فيمن صارت أجنبية.

* قال أحد الحكماء: لا يغرنك أربعة: إكرام الملوك، و ضحك العدو، وتملُّـــق النساء، و حـرُّ الشتاء.

* كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال، و كما أنه لا خير في آنية لا تمســك ما فيها، فلا خير في إنسان لا يكتم سراً.

* قال الفضيل ابن عياض: ثلاثة لا تلومهم عند الغضب: المريض و الصائم و المسافر.

ــ إحسانك للحرِّ يحركه على المكافأة، و إحسانك إلى الخسيس يبعثه إلى معاودة المسألة

* قال إبليس: العجب لبني آدم! يحبون الله و يعصونه، و يبغضونني و يطيعونني!!

* تشــاجر زوجان و امتنعا عن الكلام. و قبل أن يتهيــأ الزوج للنوم، قدَّم لزوجته ورقة مكتوب عليها: أيقظيني الساعة الخامسة صباحاً.

وفي اليوم التالي استيقظ الزوج، ونظر الساعة فوجدها الثامنة! فاغتاظ، ثم لبس ثيابه، ولما أراد الخروج، نظر فرأى ورقة مكتوب عليها: استيقظ، الساعة الآن الخامسة.

* جــاء رجلٌ إلى أحد الحكماء و قال له: إني تزوجت امــرأة وجدتها عرجاء، فهل لي أن أردها؟ فقال له: إن كنت تريدُ أن تسابق بها.. فردها..!!

قصيدة:

يوم الوصي[1]

المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي •

سما الخيالُ إلى علياك فالتهبا ... وكيف يبلغ شيطانٌ لها سببا
وكبّر العقل إيماناً بمعجزها ... في حين أبصر من آياتها عجبا[2]
وطاف في مسمع الأجيال صاعقةً ... لها صدىً طبق الأجيال والحقبا
منار قدسٍ تعالى مجده صعداً ... وأغدقت فيه ألطاف السّما صببا
وكعبةٌ هيَ عنوان العلى شرفاً ... بمفرق المجد قد مدت لها طُنبا
تعنو جبابرة الدنيا لها صغراً ... حتى تقبّل في أفواهها التربا[3]
ماذا الجلال تعالى الحق مرتفعاً ... أهكذا تخضع الدنيا له وهبا

* * * *

الحق أرفع شأناً أن يطاوله ... لباطل الشركِ بنيانٌ قد انقلبا
وللعقيدة إن طابت منابتُها ... غرس من الحمد يبقى بعدها عقبا
قم من حضيض المساوي يا معاوية ... وانظر سماء المعالي تزدهي شهبا

١ـ ألقيت في جمعية الرابطة العلمية ليلة شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢١ رمضان نظمت عام ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م

٢ـ العجب: الغريب البديع.

٣ـ الصغر: الذل.

فكل شـيءٍ بـنـاه الـعـدلُ خلّده ... وكـل شـيءٍ بناه الظلم عـاد هبا
هـذا علي ومـجـد الـحـق خلّده ... فأين من حارب الإسلام قد ذهبا؟

* * * * * *

دنـيـاك دنيا فقيرٍ نفسه زهـدت ... بكل ما طاب في الدنيا وما عذبا
رغبت عنها ابتعاداً عن لذائذها ... والـنـاس تغمر فـي لذاتها رغبا
لكنها أثمرت حسنىً ملكت بها ... دنياً وأخـرى فسبحان الـذي وهبا
آمنت بالعدل منهاجاً أديـن به ... وإن كل امـرئ يجزى بما اكتسبا
فشمعة في بيوت المال تخمدها ... قد أوقدت لك نوراً يخرق الحجبا
جمعت بين خلال الفضل قاطبة ... وحـزت في كل ميدانٍ لها قصبا
صلابة في طريق العدل صارمةٌ ... لم تـرع لا رحماً فيها ولا نسبا
ورحـمـة فـي سبيل الـبـرّ شاملةٌ ... قد كنت حقاً بها للمسلمين أبا
تُجيع شبليك إشباعاً لذي سغب ... وأنت تطعمُ أيتام الـورى ضربا[1]
وليس ينعم منك الطرف في سنة ... وفـي اليمامة طـرفٌ ساهر سغبا

* * * * * *

١ـ الضرب: العسل.

صبوت للخير والإصلاح من ورع ... إن كـان غيرك حباً للحطام صبا
ورضـت نفسك بالتقوى لتملكها ... حتى ألنت لديها كـل مـا صعبا
ولـم تـزل في سبيل الله تجهدها ... في حمل ما لقيت من حمله نصبا
حتى قضيت شهيداً بالدما خضباً ... مجاهداً في سبيل الله محتسباً
يوم الوصي ملأت الدهر من شجن ... مآتماً تنشر الأحـــزان والكربا
قـصّـرت مجد لـــوي مـن قوادمه ... وكـــان فـيـه طـويـلاً بـاعـه رحبا
ورايـــة الحمد قـد لفت منكسة ... فصافح الترب من عليائها العذبا
ومـــا الـــلـــواء لـــواءٌ بعد حامله ... ولا الحسام حسامٌ والغرار نبا[1]
ولا السوابق في مجرى الطراد علىً ... سـوابـقٌ بعد ما قد قصرت طلبا
أليس فارسها الـكـرار قد عثرت ... أم الـــطـــوارق فـيـه غـيـلـةً فكبا

* * * * * *

شهر الصيام بك الإسـلام قد نكبا ... وكابد المسلمون الويل والحربا[2]
شهر يعظمه الـبـاري لحرمته ... وفيه تهتك أسمى حرمةٍ حجبا
هـذا ابـن ملجم فيه بالعدا نصبا ... تبّت يـداه ومـا أغـنـاه مـا اكتسبا
أصـمـى عـلـيـاً فـــأرداه بضربته ... وليس يعلم من أردى ومن ضربا
وافـــاه وهـــو يناجي ربَّـــه رغبًا ... يرجو الرضا ويخاف السخط والغضبا
فأغمد السيف إلـحـاداً بمفرقه ... فَـخَـرَّ كالصقر فـي محرابه تربا
وشبيبة الحمد في قاني الدما خضبت ... منه وكانت لجينا فاغتدت ذهبا[3]
في ذمة الحق والتقوى إمام هدىً ... قضى شهيداً فأضحى الحق مكتئباً

* * * * * *

١ـ الغرار: حد السيف. ـ نبا: كل فلم يقطع.
٢ الحرب: الهلاك
٣ـ اللجين: الفضة.

يا مصلح الناس إن الناس قد فسدت ... طباعهم وغـدت أخلاقهم شعبا
عم الضلال وبركان الشرور طغا ... ومنبع الخير والإصـلاح قد نضبا
وأصبح العدلُ مغلوباً ومغتصبا ... وأصـبـح الظلم يعلو فوقه غلبا
قم من ضريحك وانشد مالكاً ليرى ... بعهده ألـف عـبـدٍ قـد لها لعبا
وأنقذ الناس مما فيه قد غمروا ... ضلالةً قبل أن يُستأصلوا عطباً
علّمهمو كيف ترقى للعلى أمم ... حتى تناول من أفق السما سببا[1]
وغـذّهـم بـتـعـالـيـمٍ مثقفةٍ ... تهذب العقل والأخـلاق والأدبـا

١ـ السبب: المرقى والناحية.

(نفس محمد)

عجبت لمن قد شق في السيف رأسه ... فخلف في محرابه الدين ينعاه
ألا فُـل مـن ذاك المهند حـدّه ... وهل قطعت من ذلك الرجس كفاه
ألـم يـدر أن الدين في حـدّ سيفه ... تـهـدم منه صـرحـه حين أرداه
وأن بـذاك السيف رأس محمدٍ ... بـراه ألا شلّت عن الضرب يمناه
فما هـو إلا نفسُه لـو درى به ... وفـي ذاك نص الذكر أنزله الله

* * * * * *

القراءة

وأهميتها في حياة الأفراد والمجتمعات

الشيخ جميل مال الله الربيعي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(العلق:١-٥)

هكذا انبثق نور الإسلام في بدء انطلاقته بتوجيه أمر لرسول اللّه ﷺ بالقراءة، وما أدراك ما القراءة؟! القراءة حركة العقل والفكر لتغيير الواقع من حالة دانية إلى حالة مرتفعة سامية.

والآيات الكريمة التي أجمع المفسرون على أنها أول سورة نزلت على صدر رسول اللّه ﷺ وهذه الواقعة الرائعة التي ربطت الأرض بالسماء وغيّرت وجه التاريخ تشير إلى أن الإسلام انطلق من العلم والمعرفة؛ ليبني الإنسان فردًا ومجتمعًا ودولة، وينشئ حضارة إنسانية رائعة.

إن القراءة بمعناها الحقيقي تعني التأمل والتدبر في كتاب التكوين الآفاقي والأنفسي هذا من جانب، ومن جانب آخر قراءة في كتاب التدوين المتمثل في كتاب اللّه المنزل على رسوله ﷺ ليكون دليلًا ومرشدًا إلى معرفة ما في الكون من أسرار، وما في خلقه ووجوده من أهداف الكون وما وراءه من أسرار وماذا يراد منه؟

إن القراءة التي أمر اللّه تعالى بها النبي ﷺ وأمته والسائرين على هداه يجب أن تهدي إلى الواحد الأحد لمعرفة أسمائه وصفاته، ومقاصده التي أنزل كتابه من أجلها، هذه القراءة في كل حركة وسكون بل في كل لحظة بصر، وخطرة قلب تبدأ باسم اللّه، وتتحرك على هدى اللّه.

وعلى كل حال. القراءة طريق ووسيلة للوصول إلى معرفة الله تعالى ومعرفة أحكامه، وما يريده من الإنسان للسير في معارج الكمال.

إن تكرار الأمر بالقراءة(**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) (**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**) ، إشارة لتثبيت الفكرة وبيان أهميتها، لترسخ في أذهان السامعين؛ وتصبح حقيقة متأصلة في روح الإنسان يستأنس بها ولا يحيد عنها بل لتصبح أصلًا متجذرًا في كيانه.

وهي كذلك إشارة إلى مظهر من مظاهر لطف الله في الإنسان وإكرامه، أن علّمه بالقلم ليرفعه إلى أعلى المستويات الفكرية والروحية والأخلاقية، ولينقله من كثافة المادة وطين الطبيعة إلى شفافية الروح، (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) بعد أن أخرجه إلى هذه الدنيا صفحة بيضاء لا يحتوي على شيء سوى أرضية صالحة لغرس بذور العلم، لتُعمّق الإيمان، وتؤصل التوحيد في عقل الإنسان وقلبه وروحه ووجدانه.

وخلاصة الكلام: إن الإسلام أكد على القراءة الواعية للقرآن ؛ لأنه كتاب التدوين الذي يهدي لقراءة الكون فهو كتاب التكوين، وأقسم تعالى بالقلم لما له من دور في رفع شأن الإنسان وإصلاح المجتمع، وانتشار الحضارة (**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**)(ن:١-٢) يقول المفسر الكبير الشيخ الطبرسي: (والقلم، الذي يكتب به، أقسم الله به لمنافع الخلق فيه، إذ هو أحد لسانيّ الإنسان يؤدي عنه ما في جنانه، ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه، وبه تحفظ أحكام

الدين ، وبه تستقيم أمور العالمين، وقد قيل إن البيان بيانان؛ بيان اللسان، وبيان البنان، وبيان اللسان تدرسه الأعوام، وبيان الأقلام باقٍ على مر الأيام، وقيل: إن قوام أمور الدين والدنيا بشيئين: القلم والسيف، والسيف تحت القلم، وقد نظمه بعض الشعراء وأحسن فيما قال:

إن يخدم القلمَ السيفُ الذي خضعت
له الرقاب ودانت حِذْرَهُ الأممُ
فالموت والموت شيء لا يغالبه
ما زال يتبع ما يجري به القلمُ
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت
إن السيوف لها مذ أرهفت خدمُ[1]

ويقول العلامة الطباطبائي: (أقسم سبحانه بالقلم، وما يسطرون به، وظاهر السياق أن المراد بذلك مطلق القلم ومطلق ما يسطرون به، وهو المكتوب فإن القلم، وما يسطر به من الكتابة من أعظم النعم الإلهية التي اهتدى إليها الإنسان يتلو الكلام في ضبط الحوادث الغائبة عن الأنظار، والمعاني المستكنة في الضمائر، وبه يتيسر للإنسان أن يستحضر كل ما ضرب مرور الزمان أو بعد دون المكان دونه حجابًا.

وقد امتنَّ الله سبحانه على الإنسان بهدايته إليهما وتعليمهما له، فقال في الكلام: (**خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**) وقال في القلم: (**عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) فإقسامه تعالى بالقلم وما يسطرون إقسام بالنعمة)[2]

هذا إجمال الإشارة إلى أهمية القلم، وأما التفصيل: فإن الإسلام إنما أعطى للعلم هذه الأهمية لأمور كثيرة يتوقف عليها بناء الإنسان وتسيير أموره، ومن تلك الأمور:

١- إن القلم الذي هو رمز للعلم والمعرفة يعد هو المصدر (لجميع الحضارات الإنسانية في العالم أجمع، إن تطور وتكامل العلوم والوعي والأفكار، وتطور المدارس المذهبية والفكرية، وبلورة الكثير من المفاهيم الحياتية... كان في الواقع بفضل ما ثبت من العلوم والمعارف الإنسانية في الحقول المختلفة، مما كان له الأثر الكبير في يقظة الأمم وهداية الإنسان.. وكان ذلك بواسطة (القلم)[3]

٢- إن القلم له الدور الأساسي والرئيسي في تأسيس الحضارة، وبناء ثقافة الشعوب، وتقدمها بل هو العامل الأهم في تقدم الشعوب ورقيها.

٣- إن القراءة عامل أساسي في فهم الحياة الإنسانية السابقة والحاضرة واللاحقة، وفهم سر وجودها، وأهدافها، ووسائلها، معرفة تحدد عوامل النهوض والتقدم، وعوامل السقوط والانهيار.

٤- القراءة مصدر هام لتحصيل المعارف والمعلومات، وتثبيتها في سجل التأريخ وبقائها ترفد مسيرة الإنسان على طول خط التأريخ.

٥- وإذا تخلينا عن كل ذلك نجد أن القراءة أفضل متعة، وتسلية، وسياحة في عمق التأريخ وغذاء للروح والعقل والنفس، وانتقال من عوالم ضيقة محدودة إلى عوالم واسعة سعة الحياة؛ ولذا يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (من تَسَلَّى بالكتب لَم تَفُتْهُ سَلْوَةٌ)، ويقول عليه السلام: (نِعْمَ المُحَدِث الكتاب)، ويقول عليه السلام: (الكتاب أحد المحدثين)[4]

وبناء على ذلك نجد في السنة الشريفة

التأكيد على الكتاب والكتابة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (اكتب وبث علمك في أخوانك فإن مت فأورث كتبك بنيك؛ فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يستأنسون إلا بكتبهم)[٥]

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (قيّدوا العلم بالكتابة)[٦]

وعن الإمام الحسن عليه السلام لما دعا بنيه وبني أخيه: (إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه، وليضعه في بيته)[٧]

وقال عليه السلام لأبي بصير:(دخل عليَّ أناس من أهل البصرة، فسألوني عن أحاديث، وكتبوها فما يمنعكم من الكتاب، أما إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا).[٨]

هكذا أكد الإسلام على القراءة والكتابة، فهما متلازمان لا تنفك إحداهما عن الأخرى.

ولأهمية هذا الأمر نرى أن الأمم المتحضرة اهتمت بشأن الكتب والمكتبات، وأسست لها المؤسسات الكبيرة؛ لأنها مَعْلَم حضاري كبير.

عوامل العزوف اليوم عن القراءة:

رغم علم الجميع بأهمية القراءة والكتابة وإجماع الناس على ذلك في جميع الأمم والشعوب إلا أننا نرى اليوم انصراف أكثر الناس عن القراءة والمطالعة وهجران المكتبات، وقد قامت بعض المؤسسات بتقديم إحصائيات عن نسبة القراءة في الوطن العربي، وقارنتها بنسبة القراءة في أمريكا وبريطانيا وبقية الدول الأوربية، فعن جريدة الرأي الأردنية أن معدل قراءة المواطن العربي سنويًا ربع صفحة، ومعدل قراءة الأمريكي ١١ كتاب سنويًا، و٧ كتب نسبة قراءة البريطاني، وإجمالي ما تنتجه الدول العربية ١١٪ من الإنتاج العالمي رغم أن نسبة سكان الوطن العربي إلى سكان العالم ٥٪ حسب إحصائيات سنة ٢٠٠٩ وما يطبع باللغة الإنكليزية ٦٠٪ من نسبة المطبوعات بالعالم وهناك إحصائيات عن عدد المطبوعات في كل دولة.

جاء في تقرير مؤسسة التنمية الإنسانية العربية والذي أشرف عليه المئات من الخبرات والعلماء والباحثين إحصاءات ووصلوا إلى النتيجة المذهلة القائلة: ثلث الرجال، ونصف النساء في الوطن العربي لا يقرؤون.

وقالت منظمة اليونسكو في تقرير لها عن القراءة في الوطن العربي أن المواطن العربي يقرأ ست دقائق في السنة ، طبعا هذا غير الكتب المدرسية والمجلات والصحف.

إن العراق الذي كادت الأمية تنعدم فيه إبان العقود الماضية تراجع بشكل ملحوظ نتيجة للظروف السيئة، وازدادت أعداد الأميين، وبدت ظاهرة تسرب الأطفال من المدارس وعزوفهم عن الدراسة، جلية في الشوارع ومواقع العمل المختلفة.

ولعل من أهم العوامل التي أسهمت في انصراف الشباب عن القراءة هو:

١ـ نظام التعليم العقيم المبني على حشو أدمغة التلاميذ بكمية معينة من المعلومات بدلًا من غرس قيم البحث أو التفكير أو الإبداع .

٢- المناهج التعليمية الجافة والكتب المدرسية المنفرة التي تجعل من الكتاب، ومن القراءة شيء مكروه بحيث يذهب

الكثير من الباحثين والمراقبين لواقع القراءة في العالم العربي إلى (أن تدني هذه الظاهرة يعود بشكل جوهري إلى مناهج التعليم التي تعلم التلقين والحفظ واستدعاء الذاكرة عند ضرورة الامتحان، وعدم إشاعة حب القراءة كثقافة مهمة في حياة الطالب مدى الحياة).

٣- ومن الأسباب أيضًا تركيز الأمهات والآباء على النجاح بأعلى الدرجات في المدرسة بأي طريقة كانت حتى لو لم يفهم الطالب الدرس الذي تلقاه مادام قد حفظه ببغاويًا وعبر به مرحلة دراسية.

٤- ولعله من الأسباب المهمة كثافة المناهج التعليمية، وحشد الكثير من الدروس، وتكثير واجبات الطالب البيتية والامتحانية بحيث تصل إلى حد الارتباك والضيق والملل حتى يعود الطالب يكره الكتاب المفروض عليه فرضًا، وبالتالي يصبح يكره رؤية الكتاب .

٥- الانغماس بالحياة المادية الخارجة عن حاجة الإنسان بحيث إن الإنسان عاد اليوم لا يكتفي بما يكفيه من وسائل، وإنما استغرق في الكماليات إلى أذنيه.

٦- الخطأ الذي غرس في ذهن الفرد بأن القراءة لأجل نيل الشهادة والامتحان، وإذا نال الشهادة فقد وصل درجة الكمال وحقق جميع آماله فلماذا يقرأ إذن.

٧- الخطأ في فهم التطور التكنولوجي، فالبعض يتصور أن حصوله على المعلومة بسهولة من الانترنت أو التلفزيون يكفي عن ذلك، ونسي أن بحث الإنسان عن المعلومة، ومواصلة التأمل والتفكير هو الذي يوسع آفاقه العلمية والفكرية.

٨- ولعله من أهم الأسباب عدم معرفة أهمية القراءة والمغزى الأساسي منها، وهي بناء شخصية الإنسان بتوسيع آفاقه العملية والفكرية والأخلاقية، وأن القراءة لا تنحصر فقط بالحصول على الشهادة، وإنما الشهادة هي نتاج القراءة والدراسة، وليس العكس، فحصول الشهادة بلا مواصلة القراءة والدراسة يؤدي إلى محو ما حصل عليه الطالب أثناء دراسته.

---

(١) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان: ٤٩٩/١٠ .
(٢) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٣٦٧/١٩-٣٦٨ .
(٣) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٧٢/١٨ .
(٤) ميزان الحكمة: ٣٥٦٢/٨ .
(٥) الأصول من الكافي: ٥٢/١
(٦) السرائر/ابن إدريس ج١ص٤٤
(٧) منية المريد/الشهيد الثاني/ص٣٤٠
(٨) المستدرك/ج٧ص٤٩

فضل قراءة القرآن

قال أمير المؤمنين عليه السلام

عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، والري الناقع ، والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تخلقه كثرة الرد ، وولوج السمع من قال به صدق ، ومن عمل به سبق .

وقال عليه السلام : أرسله على حين فترة من الرسل ، طول هجعة من الأمم ، وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه ، والنور المقتدى به ، ذلك القرآن فاستنطقوه ، ولن ينطق ولكن أخبركم عنه ، ألا إن فيه علم ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ودواء دائكم ، ونظر ما بينكم .... واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ، والهادي الذي لا يضل ، والمحدث الذي لا يكذب ، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة في هدى ، أو نقصان من عمى ...واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لاحد قبل القرآن من غنى ، فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لاوائكم ، فان فيه شفاء من أكبر الداء ، وهو الكفر والنفاق والغي والضلال ، فاسألوا الله به ، وتوجهوا إليه بحبه ولا تسألوا به خلقه ، إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله .

واعلموا أنه شافع مشفع ، وقائل مصدق ، وإنه من شفع له القرآن يوم القامة شفع فيه ، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه ، فإنه ينادي مناد يوم القيامة : ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله ، غير حرثة القرآن ، فكونوا من حرثته وأتباعه ، واستدلوه على ربكم ، واستنصحوه على أنفسكم ، واتهموا عليه آراء كم ، واستعشوا فيه أهواءكم وساق الخطبة إلى قوله : وإن الله سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن فإنه حبل الله المتين ، وسببه الأمين ، وفيه ربيع القلب ، وينابيع العلم ، وما للقلب جلاء غيره ، مع أنه قد ذهب المتذكرون ، وبقي الناسون والمتناسون... ، إلى آخر الخطبة .

(بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٨٩ص٢٣)

من نوادر الكلام في نهج البلاغة

مقاربة دلالية

أ.م.د. عبد علي ناعور الجاسمي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

بين مدة وأخرى أعود إلى (نهج البلاغة) لأعتاد على مفرداته وأسلوبه. أما مفرداته فلأحيط بالغريب منها، وأما أسلوبه فليتراكم عندي خزين لغوي يحفزني على تقوية أسلوبي في الكتابة.

وكنت في أثناء قراءتي هذا السِفر الخالد من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ألحظ كثيرًا من المفردات الغريبة النادرة الواردة فيه فأقيدها لأستجلي معانيها، ومن هذه المفردات ما كنت أعرف لها معنى غير المعنى المقصود في السياق الذي وردت فيه (بالنسبة لي على أقل تقدير). فكان عدد المفردات كبيرًا، وهو أمر حفزني على أن أختار مجموعة منها لأكتب بها هذا البحث ؛ ظناً مني بأن كثيرين غيري لا يعرفون هذه المعاني، اللهم إلا أولئك العلماء المتبحرون بعلوم اللغة وآدابها.

ورغبة مني في توضيح المعنى المعجمي لهذه المفردات فقد استعنت بثلاثة معجمات: الأول: معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، لأنه أصل المعجمات العربية ومنه كانت ريادة التأليف المعجمي عند العرب.

الثاني: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت٣٩٢هـ)، لأنه معني بأصول المفردات.

الثالث: معجم لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ)، لأنه أجمل وفصّل وجمع فأوفى، وأكثرَ من الشواهد بأنواعها ؛ ومن ثم أثبتُّ ذلك كل في هوامش صفحات هذا البحث.

وتسهيلًا للباحثين الراغبين في الوقوف على هذه المفردات وصِلتها بما

أوردَتْه كتب المعجمات، وضعتُ أرقام الخطب أو الرسائل في (نهج البلاغة) مشفوعة بأرقام الصفحات التي وردت فيها في هوامش الصفحات أيضًا، وهكذا فعلت عند الرجوع إلى كتب المعجمات الثلاثة. فإذا ما مرت آية كريمة أو حديث شريف لنبينا الأعظم محمد (ص) أو شاهد شعري أو مثل؛ وثّقتُ كلاً منها من مظانّه المعروفة منهجًا.

(أرر)

قال عليه السلام: (يُفضي كإفضاء الدِّيكة، ويؤُرُّ بملاقحه أَرَّ الفحول المغتلمة في الضِّراب)[1]

قال الخليل: الإرارُ: شِبْهُ ظُؤْرة يَؤرُّ بها الرّاعي رَحِم النّاقة إذا ما رَنَتْ، ومُمارنتها: أن يضربها الفحل فلا تلقح. وتفسير يَؤُرُّ بها الرّاعي: أن يُدْخِلَ يدّه في رَحمها فيقطعَ ما هناك بالإرار ويُعالجَهُ. والأرّ: أن يأخذ الرّجلُ إراراً، وهو غُصْنٌ من شوك القتاد وغيره فيضربه بالأرض حتّى تبينَ أطرافُ شوكه، ثم يَبُلُّه، ثمّ يَذُرّ عليه ملحاً مدقوقاً فيَؤُرّ به ثَفْر النّاقة حتّى يُدْمِيَها.. يُقال: ناقة ممارن، والفعل: أرّها يؤرّها.[2]

قال ابن فارس: أَصْلُ هَذَا الْبَابِ وَاحِدٌ، وَهُوَ هَيْجُ الشَّيْءِ بِتَذْكِيَةٍ وَحَمْيٍ، فَالْأَرُّ: الْجِمَاعُ، يُقَالُ أَرَّهَا يَؤُرُّهَا أَرًّا، وَالْمِئَرُّ: الْكَثِيرُ الْجِمَاعِ... وَالْأَرُّ: إِيقَادُ النَّارِ، يُقَالُ أَرَّ الرَّجُلُ النَّارَ: إِذَا أَوْقَدَهَا.[3]

قال ابن منظور: ...الأَرُّ: الجماع. وفي خطبة عليّ، كرّم الله تعالى وجهه: (يُفْضِي كإفْضاءِ الدِّيَكةِ ويَؤُرُّ بملاقحِه...) الأَرُّ: الجِماع. وأَرَّ المرأَةَ يَؤُرُّها أَرّاً: نَكحها... أبو عبيد: أَرَرْتُ المرأَةَ أَؤُرُّها أَرّاً إذا نكحتها. ورجل مِئَرٌّ: كثير النكاح..[4]

يصف الإمام عليه السلام الطاووس وسلوكه مع أنثاه حين تهيج به الشهوة واصفًا إياه

بالفحول التي تغلبها الشهوة عند الجماع.

(أ ر ز)

قال عليه السلام: (والله لتفعلُنَّ أو ليَنقُلَنَّ الله عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبدًا حتى يأرز الأمرُ الى غيركم.[٥]

قال الخليل: " أرز: الأَرْزّ: معروف. والأَرْزُ: شدّةُ تَلاحُم وتَلازُم في كَزازة وصَلابة. وإنّ فلانًا لأَرُوزٌ، أي: ضيّقٌ بخيلٌ شُحّاً، قال: ويُقالُ للدّابة: إنّ فقارَها لآرزةٌ، أي: مُتَضايقة مُتَشَدّدة... وما بَلَغَ فلانٌ أَعْلَى الجَبَل إلاّ آرزاً، أي: مُنْقَبِضاً عن الانبساط في مَشيه من شدّة إعيائه، يُقال: أَعْيا فلانٌ فآرَزَ، أي: وَقَف لا يَمضي. وسُئِلَ فُلانٌ شيئاً فآرَزَ، أي: انقبض عن أن يَجُودَ به وامتنع...[٦]

قال ابن فارس: (أَرَزَ)الْهَمْزَةُ وَالرَّاءُ والزَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ لَا يُخْلِفُ قِيَاسُهُ بَتَّةً، وَهُوَ التَّجَمُّعُ وَالتَّضَامُّ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله:(إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا)[٧]. وَيَقُولُونَ: أَرَزَ فُلَانٌ: إِذَا تَقَبَّضَ مِنْ بُخْلِهِ. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: " إِنَّ فُلَانًا إِذَا سُئِلَ أَرَزَ، وَإِذَا دُعِيَ انْتَهَزَ ". وَرَجُلٌ أَرُوزٌ: إِذَا لَمْ يَنْبَسِطْ لِلْمَعْرُوفِ... وَيُقَالُ: نَاقَةٌ آرِزَةُ الْفَقَارَةِ: إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةً مُتَدَاخِلًا بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ. وَقَالَ زُهَيْرٌ:[٨]

من الوافر ــ

بِآرِزَةِ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخُنْهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءُ

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ لِلَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ آرِزَةٌ فَمِنْ هَذَا، لِأَنَّ الْخِصْرَ يَتَضَامُّ.[٩]

قال ابن منظور:أرز: أَرَزَ يَأْرِزُ أُرُوزاً: تَقَبَّضَ وتَجَمَّعَ وثَبَتَ، فهو آرِزٌ وأَرُوزٌ، ورجل أَرُوزٌ: ثابت مجتمع... وروي عن أبي الأسود الدؤلي أنه قال: إن فلاناً إذا سئل أَرَزَ وإذا دُعِيَ اهْتَزَّ؛ يقول: إذا سئل المعروفَ تَضامَّ وتَقَبَّضَ من بخله ولم ينبسط له، وإذا دعي إلى طعام أَسرع إليه... وأَرَزَت الحيةُ تَأْرِزُ: ثبتت في مكانها، وأَرَزَتْ أَيضاً: لاذت بجحرها ورجعت إليه. وفي الحديث: (إن الإسلام ليَأْرِزُ إِلَى المدينة كما تَأْرِزُ الحَية إلى جُحْرِها)... ومنه كلام عليّ، عليه السلام: (حتى يأْرِزَ الأَمْرُ إلى غيركم). والمَأْرِزُ: المَلْجَأُ.[١٠]

هنا يكنّي الإمام عليه السلام عما سيؤول إليه أمر الدين الإسلامي إن لم يحتكم الناس إلى عقولهم، وليتخذوا من دينهم محجة للسلوك الذي يحفظ للإسلام هيبته ومنهجه المنقذ للإنسانية لو اتبعته صادقة. فيصف مآل هذا الدين بالتقبُّض والتضامّ والضيق وانحسار أثره وزوال خطره، وهو ما شبّهه رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث الشريف بالحية حين تعود إلى جحرها وتتقبّض وتجمع هيكلها بطوله وأثره للناظر، فيزول هذا الأثر بعدما كان واضحًا على من يرى الحية وهي في ميدان حياتها المعروف.

(أ ل س)

قال (ع): (أُفٍّ لَكُمْ !...،فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ...)[١١]

قال الخليل: (الأَلس: الكَذب. والمَأْلُوس: الضَّعيف البخيل، شبه المخبّل)[١٢]

قال ابن فارس: (الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالسِّينُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْخِيَانَةُ. الْعَرَبُ تُسَمِّي الْخِيَانَةَ أَلْسًا، يَقُولُونَ: (لَا يُدَالِسُ وَلَا يُؤَالِسُ)[١٣]

قال ابن منظور: " الأَلْسُ والمُؤَالَسَة: الخِداع والخيانة والغشُّ والسَّرَقُ، وقد أَلَس يأْلِس، بالكسر، أَلْساً. ومنه قولهم:

فلان لا يُدالِس ولا يُؤَالِسُ، فالمُداسَسَةُ من الدَّلْس، وهو الظُّلْمَةُ، يراد به لا يُغَمِّي عليك الشيء فيُخْفيه ويستر ما فيه من عيب. والمُؤَالَسَةُ: الخيانة؛ ... والأَلْسُ: أَصله الوَلْسُ، وهو الخِيانة. والأَلْسُ: الأَصلُ السُّوء. والأَلْس: الغدر. والأَلْسُ: الكذب. والأَلْسُ والأُلْسُ: ذهاب العقل وتَذْهيله... قال أَبو عبيد: الأُلْسُ هو اختلاط العقل... ورجل مَأْلوس: ذاهب العقل والبدن[١٤]

لقد اختزل الإمام (عليه السلام) بهذه المفردة شر الصفات عند من خذله وتقاعس عن نصرته في مواضع كثيرة، متأففًا متألمًا مما يفعله هؤلاء به (عليه السلام) إزاء ما يطلبه لهم من صلاح ورفعة وفوز بالنعيم الأبدي.

(س هـ هـ)

قال (عليه السلام): (الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّه[١٥])

قال الخليل: السَّهُ: حَلْقَةُ الدُّبُر... قال:[١٦] من الطويل ــ

شَأَتْكَ قُعَيْنٌ غثُّها وسمينُها
وأنت السَّهُ السُّفلى إذا دعيتْ نَصْرُ[١٧]

قال ابن منظور:... روي عن النبي، (ص)، أنه قال: (العَيْنان وكاءُ السَّه[١٨] فإذا نامتا اسْتَطْلَقَ الوكاءُ؛ قال أَبو عبيد: السَّهُ حَلْقَةُ الدبر، قال الأزهري: السَّهُ من الحروف الناقصة، وقد تقدّم ذلك في ترجمة سته لأن أَصلها سَتَهٌ، بوزن فرس، وجمعها أَسْتاه كأَفراس، فحذفت الهاء وعوّض منها الهمزة، فقيل اسْتٌ، فإذا رَدَدْتَ إليها الهاء وهي لامها وحذفت العين التي هي التاء انحذفت الهمزة التي جيءَ بها عِوَضَ الهاء، فتقول سَهٌ، بفتح السين... ومعنى الحديث: أن الإنسان مهما كان مستيقظاً كانت اسْتُه كالمشدودة المَوْكيّ عليها، فإذا نام انْحَلَّ وِكاؤُها، كَنى بهذا اللفظ عن الحَدَث وخروج الريح، وهو من أَحسن الكنايات وأَلطفها.[١٩]

لقد ورد هذا القول في قصار الحكم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. قال الرضي: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه شبّه السَّهَ بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا أُطلق الوكاءُ لم ينضبط الوعاءُ و هذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي (صلى الله عليه و آله وسلم)، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام.[٢٠] والوكاء: هو ما يُوكى به الوعاء أي: يُغلق، وقد جاء في المثل: (يداكَ أوكتا وفوك نفخَ)[٢١] أي: يداك أَغْلَقَتا وعاءك، وفمُك نَفَخَهُ. ومن يتفحص الكناية الواردة من هذه النصوص أن معنى كلام الإمام (عليه السلام) هو أن يتثبّت الإنسان مما حوله ولا يدخل مدخلًا لا يعرف كيف يخرج منه، لأن عينه هي التي تُرشده إلى مواطن الخير أو الشر، فإذا جعل عينه ميزانه كما يقولون صارت له هذه العين قُفلاً لبقية مواطن كلامه أو سلوكه، أي: سيبقى متيقظًا لما حوله.

(ل ط ط)

قال عليه السلام: (أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُوم هذَا المِلْطَاط، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي)[٢٢]

قال الخليل: "اللَّطُّ: إلزاقُ الشّيء، ... والمِلْطاطُ: حرفٌ من الجَبَل في أعلاه. ومِلْطاطُ البَعير: حَرْفٌ في وَسَط رَأْسِه.[٢٣]

قال ابن فارس: "اللَّامُ وَالطَّاءُ أُصَيْلٌ صَحيحٌ، يَدُلُّ عَلَى مُقَارَبَة وَمُلَازَمَة وَإِلْحَاح مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: أَلَطَّ الرَّجُلُ، إِذَا اشْتَدَّ

فِي الْأَمْرِ. وَيُقَالُ لَطَّ بِـه: لَزِمَهُ... وَالْجَمْعُ لَطَاطٌ. وَاللِّطَاطُ: حَـرَّفَ الْجَبَلِ. وَمِلْطَاطُ الْبَعِيرِ: حَرْفٌ فِي وَسَطِ رَأْسِه. وَالْمِلْطَاطُ: حَافَةُ الْوَادِي، وَسُـمِّيَ كُلُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُلَازِمٌ لَا يُفَارِقُ. وَاللِّطْطُ: الْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ، لِأَنَّهَا مُلَازِمَةٌ لِمَكَانِهَا لَا تَكَادُ تَبْرَحُ.(٢٤)

وفِي اللِّسَانِ: واللِّطَاطُ والمِلْطَاطُ: حرف من أَعْلَى الجبل وجانبه... والمِلْطَاطُ: أَعلى حرف الجبل وصَحْنُ الدَّار، والميم في كلها زائدة؛ ... والمِلْطاط طريق على ساحل البحر؛ قال رؤبة:(٢٥) من الرجز ــ

نحنُ جَمَعْنا النَّاسَ بالمِلْطاطِ في وَرْطَةٍ وأَيُّما إِيراطِ

ويروى: فأَصْبَحُوا في وَرْطَةِ الأَوْراطِ وقال الأَصمعي: يعني ساحل البحر. والمِلْطاطُ: حافةُ الوادي وشَفِيرُه وساحِلُ البحر. وقول ابن مسعود: هذا المِلْطَاطُ طَرِيقُ بَقِيّةِ المؤمنين.

هُرّابًا من الدَّجّالِ، يعني به شاطئ الفُرات، قال: والميم زائدة...(٢٦)

قيل: إن الإمام خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين. قال الشريف الرضي: يعني عليه السلام بالملطاط هاهنا: السَّمْتَ الذي أمرهم بلزومه، وهو شاطىء الفرات، ويقال ذلك أيضاً لشاطىء البحر، وأصله ما استوى من الأرض.

---

(١)نهج البلاغة: ٣٥٥/١٦٥ من كلام له (ع) يصف فيه عجيب خلقة الطاووس.

(٢)العين: (أرّ) ٣٠٤/٨.

(٣)مقاييس اللغة: (أرّ) ١٢/١.

(٤)لسان العرب: (أرر) ١٥/٤.

(٥)نهج البلاغة: ٣٦٥/١٦٩ من خطبة له (ع) في أصحابه عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة.

(٦)العين: (أرز) ٣٨٣/٧.

(٧)في صحيح البخاري: ٢١/٣، وصحيح مسلم: ١٣١/١، و سنن ابن ماجة: ١٠٣٨/٢ : (إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا).

(٨)شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ٦٣.

(٩)مقاييس اللغة: (أرز) ١/ ٧٩، ٧٨.

(١٠)لسان العرب: (أرز) ٣٠٥/٥، وينظر: (أزح) ٤٠٤/٢.

(١١)نهج البلاغة: ١٣٣/٣٤ من خطبة قالها في استنفار الناس إلى الشام بعد فراغه من قتال الخوارج.

(١٢)العين: (ألس) ٣٠١/٧.

(١٣)مقاييس اللغة: (ألس) ١٣١/١.

(١٤)لسان العرب: (ألس) ٧/٦.

(١٥)نهج البلاغة: ٤٥٩/ ٧٥٣.

(١٦)البيت لأوس بن حجر في ديوانه: ٣٨.

(١٧)العين: (سهّ) ٣٤٦/٣ وينظر: (سته) ٥/٤

(١٨)تمام الحديث: (الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ، فَمَنْ نَامَ، فَلْيَتَوَضَّأْ). ينظر: سنن ابن ماجه: ١٦١/١ وسنن أبي داوُد: ٥٢/١

(١٩)لسان العرب: (سهه) ٥٠٣/١٣

(٢٠)نهج البلاغة: ٤٥٩/ ٧٥٤

(٢١)المستقصى من أمثال العرب، للزمخشري: ٤١٠/٢ تسلسل: ١٥٢٦ وأصله أن رجلا نفخ في زقٍّ له ولم يوثق أي: لم يُحكم وكاءه إغلاقه فَرَكِبهُ ليعبر نَهرا فَلَمَّا توَسط انحل الوكاء وَخرجت الرّيح ففرق وَحين غشيه الْمَوْت اسْتَغَاثَ بِرَجُل فَقَالَ لَهُ ذَلِك، وقيل غير ذلك في قصة المثل.

(٢٢)نهج البلاغة: ١٤٨/٤٨ من خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام.

(٢٣) العين: (لطّ) ٤٠٥/٧

(٢٤) مقاييس اللغة: (لطّ) ٢٠٦/٥

(٢٥) ديوان رؤبة بن العجاج: ٨٦ وفيه: فأصبحوا في ورطة الأوراط

(٢٦) لسان العرب: (لطط) ٣٩٠/٧

رسائل خالدة

كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتابًا إلى أهل مصر حين عيَّن مالك الأشتر واليًا على مصر ، جاء فيه:(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض ، وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر ، فلا حق يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه - سلام عليكم - فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بعثت إليكم عبدًا من عبيد الله لا ينام أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر، أشد على الكفار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنه سيف من سيوف الله ، لا نابي الضريبة ولا كليل الحد ، فإن أمركم أن تقدموا فأقدموا ، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري ، وقد آثرتكم به على نفسي لنصحه لكم وشدة شكيمته على عدوكم ، عصمكم الله بالهدى ، وثبتكم على اليقين ، والسلام).

(نهج السعادة - الشيخ المحمودي - ج ٥ - ص ٤٩)

حكاية كنز البستان

ذات المغزى الأخلاقي

عبد الواحد الشيخ محمود •
بكالوريوس آداب/ لغة عربية

ينابيع

١ـ الفجيعة لا تصلح أن تكون نهاية لحكايات الأطفال

الحكاية عبارة عن خبر ولكنه ليس خبرًا مباشرًا فهي تستند إلى تراكم ثقافات الشعب أحادية البطل أو ثنائيته، خبرها يعتمد على الحوار والاختصار وأحياناً المباشرة، والحكاية التي نقصدها هنا حكاية الأطفال ومفرداتها يجب أن تكون سهلة مختصرة لا تحتاج إلى معاجم لغوية، ومن خصائصها الأخرى أنها حكايات شفوية تتناقلها الأجيال تخرج من التدوين إلى الكلام الشفاهي ولك أن تتصور كم من الإضافات والتغيرات التي تطرأ عليها وهي تتناقل بين البلدات والأشخاص إلى جانب النص الأصلي فتخرج منها حكايات وليدة موازية أخرى.

لقد أخرجت لنا ثقافات الشعوب آلاف القصص والحكايات وربما نجد فكرة الحكاية أو شخوصها ترد بعناوين كثيرة مختلفة ولكنها لا تخرج عن هدفها الرئيس وهو المعيار الأخلاقي التربوي، إذ يتبنى الكبار بطريقة لا شعورية الحرص على إسماع الصغار قصصاً وحكايات مختلفة تهدف إلى إثراء ثقافة الأطفال وتعزيز قدراتهم وتحفيز إبداعهم وزيادة ثروتهم اللغوية ورفدهم بشحنة عاطفية وهم يتابعون تحركات أبطال الحكاية وتوقهم للوصول إلى نهاية الحكاية لمعرفة النتيجة وما تؤول إليه النهاية، والتي ينتظرونها بفارغ الصبر، إذ يرغب الآباء إعطاء أفضل ما لديهم لأبنائهم بدافع حب البقاء وحفظ النسل أو ما يطلق عليه (دافع الأبوة، دافع الهيمنة، دافع الحنان) أي بما معناه تواصل الحياة لتعمر الأرض.

والحكاية عمل أولي يتم نقلها من جيل إلى جيل، وهذا معناه أن ا لحكاية ليست ابتكار لحظتها فالحكاية جسد ثابت ولكن فيها المتحول الشيء الكثير، وأكاد أجزم أن الحكاية التي وصلتنا قد انشطرت وربما احتفظت بصورة البطل نفسه ولكن اختلفت

طريقة معالجتها حسب البيئة أو المكان أو الهدف، (فلا يزعم أحد ابتكارها) كما يقول د. عبد في كتاب الحكاية الشعبية، إنها نتاج الشعوب المختلفة، ولكنها تبقى تتجه صوب شرف الكلمة والأخلاق العالية والصدق والأمانة والفضيلة ولكنها تتبنى موقفاً أخلاقياً إيجابياً عند انتهاء الحكاية وهي انتصار الفضيلة على الشر.

الحكاية الشعبية ليست ملكاً لأحد ولا أحد يستطيع حجبها أو يمنع الاستمتاع بها، إنها تنتقل من مكان إلى مكان عبر سلسلة الأجيال، غايتها توصيل فكرة إنسانية على مستوى الطفولة دون أن تكون حكاية وعظية مباشرة لا يقدر الطفل على فهمها، والتي تفتقر إلى الخيال الذي يرغبه الطفل، ولأنه لم يستوعب العلاقات المنطقية بعد، بشكل دقيق، إن خللاً ما في المجتمع يجعل الشعوب تألف القصص للحد من منع هذا الخلل كما يقول د. عبد الحميد يونس في كتابه الحكاية الشعبية.

والحكاية لها إفهامها في حفظ الثقافة لكونها تعكس ثقافة ما، والتي يمكن تداولها لتعزيز وترصين وتقوية النسيج الإنساني مع بعضه.

إن الشيء المشترك في تراث الشعوب هو ازدراء العنف والتقتيل، فالكائنات الحية في حكايات الأطفال تلغي الحواجز اللغوية وتعيش متحاورة فيما بينها، أو مع الإنسان تشترك النباتات والشمس والقمر والغيم وكل المنافع يمكن أن توظف في الحكاية، فالشمس إذا أغضبت على الأرض تقترب منها وترسل خيوطها الذهبية الملتهبة لتذيب الثلوج وتحدث الفيضان، ولأن القمر رفض الذهاب إليها، أي إلى الشمس، وبقي قريباً من الأرض ينظم حركة مياهها ويجمع النجوم من حوله، فإذا جاءت الشمس هربت النجوم من حوله.

كل الحوارات في حكايات الأطفال

ممكنة واللغة هي بلهجة البلد الذي تحكى فيه الحكاية، فالقرد يحاور السلحفاة، والأسد يتكلم مع الأرنب، والجنية تحول ثمار اليقطين إلى عربة ذهبية فاخرة، لتركب فيها الفتاة الفقيرة اليتيمة لتذهب إلى بيت السلطان عندما دعا الأمير أهل المدينة ليختار بنتاً لتكون قرينة له، حوارات محايدة وإيجابية هادئة لا تدخل الرهبة أو الخوف قلب الطفل، وتجعله يرتجف وتترك أثرها في قادم الأيام عليه، وإذا حدث صراع بين الحيوانات أو غيرها فإنها تفضي دائما إلى انتصار الخير، أي الحكاية تنتهي نهاية سعيدة يسودها المرح إذ إن الفجيعة لا تصلح أن تكون نهاية لحكاية الأطفال.

ولابد أن نشير إلى أنه الاعتناء بالطفل يبدأ مبكراً أي يبدأ منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه، فالعلاقة بين الأم وجنينها إنما هي علاقة حساسة إذ يتطلب من الأم أن تبتعد عن الانفعال أو الاضطراب مما يؤدي إلى تأثر جنينها بها، ناهيك عن الأزمات التي تتعرض لها الأم من هموم وأحزان واضطرابات عصبية لا يمكن أنها تمر في حياة الأم دون أن تترك آثارها السيئة على الجنين الذي يقبع في أحشائها.

يقول جان روستان في كتابه (الأمومة والبيلوجيا) ص٦١: (لم نجد صعوبة في قبول إمكانية الفزع أو الصدمة النفسية في أن تحدث عند الأم إفرازاً هرمونياً مفاجئاً وبصورة أعم بتغير كيميائي وأن تشكل اضطراباً في نمو المضغة أو الجنين وإذا أردنا أن نسمي الاعتناء بالجنين قبل الولادة فإننا نعطيه مصطلح (التربية قبل الولادة).

٢ـ القصص القرآني:

لو نظرنا إلى القصص القرآني لرأينا أن هذه القصص تخاطب كل الناس بدون تعقيد أو غموض أو تأويل، تألفها النفس ولا تملها فهي محببة لم تخلق لزمان أو مكان معينين والقصة القرآنية التي تنتهي نهاية سعيدة هي أيضاً مختصرة لا إطالة فيها، تشد السامع أو القارئ من بدايتها حتى نهايتها، فإذا نظرنا إلى القصص القرآني وكيفية تأثيرها في النفس نجد أنها مكتملة جوانب القصة الغنية حسب تعريف القصة التي تتكون من البداية والعقدة (البطل) والحل (النهاية)، فمثلاً لو أخذنا قصة يوسف الصديق النبي عليه السلام وكيف كانت سعادة الأب يعقوب بلقاء الابن (النبي يوسف) بعد طول غياب وشقاء الذي بسببه (ابيضت عيناه من الحزن) وكيف آلت إليه قصة يوسف الصديق إلى لم شمل يعقوب النبي مع يوسف الصديق، فانظر كيف انتهت نهاية مبهجة قال تعالى في سورة يوسف آية (٩٩) (**فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ**)

النهايات السعيدة هي دأب القصص القرآني بما تحتويه من عبرة وموعظة ونهاية غير مفجعة، يخرج القارئ أو السامع منتصراً لأن القصة القرآنية تعبر عن ضمير الأمة. وهذه قصة أخرى من قصص القرآن الكريم هي قصة النبي موسى التي تخبرنا عن أم موسى مع وليدها موسى في سورة (طه) الآيات (٣٨، ٣٩، ٤٠) قال تعالى (**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ**).

فالقصة تتحدث عن الطفولة وكيف رجع الوليد الصغير إلى حضن أمه لتكتمل فرحتها ولتكون هي الراعي لهذا الوليد الذي سيقف يوماً بوجه الفرعون ولتعلو رسالة السماء وينتصر الحق آخر الأمر.

وإذا تركنا قصص الطفولة في القرآن الكريم إلى قصص أخرى وردت فيه، فهذه قصة النبي أيوب الذي مسه الضرّ وذهب ماله وعياله وأصبح المرض رفيقاً له يلازمه، قال تعالى في سورة الأنبياء الآية (٨٣) **(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)**.

وهكذا نرى القصص القرآني الذي يحتويه ذهن ولب السامع والتي تنتهي دائماً نهاية سعيدة غير مفجعة تفيض بالمحبة والطمأنينة.

٣- القصص والحكايات حول العالم:

أما القصص والحكايات الموجهة للطفل في جميع أنحاء المعمورة فهي قصص مبسطة ليس فيها منازعات أو عنف، وقد اتفقت شعوب الأرض أن تقدم لأطفالها نفس الحكايات في هيكلها العام (خوفاً على أطفالها) ومحبة لهم ولحفظ النسل وديمومة الحياة، بعيدة عن عوامل اليأس والإحباط والهروب من الحياة.

ولأن القصص مهمة في تنمية مدراك الأطفال فإن الشعوب تحاول أن تخرج أو تنقل من تراث الشعوب الأخرى وحسب ما يتلاءم مع بيئتها ولكنها لا تخرج عن التوجه الأخلاقي الذي هو غايتها، وكأن الشعوب اتفقت لتقدم أحسن ما عندها لأطفالها، يحدوها واقع حب البقاء، فلكل الشعوب قصص وحكايات من البحر الكاريبي حتى الهند وصعوداً إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط والشعوب الجرمانية، وهي قصص وحكايات ذات مضامين متشابهة تتحدث عن نفس الأنماط، حيوانات تتصالح وتندمج بعدما كانت تتصارع ثم إبعاد الظالم أيا كان، (إنساناً أو حيواناً) صاحب النزعة الشريرة العدوانية.

الكل يتكلمون بلغة موحدة هي لهجة القاص من الزمان والمكان المعين الذي يهدي إلى توصيل الفكرة إلى الأطفال، لأن الأطفال تكون نسبة الخيال في عقولهم عالية، بمعنى أنهم لم يخوضوا التجربة بعد، ولم تتعزز خبرتهم، فهم مشدودون لحكايات تقرب إليهم الصورة ولا تبعد عنهم الحقيقة.

٤- نموذج من الحكايات العالمية (بتصرف)

حكاية كنز البستان -

بينما كان بستاني عجوز على فراش الموت أرسل في طلب ولديه وعندما قدم الولدان إليه استوى جالساً على الفراش وأشار من النافذة إلى البستان وقال لولديه:-

منذ سنوات يعطينا هذا البستان أفضل الفواكه، في حين أنكما لم تعملا فيه يوماً واحداً، وأشك بأنكما ستقومان بذلك، ولكنني ضماناً لكما خبأت لكما كنزاً فيه، وآمل أن توفقا في العثور عليه، بعد بضعة أيام مات الأب، ولما كان الولدان بحاجة للكنز، أخذا يبحثان عنه، حفرا كل بقعة البستان وأزالا جميع الأحجار والأعشاب، وتشققت أيديهما من العمل الشاق الذي لم يعتاداه من قبل دون أن يعثرا على الكنز حتى يئسا، مر الشتاء وجاء الربيع فتفتحت الأشجار واكتست بالأثمار اللذيذة الوافرة.

في الصيف جاء إليهم أحد التجار واشترى كل فواكه بستانهما، وأعجب بالمحصول الرائع، واشتراه بمبالغ كثيرة تزيد بكثير أضعافاً عن توقع الولدين (لا شك أنكما بذلتما جهوداً مضنية في استثمار محصولهما في الموسم القادم، حيث أدركا الحكمة في وصية أبيهما فقال أحدهما (أعتقد أن هذا هو الكنز الذي تكلم عنه والدنا).

دلالة التعاقب الإعرابي

في نصوص من نهج البلاغة

د.هاشم جعفر الموسوي •
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ينابيع

يُعدُّ الإعراب من ظواهر سعة العربية وثرائها أيضاً؛ إذْ إنَّ ألفاظاً كثيرةً في بعض التراكيب العربية قد تُعرَب بأكثر من وجه، وهو باب واسع في اللغة، وسنحاول هنا أن نوضح أثر التعاقب الإعرابي في ألفاظ وردت في نصوص من نهج البلاغة، وقد ذُكر فيها أكثر من رواية، بين رفع ونصب، ورفع وجر، وما يترتّب على ذلك من دلالات مختلفة، وما يمكن أن يكون راجحاً منها بدلالة القرائن اللغوية المعتبرة:

١- في قوله عليه السلام يصف الدنيا :(**أَلاَ وَإِنَّ اليَوْمَ المضْمَارَ، وغَداً السِّبَاقَ، و السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالغَايَةُ النَّارُ**)[١] . رُوي (المضمار، والسباق) بروايتين:الرفع على أنهما خبران لـ (إنّ) و(اليومَ وغداً) اسماها[٢].والنصب على أنهما اسما (إنّ)، فيكون الظرفانِ خبرين وموضعُهما الرفعُ،وجوّز بعض شراح النهج الإعرابين معاً، مع الإشارة إلى اختلاف المعنى. و أن في النصب إشكالاً في (إن اليومَ المضمارَ) فـ : (اليوم زمان، والمضمار زمان، فكيف يُخبَر عن المضمار باليوم ؟ فيستلزم وقوعَ زمانٍ في زمانٍ آخر، ويكون أحدهما محتاجاً إلى زمانٍ آخرَ، وذلك محالٌ)[٣] . ويُفهَم من ذلك أنَّ الإشكالَ واقعٌ في أن كلاً من المبتدأ والخبر زمانٌ، فالمضمار اسمٌ يُطْلَقُ على(الأيام التي تُضَمَّرُ فيها الخيلُ للسِّباق)[٤]، ويقدّر هذا الوقت بأربعين ليلة[٥] . وقد استعار الإمام عليه السلام المضمار هنا لحياة الإنسان لما بينهما من تشابه،فالإنسان يستعد بالتقوى والأعمال الصالحة ليكون من السابقين إلى لقاء الله تعالى، كما يستعدُّ الفرسُ للسِّباق بالتَّضمير وهو التسمينُ ثمَّ القوت[٦] . وأما اليوم فزمانٌ معلوم، فلا يصحُّ بعد الإخبار بوقوع الزَّمانِ في الزمان.

وأما (وغداً السباق)، فجوّز الشرّاح فيه نصبَ (السباق) على أنه اسم (إنّ)، و(غداً)

في موضع الخبر، ومَنَعَ رَفْعَ (السباق)، لأنه لو كان خبراً لكان (غداً) اسمَه، فيكونُ هو المبتدأ في الأصل، و(السباق) خبره، وهذا لا يجوز، لأنَّ السباقَ ليس محمولاً على (غداً) إذ لو كان محمولاً عليه لكان الحمل بمعنى (هو) نحو: (الإنسان الضَحّاك، أي: هو الضَّحّاكُ)، أو الحَمْل بمعنى(ذو) كقولنا: (الجسم الأبيض، أي: ذو بياض)، ولا واحد من المعنيين بحاصل في (غداً السباق)، لذا مَنَعوا أن يكونَ السباقُ خبرَ (إنَّ)[٧].

و يبدو للباحث أن وجهَ النصبِ في (المضمار والسباق) أولى، لسببين:

أولهما: ورودُ الروايةِ الصريحةِ بالنصب، وهي روايةُ الشَّريفِ الرضيِّ التي تُسَمّى بالنسخة الخطية، أو النسخة الأمّ[٨].

والسبب الآخر: التكلّفُ الظاهرُ في رفع الاسمين، (اليوم، و غداً) على معنى الاسم الصريح، وإلغاء الظرفية منهما، فيه من التَكلُّف ما لا يخفى، ولأنَّه مع الإبقاء على (اليوم، وغداً) ظرفين مُبْهَمين لا يصحُّ رفعُ(المضمار والسباق)، لأنَّ المضمار ليس عين (اليوم)، ولا (السباق) عين(غداً)، فالمضمار ليس اسماً مجرداً للزَّمان، بل هو زمانٌ مشتملٌ على حَدَث هو التضميرُ، فهو زمانٌ مخصوصٌ بوصف مخصوص مقيَّد، لذا يَصِحُّ الإخبارُ عنه باليوم، وكذلك الحال في (غداً السباق).

٢- في قوله (عليه السلام) في توحيد الحق سبحانه: (**لاَ يُشْمَلُ بِحَدٍّ، وَلاَ يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وتُشيرُ الآلاَتُ إِلَى نَظَائِرِهَا، مَنَعَتْهَا (مُنْذُ) القَدِميَّةَ، وَحَمَتْهَا (قَد) الأَزَلِيَّةَ، وَجَنَّبَتْهَا**

(لَـوْلاَ التَّكْملَـةَ)[٩] . ذكر الشـراح روايتين لـ(القدميـة، الأزليـة، التكملـة) همـا : النصب والرفـع، وترتَّب علـى كلٍّ منهما دلالة تخالـف الأخرى . فعلى رواية النصب تكون الضمائر في (منعتها، حمتها، جنبتها) الراجعـة إلـى الأدوات والآلات فـي محل نصب مفعـولات أُوَل،و(القدمية، الأزلية، التكملة) مفعولات ثـوانٍ للأفعال، و (منذ، قـد، لولا) محلهـا الرفع علـى الفاعلية[١٠]. ومعنـى الكلمـة الأولـى (أنَّ إطـلاقَ لفظة (منذ) علـى الآلات والأدوات في مثل قولنا : هـذه الآلاتُ وُجِدَتْ مُنْذُ كـذا يَمْنَع كونَها قديمةً، إذ كان وضعُها لابتداء الزَّمانِ وكانت لإطلاقها عليها متعينة الابتداء، ولا شيءَ من القديم بمتعين الابتداء، فينتُجُ أنَّه لا شـيءَ من هـذه الأدوات والآلات بقديم)[١١] . أما معنى الكلمة الثانية (قد) فإنها (تُفيدُ تَقْريبَ الماضي من الحـال، وهو يَحْكُم بقُرْبها من الحال، وعدم أزليتها، ولا شيءَ من الأزليِّ بقريب من الحال، فلا شيءَ من هذه الآلات بأزليٍّ)[١٢]. والحال نفسُها بالنسبة إلى الكلمة الثالثة، فـ (وضعُ (لـولا) دالاً على امتناع الشـيء لوجود غيره، فإطلاقهـا عليها في مثـل قولك عنـدَ نظرك إلـى بعْض الآلات المستحسـنة... ما أحسـنَها، وأكملَها، لولا أنَّ فيها كذا، فيدلُّ بهـا على امتناع كمالها، لوجود نقصانٍ فيها)[١٣].

أمـا روايـة رفـع (القدميـة، الأزلية، التكملة) فوجَّهها الشراح بأنْ تكونَ الضمائرُ المتصلةُ بالأفعال مفعـولات أُوَل، و (منذ، قد، لولا) مفعولات ثوانيَ، وأنّ (القدمية، الأزلية، التكملة) مرفوعاتٌ على الفاعلية[١٤]، والمعنـى :(أنّ قدمَه تعالى، وأزليتَه، وكمالَه منعت الأدوات، والآلات من إطلاق (منذ، و قد، و لـولا) عليه سـبحانه لدَلالتها على الحـدوث، والابتـداء المنافيَيـن، لقدمه، وأزليته، وكماله)[١٥]

وقد رجّح الراونـدي والبحراني رواية نصب (القدمية، الأزلية، التكملة) على أنها مفعـولاتٌ ثوانٍ للأفعـال، ((لوجودها في نسخة الرضيِّ (رض) بخَطِّه)[١٦] . وخالفهما التسـتري، فعَدّ هذه الأسـماء منصوبات على نزع الخافض، مستدركاً على أصحاب المعجمـات أنَّ الأفعالَ الثلاثةَ (منع، حمى، جنّب) تتعـدّى إلى مفعولَين : أولهما مفعول صريـحٌ، والآخر بواسـطة (عـن) أو (من) وليسـت هذه التعدية في المعجمات، ولذا أعربَ (منذ، وقد، ولولا) الواردة في قول الإمـام عليه السلام بدل بعض مـن كل من الضمائر المتصلة في (منعتها، وحمتها، وجنّبْتها)[١٧] .

ويبـدو للباحـث أن نصـبَ (القدميـة، والأزليـة، والتكملـة)، ورفـع (منذ، وقد، ولولا) على الفاعلية أولى بالقبول، نظرًا لما اسـتدلُّوا به، بأنَّ روايةَ النصب وردت في نسخة الشريف الرضي بخطه، ويعضُدُها ما رُوِي في بعـض المصادر من أن تتمة خطبة الإمـام عليه السلام : (**ولا تُغَيِّبُه مذ، و لا تُدْنيه قد، و لا تَحْجُبُـه لعـلّ، و لا تُوقّتُه متى، و لا تَشْمله حين، و لا تُقارنُه مع**).[١٨]

٣- في قوله عليه السلام في فضل القرآن الكريم : (**كتَـابَ رَبِّكُمْ فيكُمْ، مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وحَرَامَهُ ... بَيْنَ مَأْخُوذ مِيثَاقُ علْمه، ومُوَسَّع عَلَى الْعبَـاد في جَهْلِه ... وبَيْـنَ وَاجب بُوَقْته، وزَائل فِي مُسْتَقْبَلِه، ومُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارمه، مِنْ كَبِير أَوْعَدَ عَلَيْهِ نيرَانَهُ، أَوْ صَغِير أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ**)[١٩] .

اختلف الشـرّاح في روايـة (مباين) بين الرفـع والجر، والاختيار بينهما، بحسـب ما فهمـه كلُّ واحد منهم مـن دلالة النصّ .فالبحرانـي أعرب (مبايـن) بالجر، عطفاً

علـى المجرورات قبلـه، ورأى أن في جرِّه تلطفاً فـي المعنى، ذلـك أنَّ (المحارمَ لمّا كانت هي محالّ الحكم المُسَـمّى بالحُرْمَة، صارَ المعنى : بين حكمٍ مباينٍ وبين محالّه، وهو الحرمة)[٢٠] .

وإنَّمـا قـدّرَ (بينَ حكـمٍ) قبـلَ (مباين) ليصحَّ جـره، وأوّل (محالّه) بالحرمة، ليقرَّ التعدد في معنى (مباين) على سـبيل الحكم وضدِّه، وبذا صحّ عنـده وجه جر (مباين)، عطفاً على المجرورات قبله، ليتصل بمعنى مـا سـبقه، لأنَّ ما قبله من أحـكامِ القرآن الكريـمِ المذكورة تحمـل المعنى وضدَّه أو المعنى ونقيضَه .

وهو برأيه هذا مخالفٌ لابنِ أبي الحديد قبله، الذي ذهب إلى وجوب إعراب (مباين) بالرفـع، على أنَّـه خبرٌ لمبتـدأ محذوف، والتقديـر : (هـو مبايـن)، ومَنَـعَ إعرابَ الجرِّ، لأنَّـه مقطوعٌ عمّا قبلـه في المعنى، واسـتدلَّ على رأيه بأنَّ الأحكام التي سبقت ذكر (مباين بين محارمه) تسـتدعي الشـيء وضده، أمـا (مباين بين فلا يسـتدعي ضداً لـه أو نقيضـاً، إذ إن القرآن غير مقسـوم قسـمين، مباين بين محارمـه وغير مباين)[٢١] .

وقد تابع البحراني حبيبُ اللّه الخوئي، ونقد على ابن أبي الحديد رأيه، مستدلاً (بأن القرآن الكريـم ليس منحصراً في المباين، بـل بعضُه جدلٌ، وبعضُـه قَصَصٌ، وبعضُه مَثَـلٌ، وبعضه أحـكامٌ، وبعضـه ترغيبٌ، وبعضـه ترهيبٌ، كمـا أنَّ بعضَـه مباينٌ بين محارمه إلى غيرِ ذلك ممّا اشْتَمَل عليه)[٢٢] .

وأمـا التسـتري فخالف ما ذهـب إليه البحراني والخوئـي، وأغلظ عليهما القول، واختار رأي ابن أبـي الحديد في وجوب رفع مباين، ومَنْعِ جرِّه، ولاسـيما أن الرّفع ظاهـرُ المعنى[٢٣]، وهو مـا يراه الباحث، لأنَّ وجه الرفع وجهٌ لا تكلفَ فيه من حيث الإعراب، ولا من حيث المعنى، فلا داعي لتخريجـه على الجـرِّ، وتأويل محذوفاتٍ مقدَّرةٍ لتحقيقِ صلة المعنى مع ما سبقه .

---

(١) نهج البلاغة (الخطبة ٢٨) ٦١ .
(٢) منهاج البراعة: الراوندي ٢١٨/١ .
(٣) شرح نهج البلاغة: البحراني ٦٢/٢ .
(٤) لسان العرب (ضمر) .
(٥) ينظـر : القامـوس المحيـط (ضمـر)، و تـاج العروس (ضمر) .
(٦) ينظـر : حدائـق الحقائـق: الكيـدري ١ / ٢٤٣، وشرح نهج البلاغة :البحراني ٦٣/٢ .
(٧) ينظر : شـرح نهج البلاغـة : البحراني ٦٢/٢، و منهاج البراعة:الخوئي ٤/٤ .
(٨) ينظر : بهج الصباغة: التستري ٣١٧/٧ .
(٩) نهج البلاغة (الخطبة ١٨٦) ٣٦٦ .
(١٠) ينظـر : حدائق الحقائق: الكيدري٣٤٥،وشـرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد٧٧/١٣ ، وشرح نهج البلاغة: البحراني ١٨٣/٤ . .
(١١) شرح نهج البلاغة: البحراني ٤ / ١٨٣ .
(١٢) المصدر نفسه ٤ / ١٨٣.
(١٣) المصدر نفسه ٤ / ١٨٣ .
(١٤) ينظـر: حدائـق الحقائـق: الكيـدري ١١٨،و منهـاج البراعة : الراوندي ٢١٨/١،و شـرح نهج البلاغة:محمد عبده٧٩/١ .
(١٥) شرح نهج البلاغة: البحراني ١٨٣/٤ .
(١٦) المصدر نفسه ١٨٣/٤ .
(١٧) ينظر : بهج الصباغة: التستري ١ / ٢٩٦ – ٢٩٧ .
(١٨) تحف العقول عن آل الرسول: الحرّاني٦١ .
(١٩) نهج البلاغة (الخطبة ١) ٢٤ .
(٢٠) شرح نهج البلاغة: البحراني ١ / ٢٧٧ .
(٢١) ينظر : شـرح نهج البلاغة : ابـن أبي الحديد ١ / ١٢٠ .
(٢٢) منهاج البراعة: الخوئي ٢ / ١٧٧ .
(٢٣) بهج الصباغة: التستري ١ / ٥١ .

في الذاكرة ..

شهر رجب الأصب

١ ولادة الإمام محمد الباقر عليه السلام سنة ٥٧ هـ ، في المدينة المنورة.

٢ ولادة الإمام علي الهادي عليه السلام سنة ٢١٤ هـ (على رواية) في المدينة المنورة.

٣ استشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤هـ مسمومًا على يد المعتمد العباسي.

٥ استشـــهاد النحوي الإمامي ابن السكيت على يد المتوكل العباسي.

٨ ولادة الحر العاملي سنة ١٠٣٣هـ . صاحب كتاب وسائل الشيعة.

٩ هلاك المأمون العباسي سنة ٢١٨ هـ. .

١٠ ولادة الإمام محمد الجواد عليه السلام سنة ١٩٥هـ ، في المدينة المنورة.

١٢ دخول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد حرب الجمل واتخاذها عاصمة له سنة ٣٦ هـ .

١٢ هلاك معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠ هـ .

١٣ ولادة إمام المتقين وســيد الموحدين أمــير المؤمنين الإمام علي بـــن أبي طالب عليه السلام في داخل الكعبة المشرفة قبل البعثة بعشر سنين.

١٥ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام سنة ٢ هـ .

١٥ وفاة عقيلة الطالبيين السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام سنة ٦٢ هـ .

١٦ خروج فاطمة بنت أسد من داخل الكعبة المشرفة تحمل وليدها الإمام علي عليه السلام.

١٨ وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله سنة ١٠ هـ ، وله من العمر سنة وعشرة أشهر .

١٨ هلاك المعتمد العباسي سنة ٢٧٩ هـ .

٢٠ وفاة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ .

٢٢ وفاة الشيخ جعفر الكبير قدس سره صاحب كتاب كشف الغطاء سنة ١٢٢٧ هـ .

٢٣ طعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على يد الجراح بن سنان في المدائن سنة ٤١ هـ .

٢٤ فتح خيبر على يد أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٧ هـ .

٢٤ رجوع جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشة سنة ٧هـ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما أدري بأيهما أنا أشدّ فرحًا بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».

٢٥ استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في السجن ببغداد سنة ١٨٣هـ على يد هارون العباسي.

٢٦ وفاة أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وحاميه وناصره سنة ١٠ من البعثة المباركة.

٢٧ البعثة النبوية الشريفة وبدأ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وعمره ٤٠ سنة .

٢٨ خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ومنها إلى العراق سنة ٦٠ هـ .

* * * * *

شهر شعبان المعظم

١ وفاة شيخ الفقهاء صاحب الجواهر عام ١٢٦٦هـ.

٢ خروج النبي صلى الله عليه وآله لغزو بني المصطلق عام ٥هـ.

٣ ولادة سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام عام ٤هـ.

٤ ولادة أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام عام ٢٤هـ.

٥ ولادة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عام ٣٨هـ.

١١ ولادة علي الأكبر ابن الحسين عليهما السلام عام ٣٣هـ.

١٥ مولد منقذ البشرية صاحب الزمان الإمام المنتظر عليه السلام عام ٢٥٥هـ.

٢٠ وفاة سلطان الواعظين الشيرازي صاحب كتاب (ليالي بيشاور) عام ١٣٩١هـ.

٢٢ وفاة الشيخ محمد جواد البلاغي عام ١٣٥٢هـ.

٢٣ وفاة الفقيه المجدد المجاهد الميرزا محمد حسن الشيرازي عام ١٣١٢ هـ.

شهر رمضان المبارك

١ وفاة النائب الأول للإمام الحجة عليه السلام عثمان بن سعيد رضي الله عنه سنة ٢٦٧ هـ .

٢ توجه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بعشرة آلاف مقاتل لفتح مكة سنة ٨ هـ .

٢ بداية ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ .

٣ وفاة الشيخ المفيد قدس سره سنة ٤١٣ هـ .

٤ هلاك زياد بن أبيه (لعنه الله) سنة ٥٣ هـ .

٤ حفر الخندق حول المدينة سنة ٣ هـ .

٦ مبايعة الناس للإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد سنة ٢٠١ هـ .

٦ ضرب النقود باسم الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ.

٧ وفاة أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وكافله سنة ١٠ بعد البعثة.

٨ خروج النبي صلى الله عليه وآله لغزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ .

١٠ وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين.

١٢ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة سنة ٢ هـ .

١٣ هلاك الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥ هـ .

١٤ مقتل المختار بن عبيدة الثقفي رضي الله عنه على يد مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ.

١٥ مولد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام سنة ٣ هـ.

١٥ حركة مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة سنة ٦٠ هـ.

١٧ غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.

١٨ ليلة جرح أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة على يد الملعون عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ .

١٨ ليلة القدر (على رواية).

٢٠ ليلة القدر (الرواية الثانية).

٢٠ فتح مكة وصعود الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على كتف النبي صلى الله عليه وآله لتطهير الكعبة من الأصنام سنة ٨ هـ .

٢١ استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة سنة ٤٠ هـ .

٢١ البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة سنة ٤٠ هـ .

٢٢ ليلة القدر المباركة (وهي أقوى الروايات).

٢٥ وقوع حرب النهروان بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج سنة ٣٨ هـ .

٢٧ وفاة العلامة المجلسي قدس سره سنة ١١١١ هـ .

شهر شوال

* * * * * *

١ عيد الفطر المبارك.

١ هلاك عمرو بن العاص سنة ٤٣ هـ.

٤ مقتل المتوكل العباسي سنة ٢٤٧ هـ .

٥ حدوث غزوة حنين سنة ٨ هـ .

٥ خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين سنة ٣٦ هـ .

٥ دخول مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة سنة ٦٠ هـ .

٦ خروج أول توقيع من الإمام المهدي عليه السلام إلى نائبه الأول الحسين بن روح سنة ٣٠٥ هـ .

٨ هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام وقبر حمزة بن عبد المطلب سنة ١٣٤٤ هـ على يد الوهابيين .

هلاك عبد الملك بن مروان بن الحكم سنة ٨٦ هـ .

١٤ غزوة أحد واستشهاد حمزة بن عبد المطلب سنة ٣ هـ .

١٥ رجوع الشمس من مغيبها لأمير المؤمنين عليه السلام .

١٦ غزوة الخندق سنة ٥ هـ .

١٧ القبض على الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بأمر هارون الرشيد سنة ١٧٩ هـ .

٢٠ استشهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ .

٢٥ وفاة المرجع الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره سنة ١٢٨٨ هـ .

وقفة مع الذكرى..

وفاة مؤمن قريش (أبي طالب)رضي الله عنه في ٢٦ رجب سنة ١٠ من البعثة.

عم النبي صلى الله عليه وآله ووالد الإمام علي عليه السلام ، شيخ البطحاء وسيد مكة ، مؤمن قريش، كـ (مؤمن آل فرعون) كان يكتم إيمانه ولم يتظاهر بالإسلام كما كان يتظاهر به أولاده وإخوانه عليهم السلام ، ليتمكن من حفظ النبي صلى الله عليه وآله، وحفظ من آمن به ، والذب عنهم ، ومع ذلك كله كان يأمر أولاده وأقرباءه بمتابعة ابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله، وكان يبين لهم في شعره ونثره أن ما أتى به ابن أخيه هو الدين الصحيح الحق وأن ما سواه باطل ، والدالة على إيمانه واعترافه برسالة ابن أخيه كثيرة ، وقد خرجها علماء أهل السنة ، وعلماء الإمامية عليهم الرحمة .ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بقطع كل رابطة صحبة له بالمشركين ، وكان ذلك قبل وفاة أبي طالب بسنوات ، وعليه فإن ما أظهره رسول الله صلى الله عليه وآله من الحب والتعلق بأبي طالب يدل على أنه كان يرى في أبي طالب تابعا لمدرسة التوحيد ، وإلا فكيف ينهى الآخرين عن مصاحبة المشركين ، ويبقى هو على حبه العميق لأبي طالب ؟

من جانب آخر ثمة أحاديث منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله تؤكد شهادته بإيمان عمه الوفي أبي طالب ، فعندما توفي أبو طالب رثاه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على قبره ، قائلًا : (وا أبتاه ! وا أبا طالباه واحزناه عليك ! كيف أسلو عليك! يا من ربيتني صغيرًا ، وأجبتني كبيرًا ، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد) . وكثيرًا ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :

(ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب).

يقول ابن أبي الحديد منشدا :

ولولا أبو طالبٍ وابنهُ
لما مثل الدين شخصًا وقاما
فذاك بمكة آوى وحامى
وهذا بيثرب جَسَّ الحماما

وقفة مع الذكرى..

الإمام علي بن الحسين

زين العابدين عليه السلام

الخامس من شعبان ٣٨هـ

مولده :الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين أو ست وثلاثين.ويقال له ابن الخيرتين.

إمامته:كانت إمامته سلام الله عليه أربعًا وثلاثين سنة فكان في سني إمامته بقية ملك يزيد وملك معاوية بن يزيد وملك مروان وعبد الملك وتوفي في ملك الوليد بن عبد الملك لعنه الله.

ألقابه عليه السلام: زين العابدين وسيد العابدين وزين الصالحين ووارث علم النبيين ووصي الوصيين وخازن وصايا المرسلين وإمام المتقين ومنار القانتين والخاشعين والمتهجد والزاهد والعابد والعدل والبكاء والسجاد وذو الثفنات إمام الأمة وأبو الأئمة وكنيته أبو الحسن والخاص وأبو محمد ويقال أبو القاسم .

استشهاده :صلوات الله عليه في الليلة الخامسة والعشرين من شهر محرم الحرام عام أربعة وثمانين هجرية قتله الوليد بن عبد الملك بن مروان لعنه الله بالسم ولم يبق رجل ولا امرأة ولا بر ولا فاجر ولا صالح ولا طالح إلا خرج وشهد جنازته وان ابنه الباقر عليه السلام حينما كبر بعد دفنه جاء تكبير من السماء وأجابه تكبير من الأرض وكبر من في السماء سبعًا نعم.وقد صلت عليه ملائكة السماوات والأرض، دفن في البقيع مع عمه الحسن عليه السلام .

قبره: دفن في البقيع مع عمه الحسن عليه السلام. وقد هدم قبره في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤هـ على يد الوهابيون.

الإمام الحسين عليه السلام

قبس من صفاته وسيرته

د. مرتضى عبد النبي الشاوي •
كلية التربية / القرنة – جامعة البصرة

ينابيع

تجليات في صفاته عليه السلام :الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، لقّبه بذلك كما جاء في الحديث عنه :(من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي).

واشتهر عنه وعن أخيه الحسن عليه السلام من عدة طرق أنهما سيدا شباب أهل الجنة[1] ،كما لقب الحسين عليه السلام بالسبط وأنه سيد الأسباط[2].

وهكذا بَدَت في الإمام الحسين عليه السلام ملامح جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

فكان عليه السلام يحاكيه في أوصافه عليه السلام ،ما كان يحاكيه في أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين عليهم السلام.

وقد وصف بأنّ جسد الحسين عليه السلام يشبه جسد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقيل: إنّه كان يشبه[3] النبي صلى الله عليه وآله ما بين سُرَّتِه إلى قدميه .

وقد وصفه الرسول الأكرم بأنه إحدى الثمرتين كما جاء في قوله (أنا شجرة ، وفاطمة فرعها ، وعلي لقاحها ، والحسن والحسين ثمرتها ، فالشجرة أصلها في جنة عدن ، والأصل والفرع واللقاح والثمر والورق في الجنة)[4] وفي هذا المعنى قال أحد الشعراء[5]:

يا حبذا دوحة في الخلد نابتة
مامثلهانبتتفيالخلدمنشجر
المصطفىأصلهاوالفرعفاطمة
ثم اللقاح عليّ سيد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر
والشيعة الورق الملتف بالثمر
إنّي بحبهم أرجو النجاة غداً
والفوزفيزمرةمنأفضلالزمر
هذا مقال رسول الله جاء به
أهلالروايةفيالعاليمنالخبر

وقال الإمام علي عليه السلام: (مَن سَرَّهُ أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين عنقه وثغره فلينظر إلى الحسن) ، وَمَن سَرَّهُ أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين عنقه إلى كَعبِهِ خَلقاً وَلَوناً فلينظر إلى الحسين)[٦].

فقد بدت على وجهه الشريف أسارير الإمامة ، وكان الحسين عليه السلام هو الخليفة المنصوص من الرسول[٧]، فكان عليه السلام من أشرق الناس وجهاً ، فكان كما يقول الشاعر أبو كبير الهذلي :

وَإذا نَظرت إلى أسرَّة وجهه
بَرقت كَبَرقِ العَارض المُتَهَلِّل

فالحسين عليه السلام هو الخليفة الشرعي بايعه الناس أو لم يبايعه فبيعة الناس ليست شرطاً في الإمامة وإنما على الناس أن يبايعوا من أرادته النفوس ولا تصح للإمامية بيعة غيره ولا تقع من أحدهم إلا اضطراراً[٨].

جماله عليه السلام:

وصفه بعض المترجمين له بقول أحدهم : كان عليه السلام أبيض اللون ، فإذا جلس في موضع فيه ظلمة يُهتَدى إليه لبياض حسنه ونحره .

وبقول آخر: كان له عليه السلام جَمالٌ عظيم، ونورٌ يتلألأ في جبينه وخَده، يضيء حَواليه في الليلة الظلماء، وكان عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله.

قيل أتت فاطمة الزهراء عليها السلام بابنيها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه التي توفي فيها فقالت : يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئاً فقال : أما فإنّ له هيبتي وسؤددي وأما الحسين فإنّ له جرأتي وجودي[٩] وفي رواية (أما الحسين فإنّ له جودي وشجاعتي)[١٠].

ووصفه بعض الشهداء من أصحابه في يوم الطف قائلاً :

لَهُ طَلعةٌ مثل شَمس الضّحى
لَــهُ غــرَّة مِثــل بَــدرٍ مُنير

هَيبته عليه السلام

وكانت عليه سِيمَاء الأنبياء عليهم السلام، فكان عليه السلام في هَيبته يَحكي هيبة جَدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله التي تَعنُو لها الجِبَاه .

روي أنّ إعرابياً سلم على الحسين بن علي عليهما السلام فسأله حاجة وقال : سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إذا سألتم حاجة فاسألوها من أحد أربعة : إما من عربي شريف ، أو مولى كريم ، أو حامل القرآن ،وذي وجه صبيح . فأما العرب فشرفت بجدك ، وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم ، وأما القرآن ففي بيوتكم نزل ، وأما الوجه الصبيح فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إذا أردتم أن تنظروا إليَّ فانظروا إلى الحسن والحسين[11] ....

ووصف عظيم هيبته بعض الجَلاَّدين من شُرطة ابن زياد بقولهم : لَقَد شَغَلَنا نُورُ وجهِهِ وجَمالُ هَيبتِه عن الفكرة في قتله .

ولم تحجب نور وجهه يوم الطف ضربات السيوف ، ولا طعنات الرماح ، فكان كالبدر في بَهائه ونَضَارته ، وفي ذلك يقول الشاعر الكعبي :

وَمُجَــرَّحٌ ما غيَّرت منــه القَنا
حُسناً ولا أخلَقْنَ منه جَديدا
قَدكانبدراًفاغتَدَىشمسُالضّحى
مُذْ ألبَسَتْه يد الدماء بُرودا

وَلما جِيءَ برأسه الشريف إلى الطاغية ابن زياد بُهِر بنور وجهه ، فانطلق يقول: ما رأيتُ مثل هذا حُسناً !!.

وحينما عُرض الرأس الشريف على يزيد بن معاوية ذُهل من جمال هيبته وطفق يقول : ما رأيتُ وَجهاً قط أحسنُ منه !!.

ولما تشرف عبد الله بن الحر الجعفي بمقابلته عليه السلام امتلأت نفسه إكباراً وإجلالاً له ، وراح يقول : ما رأيتُ أحداً قَط أحسَنُ ، ولا أملأ للعين من الحُسَين عليه السلام.

فقد بدت على ملامحه عليه السلام سيماء الأنبياء عليهم السلام، وبهاء المُتَّقين ، فكان عليه السلام يملأ عيون الناظرين إليه ، وتنحني الجباه خضوعاً وإكبارًا له عليه السلام.

تجليات عاطفته :

لم تجف عاطفة الإمام الحسين عليه السلام في هذه المدة الطويلة ولم يتجرد عنها ويدعها جانباً كما قد يحصل لكثير من ذوي التصميم والإصرار على الدخول في الصراعات المضنية ومقارعة الأهوال ، بل كان عليه السلام كسائر أهل بيته متكامل الإنسانية فهو أشد عاطفة وأرقهم قلباً يتفاعل مع الآلام والمصائب التي تنزل عليه ، وتستثيره المناسبات الشجية حسرة وعبرة ، كما يظهر بمراجعة تفاصيل الواقعة تاريخياً[12].

ونجد ذلك حين أنشد عليه السلام تلك الأبيات في الليلة العاشرة من المحرم إذ قال[13]:

يا دهرُ أفٍ لَكَ مِنْ خليلِ
كم لَكَ بالإشراقِ والأصيلِ
مِنْ صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ
والدهرُ لا يقنعُ بالبديلِ
وإنّما الأمرُ إلى الجليلِ
وكلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلِ

لكن عاطفته عليه السلام مهما بلغت لم تمنعه من المضي في طريقه ، ومن تصميمه على الوصول للنهاية المفجعة ، كل ذلك

لفنائه عليه السلام في ذات الله ولأن هدفه الأسمى رضاه جل شأنه[١٤] إذ قال عليه السلام[١٥] :

فَـإِنْ تَكُـنِ الدُّنْيَـا تُعَـدُّ نَفِيسَـةً
فَـدارُ ثَـوابِ اللهِ أَعْـلى وَأَنْبَـلُ
وَإِنْ تَكُنِ الأَبْدانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ
فَقَتْلُ امْرِئٍ بِالسَّيْفِ فِي اللهِ أَفْضَلُ
وَإِنْ تَكُـنِ الأَرْزاقُ قَسْـماً مُقَدَّراً
فَقِلَّةُ حِـرْصِ الْمَـرْءِ فِي الرِّزْقِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُـنِ الأَمْوالُ لِلتَّـرْكِ جَمْعُهـا
فَـما بالُ مَـتْرُوكٍ بِهِ الْمَـرْءُ يَبْخَـلُ

فالإمـام الحسـين عليه السلام مظهر للمصاب والألـم .... ألم من أجـل الدفاع عن حرية الإنسان فهو شـهيد وشاهد وقربان وقف في وجه الباطل وتقبل الآلام لنفسه وعياله فكانـت آلامـه وتضحيته في سـبيل القيم الأخلاقية [١٦] .

من مظاهـر العاطفـة الجـود بالمال لقضـاء حاجـة مسـلم، إذ جـاء رجل من الأنصار يريد أن يسأل الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقال له الإمام الحسين عليه السلام :

يا أَخَـا الأَنْصار ! صُنْ وَجْهَكَ عَنْ بَذْلَةِ الْمَسأَلَة ، وَارْفَعْ حَاجَتَكَ في رُقْعَة ، فَإِنّي آت فيها ما سـارُّكَ إِنْ شـاءَ اللّه . فكتب : يا أبـا عبد الله ! إنّ لفلان عليّ خمسـمأة دينار ، وقد ألـحّ بي ، فكلّمه ينظرني إلى ميسرة .

فلمّا قرأ الحسـين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرّة فيها ألف دينار، وقال عليه السلام لـه : أَمّا خَمْسُـمائَة فَاقْضِ بها دَيْنَكَ ، وَأَمّا خَمْسُـمائَة فَاسْـتَعِنْ بِهَا عَلى دَهْرِكَ ، وَلا تَرْفَـعْ حاجَتَـكَ إِلاّ إِلـى أَحَد ثَلاثَة : إِلى ذي دين ، أَوْ مُرُوّة ، أَوْ حَسَـب ، فَأَمّا ذُو الدّيـن فَيَصُونُ دينَـهُ ، وَأَمّا ذُو الْمُرُوّة فَإِنَّه يَسْـتَحْيي لِمُرُوَّته ، وَأَمّا ذُو الْحَسَـب فَيَعْلَـمُ أَنَّكَ لَمْ تُكْرِمْ وَجْهَكَ أَنْ تَبْذُلَهُ لَهُ في حاجَتِكَ فَهُوَ يَصُونُ وَجْهَكَ أَنْ يَرُدَّكَ بِغَيْرِ قَضاءِ حاجَتِكَ .[١٧]

أخلاق الإمام.. أخلاق رسول الله :

نشـأ في ظـل جده الرسـول الأعظم صلى الله عليه وآله فـكان هو الذي يتولـى تربيته ورعايته ، فقد(روى أنّ شـاعراً مدح الحسـين بن علي عليه السلام، فأحسـن عطيته ، فعوتب على ذلـك ، فقال : أترون أنـي خفت أن يقول إني لسـت ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ابـن علي بن أبي طالب ؟ ولكن خفت أن يقول : لسـت كرسول الله صلى الله عليه وآله ،ولست كعلي ، فيصدق ويحمل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتب ، وملفوظاً على ألسـنة الرواة ، فقال الشـاعر : أنت والله ابن رسول أعلم بالمـدح والذم منـي ، وقد وقع الحسـن بن زيد بن الحسـين بـن علي في بعض ما قال جده ، قـال فيه ابن عاصم المديني ، واسمه محمد بن حمزة الأسلمي :

له حـق ، وليس عليه حـقّ ومهما قال فالحسن الجميل

وقـد كان الرسـول يرى حقوقـاً عليه لأهلها وهو الرسول)[١٨]

امتـداد العاطفـة إلى البعد الإنسـاني الخاص :

روي للإمـام الحسين عليه السلام شـعر فـي التودد العاطفي تجاه امرأته وابنته[١٩]:

لعمـرك أنني لأحـبّ داراً
تحـل بهـا سـكينة والرباب
أحبهمـا وأبـذل جـلّ مالي
وليـس لعاذل عنـدي عتاب
ولست لهم وان عتبوا مطيعاً
حياتـي أو يغيبنـي التراب

وقد تكون المخاطبـة خاصة تمتد إلى إذراف الدمـع ممزوجة بالبـكاء والنحيب

وهو يتكلم مع بنته سكينة[٢٠]:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي
منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة
ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي
تأتينه يا خيرة النسوان

والأبيات التي رثى بها أخاهُ الحسن عليه السلام خير دليل[٢١]:

أَأَدْهُنُ رَأْسي أَمْ أَطيبُ مَحاسني
وَرَأسُكَ مَعْفُورٌ وَأَنْتَ سَليبُ
أَوْ اسْتَمْتِعُ الدُّنْيا لشَيْءٍ أُحِبُّهُ
أَلا كُلُّ مَا أَدْنَى إِلَيْكَ حَبيبُ
فَلا زِلْتُ أَبْكي ما تَغَنَّتْ حَمامَةٌ
عَلَيْكَ ، وَما هَبَّتْ صَبا وَجَنُوبُ

مروءته :

جنى بعض مواليه جناية توجب القصاص والتأديب فأمر بتأديبه ، فقال يا مولاي ، إنّ الله يقول : والكاظمين الغيظ ، فقال الإمام عليه السلام: خلوا عنه فقد كظمت غيظي ، فقال : والعافين عن الناس ، فقال عليه السلام: لقد عفوت عنك ، فقال : والله يحب المحسنين ، فقال الإمام عليه السلام: أنت حر لوجه الله وأعطاه ما يكفيه في حياته[٢٢] .

وتبدو هذه الملامح في شخصية الحسين عليه السلام بارزة للإنسانية جمعاء لا شك فيها ، والحسين عليه السلام رافد كله عطاء وحيوية فسواء كانت مواقفه إنسانية عامة أو خاصة لا تقل شأناً عن غيرها من مواقفه الأخرى وهو مضحياً بدمه وأبنائه وإخوته وأصحابه في دعم التوهج الروحي لأبناء الأمة من أجل زرع الأمل في النفوس و بث روح التفاؤل وحب الحياة والتواصل الاجتماعي والتعامل الإنساني .

---

(١)مقتل الحسين للخوارزمي : ١٤٢ .
(٢)مع الحسين في نهضته : أسد حيدر: ١٥ .
(٣)أدعية الإمام الحسين عليه السلام (الصحيفة الحسينية) ، محمد علي دخيل : ٤ .
(٤) مقتل الحسين للخوارزمي : ١٠٢ .
(٥)المصدر نفسه .
(٦)المصدر نفسه: ١٣٩ .
(٧)ينظر : الإمام الحسين والمناوئون : علي الروحاني : ١٣ .
(٨)المصدر نفسه : ١٧ .
(٩)مقتل الحسين للخوارزمي : ١٥٨ .
(١٠)مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب : ج ٣ / ١٦٥ .
(١١)مقتل الحسين للخوارزمي : ٢٢٥-٢٢٦ .
(١٢)ينظر : فاجعة الطف : السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم : ٤٩ .
(١٣)مقتل الحسين – أبي مخنف : ٥٢ .
(١٤) ينظر : فاجعة الطف للقزويني: ٥ .
(١٥)مقتل الحسين للخوارزمي : ٢ / ٣٨ .
(١٦)ينظر : جدل ومواقف في الشعائر الحسينية ، إعداد : حيدر حب الله : ٤٦١ .
(١٧)ينظر : تحف العقول عن آل الرسول/ ابن شعبة الحراني : ٢٧٢.
(١٨)العمدة في نقد الشعر وتمحيصه/ بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) : ٢ / ٤٥٠ .
(١٩)المصدر نفسه: ١ / ٢٦ ، ديوان الإمام الحسين بن علي : ٧٥ – ٧٧ .
(٢٠)مقتل الحسين لأبي مخنف : ٩٢ .
(٢١)مقتل الحسين للخوارزمي : ٢٠٥ .
(٢٢)سيرة الأئمة آلاثني عشر: هاشم معروف الحسني : ٢ / ٣١ .

عيد الفطر المبارك

في غرة شـــهر شـــوال يحل على المســـلمين عيد الفطر المبارك ويأتي العيد بعد أداء فريضة فرضها الله على عباده،ألا وهي الصوم ، فهناك اقتران بين العيد وبين فريضة الصوم. يأتي العيد تتويجاً لســـعي الإنســـان نحو مجاهدة النفس وتربيتها وتزكيتها من خلال الصوم لأن الغايـــة النهائية من الصوم هي التكامل المعنوي والروحي عند الإنســـانٍ والذي ترمز إليه التقوىٍ التي جعل منها القرآن الكريم غايـــة الصوم في قوله تعالى (يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُـــمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، فالتقوى تمثل الإطار الجامع لمنظومة القيم والأخـــلاق ، لأنه يأتي غاية لجميع مراتب الكـــمال. وبعد هذه المجاهدة بالصيام والإمســـاك عن جملة من ملذات الدنيا مع ســـائر الأعمال الأخرى الواجبة منها والمستحبة، يأتي العيد وكأنه جائزة لتلك المجاهدة كما وصفه النبي صلى الله عليه وآله بذلك ، أو اليوم الذي توزع فيه الجوائز ، أي الأجور العظيمة على الصائمين والقائمين، لذا يحق للإنسان المؤمن أن يغمره الفرح والسرور ويتبادل الزيارات وصلة الأرحام وإقامة الولائم في العيد. بعد شهر من طاعة الله في صوم رمضان ، فالعيد وفرحته مقرونان بطاعة الله واجتناب معاصيه، عن أمير المؤمنين ع:(اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد) . إن يوم العيد يوم فرح وسرور لمن طابت سريرته، وخلصت لله نيته.. ليس العيد لمن لبس الجديد وتفاخر بالعدد والعديـــد.. إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد واتقى ذا العرش المجيد.. وســـكب الدمع تائباً رجاء يوم المزيد..

دور الأئمة

في التعريف بحقوق أهل البيت عليهم السلام

حسين جودي كاظم الجبوري •
سكرتير التحرير

ينابيع

العبادات هي محطات ومنازل تملأ حياة الإنسان الراجي والمتوجه إلى نيل القرب الإلهي، فيقطع أشواط حياته باحثاً عن الهدف المتعالي أثناء مسيرته للتزود من نسيم وعطر الجنان المعنوية التي كان غرسها العمل الصالح، وسقاها ماء المكرمات والطاعات والأدعية والمناجاة، لكي تنشط عمارة الحياة، وبها يصل الإنسان إلى مقامات الصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا. إن من أبرز الظواهر في حياة أهل البيت عليهم السلام ظاهرة الدعاء والذكر الإلهي وأهم أصدق مصداق للذاكرين الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، والدعاء والذكر لا يفارق سلوكهم في أحوالهم كلها فحياتهم قائمة على ذلك بلا انقطاع. ويذكر الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام تلك الحقيقة الواضحة فيقول عليه السلام: (وكان أبي عليه السلام كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وآكل معه وإنه يذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر)[1].

إن المتفكر في عمل الأئمة عليهم السلام وما أنشؤوه من الأدعية الجليلة والمضامين يجد في ذلك فوق حدود البشر من فنون العلم وأسماء الله تعالى وصفاته وما يقتضيه جماله وجلاله وحق أدب العبودية، وما يناسب مقامه وأوصافه وأحواله مع الكل وكيفية الاسترحام والاستعطاف لطيف الاستدلالات في استحباب عفوه وكرمه وفضله، ولو كان للإنسان فكرة أو فطنة لكفاه ما صدر في ذلك من أئمة الحق عن كل معجز في إثبات الإمامة والرسالة[2].

وبعبارة أخرى إن المناجاة التي وصلتنا من الأئمة المعصومين عليهم السلام أعظم دليل يرشد إلى معرفة الله جل وعلا وأسمى وسيلة لسلوك العبودية وأرفع رابطة بين الحق والخلق وهي تشتمل على معارف إلهية[٣]. أي فيها من الأساليب التي صدرت من قادة الدين ما ينسجم مع توجيه الأمة والظروف المحيطة للحفاظ على روح الإسلام والحياة الاجتماعية بأبعادها الأخلاقية وغيرها، وهم يمثلون انعكاساً حقيقياً وترجمة أمينة لمتطلبات الشريعة، فترى النصوص تصفهم بأنهم أمان الأمة، ومرة باب حطة، ومرة المطهرون عن كل دنس، وأخرى بأنهم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. إذن الأئمة عليهم السلام يمثلون الجانب التطبيقي الحي للرسالة الإسلامية، الذي يجسد الخط الإسلامي مع مراعاة الظروف والملابسات والتعقيدات في عالم الأفراد والجماعة كما يفرضه مفهوم الحكمة[٤] القرآنية: (**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) (النحل: ١٢٥).

ويكفينا النظر في أدعية الصحيفة السجادية التي تعبر عن عمل اجتماعي عظيم، كانت ضرورة المرحلة تفرضه وهي تمثل تراثاً ربانياً فريداً يظل على مر الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة[٥] أخلاق.

وما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أيضاً بأنه كان يدعو عند كل زوال من أيام شعبان وفي ليلة النصف منه ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله بهذه الصلاة (**اللهم صل على محمد وآل محمد، شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم وأهل بيت الوحي ..**) إلى آخرها المروية في كتبنا منها: إقبال الأعمال[٦]

للسيد علي بن موسى بن طاووس الحسيني المتوفى ٦٦٤هـ.

وعند ملاحظة مقاطع هذه الصلوات نرى فيها إشارات إلى مطالب مهمة من حقوق النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام، وإيراد هذه الصلوات في شهر شعبان لعله يشير إلى العلاقة بين شهر شعبان وذكر النبي صلى الله عليه وآله، ومناسبة التركيز على ذكر حقوق أهل البيت في مضامينها، وهذا واضح في شهر شعبان من الفوائد ما تستطيب به النفوس من الجلوس على موائده والورود في أجوائه، وكفاه شرفاً من أن رسول الله صلى الله عليه وآله اختاره لنفسه بصريح العبارة فقال ودعا لمن أعانه على صيامه: (**شعبان شهري رحم الله من أعانني على شهري**)[٧] فناسب المقام ذكر النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته وبيان حقوقهم ووجوب طاعتهم تذكيراً للأمة وأنهم جزء لا يتجزأ من رسول الله صلى الله عليه وآله. إن مطلب التعريف بأهل البيت عليهم السلام وبيان مناقبهم وفضلهم وطهارتهم وكونهم في مرتبة الأسوة والقيادة الدينية ركز عليه النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من قبل أيضاً، ولم يكن المطلب خافياً على السابقين من أهل البيت عليهم السلام فهناك مقاطع وردت في نهج البلاغة تشير إلى ذلك منها ما ورد في الخطبة[٨] رقم ١٠٩ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (**نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكمة**) ولا يخفى أن هذا النص شبيه بالمقطع الأول من الصلوات التي ذكرناها. ومنها ما ورد في خطبة له عليه السلام يذكر فيها فضائل أهل البيت رقم ١٥٤، يقول فيها: (**نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقا**)[٩]، والشعار هو ما يلي من الثياب والمراد أنهم بطانة النبي صلى الله عليه وآله، وهناك أكثر من موضع في نهج البلاغة.

أما حقوقهم فنشير إلى بعض منها طلباً للاختصار المنسجم مع هذا البحث:

الأول ولاية أهل البيت عليهم السلام قال تعالى: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**) (المائدة: ٥٥). حيث نقل عن أئمة الحفاظ وكبار المفسرين ربما وصلوا إلى السبعين وهم بين محدث ومفسر ومؤرخ على أن الآية نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام. وقد وضع النبي صلى الله عليه وآله يوم[١٨] ذي الحجة في منصرفه من حجة الوداع في حشد كبير من الناس ولاية علي عليه السلام للحاضرين وأمرهم بإبلاغها للغائبين، والمراد من الولاية كما هي ولاية النبي صلى الله عليه وآله فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأموالهم، فهو بما هو زعيم للمسلمين ووليهم يتصرف فيهم حسب ما تقتضيه المصالح في طريق حفظ كيان الإسلام وصيانة هويتهم والدفاع عن أراضيهم لغاية نشر الإسلام، أي إن المقصود هو صيانة مصالح الإسلام والمسلمين وهذه الولاية لا تنفك عن آثار وقد أشير إلى تلك الآثار منها: (**أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**) (النساء: ٥٩) فإن لزوم طاعة الله تعالى لا تكون لأحد إلا إذا كان معصوماً وعلم أن باطنه كظاهره وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح وعدم صدور المعصية منه[١٠].

الثاني ومن حقوقهم أيضاً وجوب مودتهم وحبهم، قال تعالى: (**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**) (الشورى: ٢٣) إن أجر النبي صلى الله عليه وآله في التقرب إلى الله تعالى هو الثواب الدائم وليس الأجر والمنفعة الدنيوية، وإن مودة ذي القربى

وإن تجلت بصورة الأجر لكنه أجر صوري غير واقعي لأنه لم يرجع نفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله بل هو يرجع إلى المحب لأهل البيت عليهم السلام. إن مودة ذي القربى تجر المحب إلى أن ينتهج سبيلهم في الحياة ويجعلهم أسوة في دينه ودنياه [11].

الثالث إن من حقوقهم عليهم السلام أيضاً الصلوات عليهم عند الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وقد تضافرت الروايات على ضم الآل إلى النبي صلى الله عليه وآله عند التسليم[12] والصلاة عليه وهذا ما ورد في مقاطع هذه الصلاة المروية في شعبان وهناك حقوق لهم عليهم السلام أخرى لا نستطيع إيرادها طلباً للاختصار.

---

(١)تأملات في أدعية أهل البيت (ع)ص٩ الشيخ جميل الربيعي دار السلام بيروت الأولى ٢٠٠٩.
(٢)المراقيات الميرزا جواد التبريزي ص١٧٥ دار الاعتصام الأولى ١٤١٦هـ .
(٣) موعد اللقاء ص٧٩ رسائل الإمام الخميني (قده) إيران سنة ١٩٩٦.
(٤)انظر الأئمة الاثنا عشر ص ١٤- ١٥ عادل الأديب دار الأضواء قم ١٤٠٤هـ .
(٥) انظر مقدمة الصحيفة السجادية بقلم محمد باقر الصدر ص١٣ طبعة سنة ١٣٧٨.
(٦) إقبال الأعمال دار الحجة للثقافة الأولى ١٤١٨هـ إيران قم.
(٧)إقبال الأعمال ص١٩٢ .
(٨)نهج البلاغة دار الأسوة الأولى لسنة ١٤١٥هـ ص٢١٠ .
(٩)المصدر السابق ص٢٨٢ .
(١٠)انظر أهل البيت (ع) سماتهم وحقوقهم في القرآن الكريم الشيخ جعفر السبحاني مؤسسة الإمام الصادق (ع)، الثانية ١٤٢٥هـ، ص١٢٩وص١٣٥ .
(١١) المصدر السابق ص٤ .
(١٢)المصدر السابق ص١٥٥ .

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله :

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الجَهْلِ - يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ - وصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ - لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ ولَا يَخْتَلِفُونَ فِيه - وهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلَامِ ووَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ - بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِه وانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِه - وانْقَطَعَ لِسَانُه عَنْ مَنْبِتِه - عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ ورِعَايَةٍ - لَا عَقْلَ سَمَاعٍ ورِوَايَةٍ - فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاتَه قَلِيلٌ.)

(نهج البلاغة/ ج٢ ص٢٢٢)

الإمام علي بن الحسين (السجاد) عليه السلام

وفريضة الجهاد

طالب علي الشرقي •

ينابيع

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا إنموذجاً يقتدى به بين الناس.. كل الناس المؤمنين، وقد شهد لهم المسلمون والمنصفون من غير المسلمين بالفضل والعلم والعبادة، والزهد والكرم والشجاعة، وتفرّدَ شيعتهم باعتقادهم اليقيني بإمامتهم وعصمتهم.

كانوا أصحاب رسالة وتكليف إلهي لهداية البشرية إلى الإيمان بالتوحيد والعدل والاستقامة، كلٌ حسب وقته، ووفق الطريقة التي يحقق بها مهمته ويترك آثارًا إيجابية تديم الصلة بالله وبالمجتمع، وكانت مهمة الحفيد الأول المعصوم لأمير المؤمنين عليه السلام وسميّه الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام نفس مهمة أبيه وجدّه عليهما السلام.

ولد الإمام زين العابدين علي بن الحسين في السنة الثامنة والثلاثين من الهجرة النبوية، فحظي برؤية جدّه سيد الوصيين أمير المؤمنين عليه السلام، وترعرع في كنف والده سيد الشهداء عليه السلام، ووعى فترة إمامة عمه الحسن عليه السلام وأحس ببعض معاناته ومعاناة أهل بيت النبوة وشيعتهم، وكان القدر قد حكم عليه بأن يعيش فاجعة كربلاء بكل تفاصيلها، وامتد به العمر إلى سنة خمس وتسعين فكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة عاصر(١) فيها عتاة بني أُميّة: يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك.

لقد كانت كربلاء أهم محطة في حياة الإمام السجاد عليه السلام، وكان في أثناء المنازلة عليلاً ضعيفاً فلم يشارك في القتال. هكذا قضت حكمة الله تبارك وتعالى للإبقاء على مسيرة الإمامة بحفظ شخص الإمام.

والحديث عن معاناة الإمام السجاد عليه السلام في كربلاء ولقائه قادة الجريمة وأجلاف المحاربين حديث ذو شجون وهو المأساة بكل معانيها، وقد أثر في نفسه عليه السلام وأطّرها بالحزن، ومع ذلك كان القوي المحتسب، المهيأ لتحمل الأعباء، لا يتراجع أمام الظروف الصعبة ولم يحفل بتتابع الملمات، وهو الامتداد الطبيعي لآبائه ولجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فهو صاحب رسالة وعليه أن يختار

الطريقة التي يوصل بها تلك الرسالة إلى الناس . وكان قدره أن يستعيض عن الجهاد بالسيف لعدم توفر مستلزماته – وهو ما يسمى بالجهاد الأصغر – بالجهاد الأكبر ، جهاد النفس ؛ وهو فارس ميدانه والمثل الأعلى لتكامل أركانه ، فقد تكاملت في روحه الطاهرة كل صفات الكمال الانساني ، وعصَمتْه الإرادة العليا من كل نقص ، ووجد في نقل كمالات الدين والخلق الرصين المستند إلى الحكمة والتقوى والأمانة ، التي تشكل جانباً فاعلاً في سيرته ونشاطاته اليومية ، إلى المجتمع لتحقيق ما يمكن من الرسالة التي صدع بها جدّه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وآمن بها وجاهد من أجل حمايتها جدّه أمير المؤمنين عليه السلام واستشهد من أجلها عمه المجتبى عليه السلام ثم أبوه سيد الشهداء عليه السلام ومن معه في كربلاء .

لقد وجد فيها الوسيلة الأنجع لتحقيق الأهداف في ظل حكم جائر مستبد ، وضع كل الموانع وجنّد زبانيته للرقابة وإحصاء الأنفاس على كل من تعرّض لسلطان آل أبي سفيان ، فكان كلام الإمام سيفاً والدعاء درساً وتقويم السيرة والسلوك جزءاً من المهمة الإصلاحية .

وقبل الولوج إلى أدوات الجهاد التي استعان بها الإمام السجاد عليه السلام يجدر بنا الإشارة إلى كيفية وثوق المجتمع - المتدين بدين ملوكه ، والمتردد بين طاعة مغريات الدنيا والاعتقاد بحساب الآخرة – بصواب دعوة الإمام إلى الصلاح والسير على نهج الشريعة المقدسة ، فتلقّى كثير من الناس أفكاره بالقبول ، واستمعوا إلى توصياته باهتمام ، ووجدوا فيه المثال الأمثل للمسلم المؤمن الورع التقي الحليم (يقابل السباب بالإغضاء ، والاعتداء بالتسامح والجرأة بالتغافل والعنف بالتفاهم حتى قيل له : الله

أعلم حيث يجعل رسالته ، وحتى استمع إلى من يقول : إنّك من أولاد الأنبياء) .

واختار الإمام السجاد عليه السلام لغة الوعظ والإرشاد ، والبث بطريقة (إياك أعني واسمعي يا جارة) فصاغ ما يريد إيصاله إلى العامة بالدعاء الذاتي مخاطباً ربّه بقوله عليه السلام : (**اللهم أنت المدعو وأنت المرجو ، رازق الخير وكاشف السوء ، الغفار ... يا كاشف الكرب ومذلل كل صعب ومبتدئ النعم قبل استحقاقها ، ويا من مَفزَع الخلق إليه ، وتوكلهم عليه ، أمرت بالدعاء وضمنت الإجابة ، فصلّ على محمد وآل محمد ، وابدأ بهم في كل خير ، وأفرج همي ، وارزقني بردَ عفوك وحلاوة ذكرك وشكرك وانتظار أمرك ...**)

وحين تَعْرضُ له مهمة أو تنزلُ به ملمة يقول : (**يا من تُحل به عُقد المكاره ، ويا من يُفثأ به حد الشدائد ، ويا من يُلتمس منه المخرج إلى روح الفرج ، ذلّت لقدرتك الصعاب وتسببت بلطفك الأسباب .. فصلّ على محمد وآله ، وافتح لي يا رب باب الفرج بطَولك واكسر عني سلطان الهم بحولك ، وأنلني حسن النظر فيما شكوت ، وأذقني حلاوة الصنع فيما سألت ، وهب لي من لدنك رحمةً وفرجاً هنيئاً ، واجعل لي من عندك مخرجاً ...**) .

لقد عاش الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام في فترة تتقاطع تماماً مع ما نزل به القرآن المجيد وصرّح به الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ، فقد جاء في الذكر الحكيم : (**لا ينال عهدي الظالمين**) فهل هناك أظلم من أحفاد أبي سفيان ومروان وأولاده الذين عاثوا في الأرض فسادًا ، فحرّفوا السنّة واستباحوا الحرمات وأذلوا المؤمنين وسفكوا الدماء بدون وجه حق . وقال فيهم رسول الله(ص) كما حدّث بذلك الإمام الحسين(ع) : (لقد سمعت جدّي رسول الله(ص) يقول : الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان)) ولكنهم أخذوها بالغدر والقهر وشراء الذمم ، وإيهام البسطاء وتضليل العامة وتفريق الصفوف ، واستغلال مقتل الخليفة الأموي عثمان بن عفّان والدعوة للثأر من قاتليه ، ثم كان حكم يزيد بن معاوية الذي شكّل وصمة عار في جبين الدولة الأموية ، ولم يكن حكم مروان بن الحكم وأولاده أقل إساءة للعرب والمسلمين ...

في مثل هذه البيئة المريضة وغياب العدل كانت فترة إمامة علي بن الحسين عليه السلام ، ولم يُعدم الوسيلة التي تحقق له ما يمكن تحقيقه من الإرشاد إلى الصراط المستقيم ، وكشف سلبيات المستبدين وتحفيز الأحرار للتمرد على السلطة الجائرة وتهيئة عوامل الانهيار، فيتوجه بالدعاء إلى الله تعالى قائلاً : (... **اللّهم قد قصدت إليك بطلبتي ، وقرَعتْ بابَ فضلك يدُ مسألتي ، وناداك بالخشوع والاستكانة قلبي ... اللهم وقد شملنا زيغ الفتن ، واستولت علينا عشوة الحيرة ، وقارعَنا الذل والصَغار ، وحكم في عبادك غير المأمونين على دينك ، فابتزَّ أمورَ آل محمد من نقض حكمك وسعى في تلف عبادك المؤمنين ، فجعل فيئنا مغنماً ، وأمانتنا ميراثاً ، واشتُريتْ الملاهي والمعازف والكبارات بسهم الأرملة واليتيم والمسكين ، فرتع في مالك مَن لا يرعى لك حرمة ، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة ... اللهم فأتِحْ له من الحق يداً حاصدة ...**)

وكان الملحظ السياسي عصيباً على الإمام ، وكانت وطأته بعيدة الأثر إذ عطّلت دوره القيادي .. فكان في رقابة منعته توجيه

الحياة الإسلامية كما أراد لها الله تبارك وتعالى . فالإمام معطّل في ظل إرهاب دموي طائش وحكم عشائري متسلط ، فلجأ الإمام إلى أساليب جديدة في الدعوة والدعاء ، والتزم الصمت السياسي ظاهراً ودأب إلى الإصلاح الاجتماعي ... فابتكر من الظواهر الفكرية أبعاداً جديدة أدّى بإزائها واجباته .

وسنحت للإمام فرصة عندما انشغل الحزب المرواني بالحزب الزبيري واتسعت رقعة الأزمات السياسية ، فاستغل الإمام الظرف وتفرغ لمسؤوليته العلمية ، فأفتى وفسّر ودعا وشرّع وبيّن وأعرب ، وحدب على مجموعة من تلامذته ييسر الأحكام ويفسر القرآن ويفقّه المتعلمين، وكان مجموع تلامذته في شتى الفنون والعلوم :مائة وأربعة وستين تلميذاً .

لقد تمكن الإمام عليه السلام من تثبيت الأُسس للإصلاح الاجتماعي والالتزام العقيدي ، فترك إلى جانب الكنز الثمين من الدعاء ، سيرته الذاتية التي حمته من سطوة الجبارين . كما ترك الوثيقة الأخلاقية والتربوية الرائدة والتي سميت برسالة الحقوق ، وقد اشتملت على خمسين حقاً ، رسالة رسم الإمام فيها معالم الشخصية الصالحة التي ينشدها الإسلام ويتبناها .

ولا نريد هنا تكرار ما كتبه السابقون عن أخلاق الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد عليه السلام وعبادته وتقواه ، فهو من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أجمعت الدنيا على تميّزهم بالكمالات ، وقال العارفون فيهم ما لم يُقل في غيرهم من الانفرادات والسمو في عالم القداسة ، ويكفي أن نستشهد بقول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري : (والله ما رؤي في أولاد الأنبياء بمثل علي بن الحسين ..) وقال الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز:(سراج الدنيا وجمال الإسلام زين العابدين) وقال الفرزدق الشاعر عندما أثار احترامُ الناس في الحج للإمام زين العابدين عليه السلام وانفراجهم له عن الحجر الأسود ، اهتمام شامي في الوقت الذي لم يفعل الناس مثل ذلك لهشام بن عبد الملك– قبل أن يستخلف – فسأل هشاماً عنه ، فأجابه : لا أعرفه . فقال الفرزدق : أنا أعرفه ، وأنشد قصيدته الخالدة ، ومنها :

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَه
والبيت يعرفه والحل والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقيَ الطاهر العلم
اذا رأته قريشٌ قال قائلها
الى مكارم هذا ينتهي الكرم

والقصيدة معلّقة ذهبيّة ونادرة أدبية ، وشهادة لا تقبل النقض لصدق محتوياتها وإحاطتها بأعلى مراتب الكمال والسؤدد الذي عُرف به الإمام زين العابدين عليه السلام . (وتقع في واحد وأربعين بيتاً) .

نعود إلى رسالة الحقوق لنقف عند بعض فقراتها التي تمثل الدروس الواجب الالتزام بها لكل مسلم صادق الإيمان . وأولها : حق الله : فإنك تعبده ولا تشرك به شيئاً .. ثم حق النفس : وعليك أن تستوفيها في طاعة الله .. وحق اللسان بإكرامه عن الخنى وتعويده على الخير وحمله على الأدب . وحق السمع بتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلا لكريمة أو كسب خُلق كريم . وحق البصر ، فغضه عما لا يحل لك . وحق اليدين بأن لا تبسطهما إلى ما لا يحل لك ، ولا تقبضهما مما افترض الله عليهما . وحق الرجلين بأن لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك . وحق البطن بأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام ولا لكثير

وأن تقتصد له في الحلال .. وحق الفرْج بحفظه مما لا يحل لك والاستعانة عليه بغض النظر . وحق الصلاة بأن تعلم أنها وفادة إلى الله وأنك قائم بها بين يدي الله .. وحق الصوم بأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار .. وحق الهدي والحج : فريضة عبادية على من استطاع ، ولها طابعها السياسي والمالي والبدني . وحق الصدقة بأن تعلم أنها ذخرك عند ربك ، وحق الزوجة بأن الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية .. وحق الأم وحق الأب وحق الولد وحق الأخ .. وإلى مختلف الحقوق المتصلة بالمجتمع .

وتحت عنوان ((مبادئ الإمام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان)) يقول الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير ما هذا مختصره : (الإعلان العالمي يتكون من ثلاثين مادة .. ويتضمن حقوقاً عديدة – مدنية ، سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية وثقافية . وقد حفلت المواد الثلاثون بحقوق الجانب المادي من الإنسان وأغفلت بشكل متعمد لا يليق ، الجانب الروحي من الإنسان ، وبذلك اعتبر الإنسان آلة جامدة .. بينما نجد رسالة الحقوق عند الإمام تعالج الجانب المادي إلى جنب الجانب الروحي ، وتجعل من الإنسان ذاتاً متكاملة في معيار الوعي والتفكير وشؤون الحياة . كما أن الإعلان العالمي يفرّط بمبادئ كثيرة في الصميم من حياة الإنسان العامة كالعلاقة بين الآباء والأبناء والزوج والزوجة وحقوق الجار والرحم والصديق ، وفي البر والإحسان والصدقات والتجارة والمعاملات والحب والمودة وحقوق الجوارح وأداء الطقوس الدينية والشعائر المقدسة ، فهي وإنْ أشارت إلى شيء من بعض هذه المبادئ فإشارتها عابرة ..

توفي الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ٩٥ هجرية ، مسموماً بإيعاز من الحاكم الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ودفن في بقيع الغرقد مع عمه الإمام الحسن بن علي عليه السلام ، وقد هدم الوهابيون قبره وقبور بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام . إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

---

(١)الشيخ المفيد / الإرشاد ص٣١٧ .

(٢)الدكتور محمد حسين علي الصغير / موسوعة أهل البيت الحضارية – الإمام زين العابدين ص٣٠ عن صفوة الصفوة ٢ : ٥٤ والبداية والنهاية لابن كثير ٩ : ١٠٥ .

(٣) السيد محسن الأمين العاملي / الصحيفة السجادية– الدعاء ٤٩ ص ١٢٨-١٢٩ .

(٤)علي محمد علي دخيّل / السلسلة الشهرية في الأئمة الاثني عشر – الإمام علي بن الحسين ٨ ص٩٣ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٢٤ .

(٦) إبن طاووس / اللهوف في قتلى الطفوف ص١١ .

(٧) السيد محسن الامين العاملي / الصحيفة السجادية الخامسة / الدعاء ٣١ ص ٩٠-٩٢ .

(٨) الدكتور الصغير / المصدر السابق ص١٨-١٩ .

(٩) المصدر السابق ص٢٠ عن الشيخ باقر شريف القرشي / حياة الامام زين العابدين ٢ : ٣٢٩ .

(١٠) السيد عباس علي الموسوي / رسالة الحقوق ص١٣ .

(١١) علي محمد علي دخيل / المصدر السابق ص١٠٧ عن البحار ١١ : ١٩ .

(١٢) المصدر السابق ص١٠٨-١٠٩ .

(١٣) المصدر السابق ص١١٨-١٢٣ عن الأغاني والحلية والحماسة .

(١٤) السيد عباس علي الموسوي / رسالة الحقوق – ط ٢٠١٠م .

(١٥) الدكتور محمد حسين الصغير / المصدر السابق ص٣٢٧-٣٢٩ .

مناجاة المريدين المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[سُبْحانَكَ ما أَضْيَقَ الطُّرُقَ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ، وَما أَوْضَحَ الحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَهُ ، إِلهِي فَاسْلُكْ بِنا سُبُلَ الوُصُولِ إِلَيْكَ، وَسَيِّرْنا فِي أَقْرَبِ الطُّرُقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ، وَقَرِّبْ عَلَيْنا البَعِيدَ، وَسَهِّلْ عَلَيْنا العَسِيرَ الشَّدِيدَ ، وَأَلْحِقْنا بِعِبادِكَ الَّذِينَ هُمْ بِالبِدارِ إِلَيْكَ يُسارِعُونَ، وَبابَكَ عَلى الدَّوامِ يَطْرِقُونَ، وَإِيَّاكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ يَعْبُدُونَ، وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ ، الَّذِينَ صَفَّيْتَ لَهُمْ المَشارِبَ، وَبَلَّغْتَهُمُ الرَّغائِبَ، وَأَنْجَحْتَ لَهُمُ المَطالِبَ، وَقَضَيْتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ المَآرِبَ، وَمَلأتَ لَهُمْ ضَمائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ، وَرَوَّيْتَهُمْ مِنْ صافِي شِرْبِكَ ؛ فَبِكَ إِلى لَذِيذِ مُناجاتِكَ وَصَلُوا، وَمِنْكَ أَقْصى مَقاصِدِهِمْ حَصَلُوا .

فَيا مَنْ هُوَ عَلى المُقْبِلِينَ عَلَيْهِ مُقْبِلٌ، وَبِالعَطْفِ عَلَيْهِمْ عائِدٌ مُفْضِلٌ، وَبالغافِلِينَ عَنْ ذِكْرِهِ رَحِيمٌ رَؤُوفٌ، وَبِجَذْبِهِمْ إِلى بابِهِ وَدُودٌ عَطُوفٌ ؛ أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ أَوْفَرِهِمْ مِنْكَ حَظًّا، وَأَعْلاهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلاً، وأَجْزَلِهِمْ مِنْ وِدِّكَ قِسْما، وَأَفْضَلِهِمْ فِي مَعْرِفَتِكَ نَصِيبا ، فَقَدْ انْقَطَعَتْ إِلَيْكَ هِمَّتِي، وَانْصَرَفَتْ نَحْوَكَ رَغْبَتِي، فَأَنْتَ لا غَيْرُكَ مُرادِي، وَلَكَ لا لِسِواكَ سَهَرِي وَسُهادِي، وَلِقاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي، وَوَصْلُكَ مُنى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي وَفِي مَحَبَّتِكَ وَلَهِي ، وَإِلى هَواكَ صَبابَتِي، وَرِضاكَ بُغْيَتِي، وَرِؤْيَتُكَ حاجَتِي، وَجِوارُكَ طَلَبِي، وَقُرْبُكَ غايَةَ سُؤْلِي ، وَفِي مُناجاتِكَ رَوْحِي وَراحَتِي، وَعِنْدَكَ دَواءُ عِلَّتِي، وَشِفاءُ غُلَّتِي، وَبَرْدُ لَوْعَتِي، وَكَشْفُ كُرْبَتِي ، فَكُنْ أَنِيسِي فِي وَحْشَتِي، وَمُقِيلَ عَثْرَتِي، وَغافِرَ زَلَّتِي، وَقابِلَ تَوْبَتِي، وَمُجِيبَ دَعْوَتِي، وَوَلِيَّ عِصْمَتِي، وَمُغْنِيَ فاقَتِي ، وَلا تَقْطَعْنِي عَنْكَ، ولا تُبْعِدْنِي مِنْكَ، يا نَعِيمِي وَجَنَّتِي وَيا دُنْيايَ وَآخِرَتِي، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ] .

الصحيفة السجادية

عبد اللّه بن أبي يعفور العبدي

كيف حاز المكانة الرفيعة بالتقية والكتمان

د. علي الفحام •

ينابيع

يعد الثقة الجليل عبد الله بن أبي يعفور العبدي من أصحاب الامام الصادق عليه السلام الذين تختزن حياتهم مجموعة من المحطات المهمة على صعيد البحث التاريخي في حياة الأئمة عليهم السلام وتاريخ التشيع ومنهجية الحديث الشيعي.

فعلى صعيد البحث في تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام، يبرز ابن أبي يعفور من أوائل وكلاء الأئمة عليهم السلام، وقد لعب الوكلاء أدواراً مهمة في مختلف المراحل التاريخية في حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وكانت لهم مساهمات فكرية واجتماعية وسياسية مهمة، وأدوا مهام جسيمة في تعبئة الجماهير الشيعية، ونشر الفكر الشيعي في أصقاع واسعة من العالم، أما في رواية الحديث فله مكانة خاصة عند الإمام الصادق عليه السلام، وله روايات فقهية وعقدية مهمة في جوانب معرفية مختلفة .

نسبه ونشأته

هو أبو محمد، عبد الله بن أبي يعفور، الكوفي، العبدي بالولاء، ذكر الشيخ الطوسي في رجاله أنه مولى عبد القيس (العبدي)[1]، واسم أبي يعفور وقدان أو واقد[2]، اشتهر عبد الله بن أبي يعفور بكونه من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، إلا أن ثمة ما يؤكد إدراكه للإمام الباقر عليه السلام وروايته عنه، ومن ذلك رواية الإمام الكاظم عليه السلام الواردة في الاختصاص وروضة الواعظين باعتباره من حواريي الإمام الباقر والصادق عليهما السلام[3]، ويزيد ذلك تأكيدًا تصريح عبد الله بن أبي يعفور بالتحدث عن الإمام الباقر عليه السلام في رواية النعماني في الغيبة ص٣١٥ .

ينحدر عبد الله بن أبي يعفور من أسرة كوفية معروفة برواية الحديث، فأبوه واقد

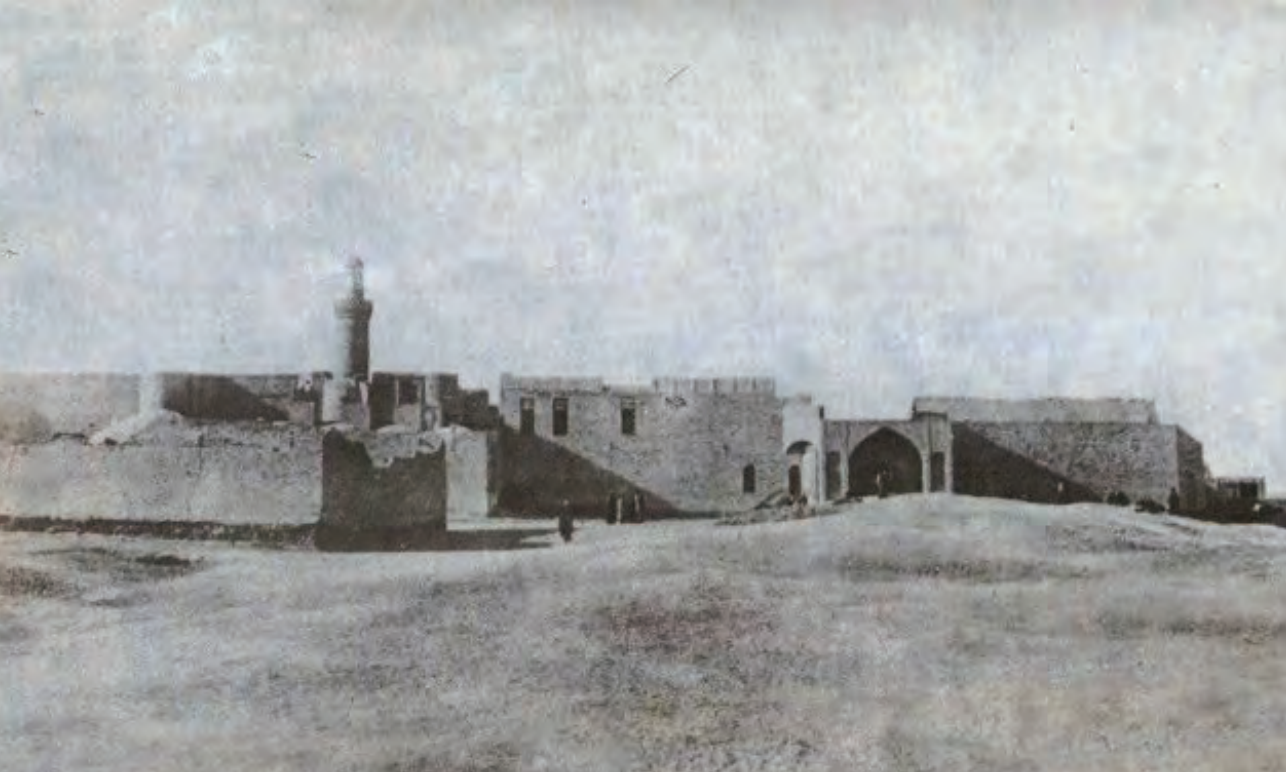

أو وقدان العبدي يعدّ من الثقات المعروفين عنـد العامـة، وأغلب الظن أنـه كان على مذهب العامة بخـلاف أولاده، وذلك لأنه لم يروِ عن أحـد من أهل البيت عليهم السلام، ولم يروِ عنه رواة الشيعة، كما أن طبيعة مروياته التي لا تنسـجم مع المعارف الشيعية، هذا فضـلاً عن توثيقه من قبل كبار أئمة العامة في الجرح والتعديل.

إن هذه النتيجة تدلنا على جانب مخفي من شخصية عبد الله بن أبي يعفور، وهو أنه لم يأخذ التشـيع تقليـدًا للآباء وتأثرًا بالمـوروث العائلي أو القبلـي، وإنما كان تشـيعه عن معرفة وبصيـرة واتباع للحجة والبرهـان، وهـو مـا تثبتـه النصـوص والمرويات التاريخية.

سـكن عبـد الله بـن أبي يعفـور في الكوفـة، وكان بيته قريبًا من بيت القاضي أبي يوسـف (١١٣-١٨١) تلميذ أبي حنيفة، وكان قارئًا للقرآن يقرأ في مسجد الكوفة، وكان إلـى جنب فقهـه وعلمه يعمل من كد يده، وله دكان في الكوفة يسترزق منه.

وقـد صحب عبد الله بـن أبي يعفور كبار أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كزرارة بن أعين والمعلى بن خنيس وهشـام بن سالم وأبي بصير وحماد بن عيسى والصباح بن سيابة.

علاقته بالإمام الصادق عليه السلام

تتحـدث المنقـولات الروائيـة والتاريخيـة أن لعبـد الله بن أبـي يعفور (رضي الله عنه) مكانة خاصة عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فقـد كان موضع ثقته، ومحـط اهتمامه ورعايته، وكان من توقير الإمام الصادق عليه السلام له أنه كان يخصه بالكلام والتوجيـه دون غيـره مـن الحاضريـن، ويرسـل إليـه السـلام مـن المدينـة إلى الكوفة، وفي النصوص ما يشير إلى توكله للإمـام الصـادق عليه السلام[٤]، وبذلـك يعد من

أوائل وكلاء الأئمة الذين وصلتنا النصوص بوكالتهم، وكانت الوكالة في تلك الأعصار تقتصر على إفتاء الشيعة بمرويات أهل البيت عليهم السلام، والفصل في منازعات الشيعة وخصوماتهم، وجمع الحقوق الشرعية من الأخماس والزكوات، وتوزيع المساعدات على الفقراء والمحتاجين، إلى جانب رعاية الشيعة وتقوية عقيدتهم والتصدي لحركات الغلو والانحراف التي تنشأ في بعض الحواضر الشيعية، وكان من ورعه وشدة احتياطه أنه كان يبكي عندما يوزع الزكاة بين أصحابه الفقراء فيسأل عن ذلك فيجيب: (أخاف أن يروا أنها من قبلي)[٥] وقد كلفه الإمام الصادق عليه السلام بالتصدي لبعض الغلاة وقتل قادتهم، من ذلك ما رواه الشيخ الكليني بسنده عن حماد بن عثمان، عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إن بزيعًا يزعم أنه نبي فقال: إن سمعته يقول ذلك فاقتله، قال (ابن أبي يعفور): فجلست له غير مرة فلم يمكني ذلك.[٦].

أما في الجانب العلمي فقد كان عبد الله بن أبي يعفور من الفقهاء الذين يرجع إليهم الشيعة في الفتيا وأخذ الحديث والرواية، وكان إلى جانب ذلك لا يكلّ ولا يملّ عن طلب العلم وأخذ الرواية عن ثقات الشيعة وكبار فقهائهم.

وكان عبد الله بن أبي يعفور لا يوفر مسألة تخطر في باله إلا وسأل عنها أبا عبد الله الصادق عليه السلام، لا سيما في ما يواجهه من المسائل الابتلائية في أمور الطهارة والزواج والطلاق والمأكل والمشرب وسائر الأحكام من الواجبات إلى المستحبات، وله في كتب الفقه روايات كثيرة صارت معولاً للعديد من الفتاوى المشهورة في الفقه الجعفري.

وكان من علمه وسعة فقهه أن الإمام الصادق عليه السلام صوّب فتاواه غير مرة مفضلاً إياه على زرارة والمعلى بن خنيس، ومن ذلك اختلافه مع زرارة حول أفضلية الحلق أو النتف للإبط، وكان يرى أن الحلق أفضل بينما يرى زرارة النتف أفضل، فصوب الإمام رأي ابن أبي يعفور وخطأ زرارة، بقوله: (أصبت السنة وأخطأها زرارة، حلقه أفضل من نتفه، وطليه أفضل من حلقه)[٧]. ومن ذلك أن ابن أبي يعفور ومعلى بن خنيس كانا بالنيل (ناحية في العراق) على عهد أبي عبد الله عليه السلام فاختلفا في ذبايح اليهود، فأكل معلى ولم يأكل ابن أبي يعفور، فلما صارا إلى أبي عبد الله عليه السلام أخبره، فرضي بفعل ابن أبي يعفور وخطأ المعلى في أكله إياه[٨].

ابتلاؤه بالمرض

تشير النصوص الروائية أن عبد الله بن أبي يعفور كان مسقاماً، أي شديد المرض، دائم العلة، وهذا الأمر ربما يفسر ما رواه لنا من روايات الصبر على البلاء وتحمل آلام المرض وشدته، ففي الكافي ٢\٢٥٥ عنه قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع - وكان مسقاماً - فقال لي: (**يا عبد الله، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنى أنه قرض بالمقاريض**) وروى أيضًا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيرًا له وإن قرض بالمقاريض كان خيرًا له وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيرًا له**[٩].

وقد أورد الكشي تفاصيل سقمه وابتلائه، وكيفية شفائه من هذا المرض

ركن مسجد الكوفة المعظم من جهة الجنوب الغربي

ببركة صبره والتزامه بأوامر الإمام الصادق عليه السلام.

وثاقته عند الإمام الصادق عليه السلام

ذكرنا سابقاً جانباً من مكانة شيخنا الجليل عبد الله بن أبي يعفور العبدي عند الإمام الصادق عليه السلام، وأنه كان موضع ثقته حتى جعله وكيلاً، وقد وردت نصوص متظافرة تشهد بهذه المكانة المرموقة، وتصف موقع عبد الله بن أبي يعفور عند الإمام الصادق عليه السلام ومنها :

١. الشيخ المفيد - الاختصاص ١٩٥: عن حماد بن عثمان قال : أردت الخروج إلى مكة فأتيت ابن أبي يعفور مودعاً له فقلت : ألك حاجة ؟ قال : نعم تقرأ أبا عبد الله عليه السلام، قال : فقدمت المدينة فدخلت عليه، فسألني ثم قال : ما فعل ابن أبي يعفور ؟ قال : قلت : صالح جعلت فداك آخر عهدي به، وقد أتيته مودعاً له فسألني أن أقرئك السلام، قال : (وعليه السلام اقرأه السلام صلى الله عليه وقل : كن على ما عهدتك عليه).

٢. رجال الكشي ٢\ ٤١٨ : عن زيد الشحام، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : **(ما وجدت أحداً أخذ بقولي وأطاع أمري وحذا حذو أصحاب آبائي غير رجلين رحمهما الله : عبد الله بن أبي يعفور وحمران بن أعين، أما إنهما مؤمنان خالصان من شيعتنا، أسماؤهم عندنا في كتاب أصحاب اليمين الذي أعطى الله محمداً)** .

٣. رجال الكشي ٢\٥١٥ : عن عدة من أصحابنا : كان أبو عبد الله عليه السلام يقول : (**ما وجدت أحداً يقبل وصيتي ويطيع أمري، إلا عبد الله بن أبي يعفور**) .

٤. رجال الكشي ٢\٥١٧ : كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى المفضل بن عمر الجعفي حين مضى عبد الله بن أبي يعفور : (**يا مفضل، عهدتُ إليك عهدي كان إلى عبد الله بن أبي يعفور صلوات الله عليه، فمضى صلوات الله عليه موفياً لله عز وجل ولرسوله ولإمامه بالعهد المعهود لله، وقبض صلوات الله على روحه محمود الأثر، مشكور السعي، مغفوراً له، مرحوماً برضا الله ورسوله وإمامه عنه، فبولادتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان في عصرنا أحد أطوع لله ولرسوله ولإمامه منه، فما زال كذلك حتى قبضه الله إليه برحمته وصيره إلى جنته، مساكناً فيها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام أنزله الله بين المسكنين مسكن محمد وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) وإن كانت المساكن واحدة فزاده الله رضىً من عنده ومغفرة من فضله برضاي عنه**) .

٥. المصدر نفسه :، عن زياد بن أبي الحلال، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**ما أحد أدى إلينا ما افترض الله عليه فينا إلا عبد الله بن أبي يعفور**)

٦. الكافي ٢\١٠٤ : عن أبي كهمس قال : **قلت لأبي عبد الله عليه السلام : عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام، قال : عليك وعليه السلام إذا أتيت عبد الله فأقرئه السلام وقل له : إن جعفر بن محمد يقول لك : انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه، فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة .**

لقد نال عبد الله بن أبي يعفور مكانة رفيعة عند الإمام الصادق عليه السلام لسبقه أصحاب الإمام عليه السلام بأمرين مهمين : التسليم للإمام واستعمال التقية والكتمان، وهذان الأمران من العناوين المهمة التي أخذت مساحة واسعة من كلام أهل البيت عليهم السلام وتوجيهاتهم، ولذلك يعد ابن أبي يعفور من الرواة القلائل الذين لم يرد فيهم عتاب أو ذم ظاهري من الأئمة عليهم السلام لالتزامه الشديد بتوصيات الأئمة عليهم السلام ومن أهمها مسلك التقية والكتمان .

مكانته في علم الحديث

يعد عبد الله بن أبي يعفور من كبار المحدثين الشيعة، وله روايات كثيرة في مختلف صنوف المعارف الإسلامية من الفقه والعقيدة والأخلاق إلى التفسير والتأريخ، ولكن الذي يلفت النظر أن أحداً من محدثي العامة أو رجالات السيرة والتراجم أو أرباب الجرح والتعديل لم يذكره قط في كتب العامة، فليس له ذكر لا في كتب الحديث، ولا في كتب الرجال، ولعل هذا الأمر يرجع إلى مسلك التقية الشديد الذي التزم به عبد الله بن أبي يعفور، فهو شديد التحفظ على روايات أهل البيت عليهم السلام، وكان يختلط مع العامة ولكنه لا يروي عنهم ولا يروي لهم، ولهذا لم يتعرض له أحد بالترجمة أو بالجرح والتعديل .

أما في كتب الشيعة فهو من قدماء المحدثين، وثقات الرواة، وقد حدث عن

أبـي جعفر الباقر وأبـي عبد الله الصادق عليه السلام، كمـا روى عن أخيه عبـد الكريم بن أبي يعفور، وأبي الصامـت، والمعلى بن خنيس، ومولى لبني شـيبان، أما تلامذته والـرواة عنه فهـم جمع غفير مـن فقهاء الطائفة ووجوهها منهم : أبو جميلة، وأبو يحيى الحناط، وأبان بن عثمان، وإبراهيم بن عبد الحميد، وإسحاق بن عمار، وجابر المكفـوف، وحبيب الخثعمـي، وحريز، والحسـين بن علي بن مهران، والحسـين بن المختار، وحماد بن عثمان، وحماد بن عيسى، ويونس بن أبي يعفور، وآخرين.

وثاقته

يعـد عبد الله بن أبي يعفور من الرواة الذين استغنوا بتوثيق الأئمة عليهم السلام وتزكيتهم عن أقـوال الرجال وتقويمهـم، وهو من الرواة الذين أجمعت الطائفة قديماً وحديثاً على العمل بروايتهـم وتوثيق منقولاتهم، وفي ما يأتي أهم مـا قيل فيه من عبارات المدح والثناء :

١. الشـيخ النجاشي : (عبد الله بن أبي يعفـور العبدي واسـم أبي يعفـور واقد، وقيـل وقدان، يكنى أبـا محمد، ثقة ثقة، جليل في أصحابنا، كريم على أبي عبد الله عليه السلام) [١٠].

٢. السيد ابن طاووس : (العبد الصالح عبـد الله بـن أبـي يعفـور رضـوان الله عليه)[١١].

٣. المحقق البحراني : (ثقة جليل)[١٢].

٤. السـيد علي البروجردي : (عبد الله بـن أبي يعفـور ثقة جليل فـي الأصحاب كريم، كان قاريا يقرأ في مسـجد الكوفة، مـن حـواري الباقر والصـادق عليهما السلام، مات في حيـاة الثاني، وفيه روايـات كثيرة في مدحـه، بل بعضها يـدل على عظم منزلته عندالصادق عليه السلام[١٣].

٥. الشـيخ النمـازي الشـاهرودي : (ثقـة ثقة، جليل بالاتفـاق . مات في حياة الصـادق عليه السلام. عـده الشـيخ المفيـد من الفقهـاء الأعـلام، والرؤسـاء المأخـوذ منهم الحلال والحـرام والفتيا والاحكام، الذين لا يطعن عليهم ولا طريق لذم واحد منهم)[١٤].

وفاته

لـم تتحدث الروايات عن تاريخ وفاته باسـتثناء ما ورد أنه توفي في حياة الإمام الصـادق عليه السلام عـام الطاعـون (١٥)، ومن المرجح أنه قد توفـي بين ١٣١ و ١٤٠ هـ، وقد دفن فـي الكوفة وحضر جنازته جمع غفير من الناس والشيعة، ومن بينهم بعض الواقفة، وقد ترحـم عليه الإمام الصادق عليه السلام غيـر مرة، داعياً كل أصحابه أن يحذو حذوه ويسـيروا على نهجه بالتسليم لأهل البيت عليهم السلام وطاعتهم وكتمان أمرهم .

---

(١) رجال الطوسي ٢٦٤.
(٢) رجال النجاشي٢١٣.
(٣) الاختصاص ٦١، روضة الواعظين ٢٨٣.
(٤) رجال الكشي ٢\٥١٧.
(٥) الاختصاص: ١٩٥.
(٦) الكافي ٧\٢٥٨.
(٧) الكافي ٤\٣٢٧.
(٨) رجال الكشي ٢\٥١٧.
(٩) الكافي ٢\٦٢.
(١٠) رجال النجاشي٢١٣ .
(١١) فلاح السائل ١٥٧ .
(١٢) الحدائق الناضرة ٤\٩٦ .
(١٣) طرائف المقال ٢\٢٩ .
(١٤) مستدركات علم رجال الحديث ٤\٤٧٣ .
(١٥) رجال الكشي ٢\٥١٥.

الشيخ خضر بن شلال العفكاوي الباهلي النجفي

(حدود ١١٨٠ ـ ١٢٥٥هـ)
(حدود١٧٦٦ـ ١٨٣٩ م)

الشيخ حميد البغدادي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

من أعلام الحوزة العلمية في النجف الأشـرف ومراجعها، اشتهر بالعلم والزهد والعبادة وصفاء النفس.

ولادته وأسرته

ولـد العلامـة الزاهد الفقيـه المحقق الشـيخ خضر بن الشيخ شلال بن حطاب العفـكاوي[١] الباهلي [٢]النجفـي في مدينة عفك في حدود عـام ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م، ونسب إليها.

النشأة العلمية

هاجر الشيخ خضر شلال من عفك إلى مدينة النجف للالتحـاق بالحوزة العلمية، وتلقـي العلم علـى علمائهـا والتلمذة على شيوخها المعروفين في زمنه، فدرس فيها حتى أكمل العلوم العربية وحضر الدروس العاليـة على مشـايخ عصره، ومن أشـهر أساتذته:

١ـ السـيد محمـد مهـدي الطباطبائي المعروف بالسيد بحر العلوم (١١٥٥ـ ١٢١٢ هـ) الذي أصبح صاحب سره.

٢ـ الشـيخ جعفر الكبير صاحب (كشف الغطاء) (١١٥٦ هـ - ١٢٢٨ هـ)والذي أصبح من أجل تلاميذه .

٣ـ الشـيخ موسـى ابن الشـيخ جعفر كاشف الغطاء(١١٨٠ـ ١٢٤١ هـ).

٤ـ الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء(١٢٥٣ هـ) .

٥ـ الشيخ موسى آل محبوبة[٣].

٦ـ الشيخ علي آل محبوبة.

تلامذته

وقـد تتلمذ عليـه العديد مـن الأعلام منهم:

١ـ الشـيخ عبـد الكريـم الكرمانـي النجفي، وحصل منه على إجازة علمية في جمادي الأولى عام ١٢٤٧ هـ .

٢ـ السـيد محمد بن الحسين بن محمد رضا التنكابني[٤].

٣ـ السـيد علي ابن السـيد إسـماعيل الغريفي الموسوي البحراني(ت ١٢٤٦هـ) [٥].

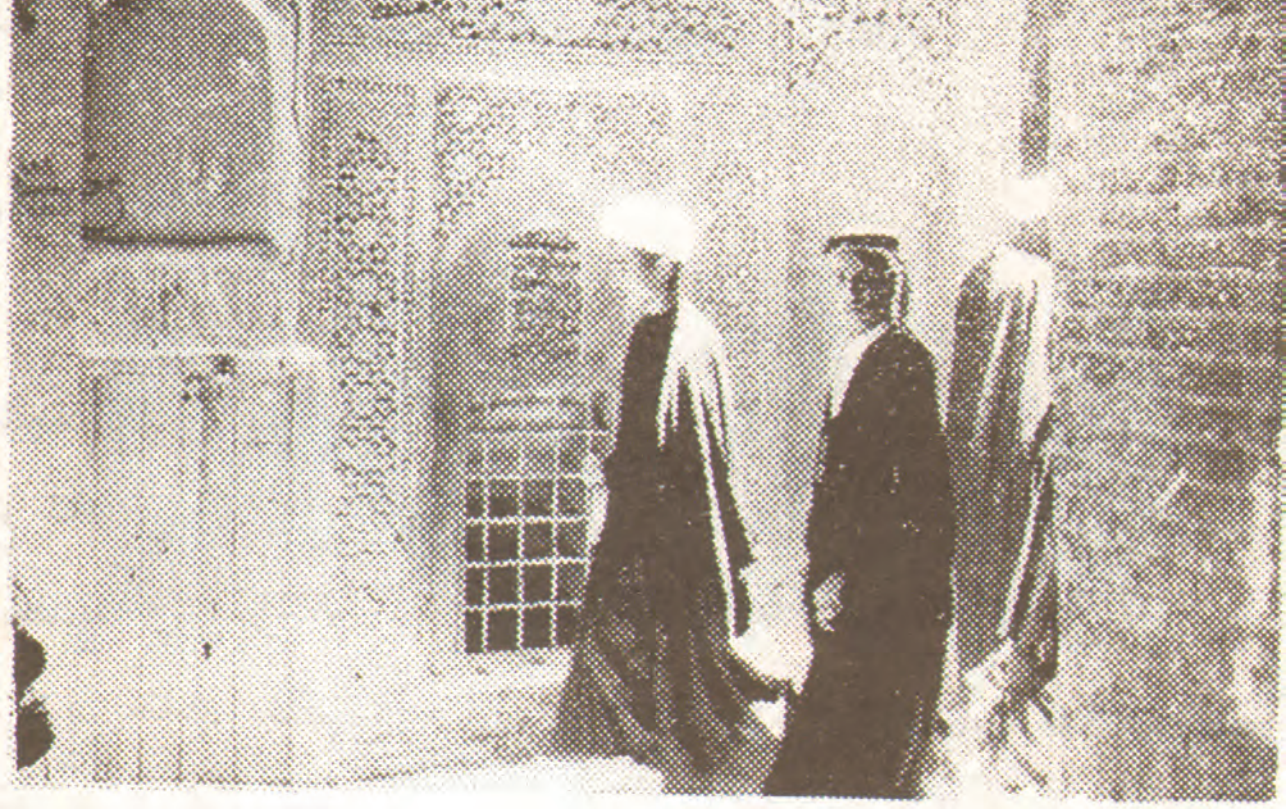

مرقد الشيخ خضر شلال في سوق العمارة الذي تمت إزالته في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي

٤- الشيخ حسن بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المحسني الأحسائي الفلاحي(١٢١٣ ١٢٧٢ هـ)[٦].

أقوال العلماء فيه

وقد عرف الشيخ خضر شلال بتقواه وزهده وكان يتمتع بالصفاء والبساطة، وقد نسبت إليه كرامات.وقد ذكر أنه كان من العلماء المجتهدين المقلّدين وأشارت المصادر إلى علميته وفقهه، وزهده وعبادته، كثير الأنس بمسجد الكوفة.

وفي دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام للميرزا النوري وصفه بـ: (الشيخ المحقق الجليل والعالم المدقق النبيل صاحب الكرامات الباهرة المعروفة كان من أعيان هذه الطائفة وعلمائها الربانيين الذين يضرب بهم المثل في الزهد والتقوى واستجابة الدعاء)[٧].

يقول السيد الأمين في الأعيان: (كان عالماً فقيهاً زاهداً ورعاً تنسب إليه كرامات، ومن أجلّ تلاميذ الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء له كتب قيمة ومتنوعة توفي سنة ١٢٥٥ هـ)[٨].

قال عنه الشيخ حرز الدين في المعارف :(العلاّمة العابد والتقيّ الزاهد الورع، وممّن يُستسقى به الغمام إذا منعت السماء قطرها . حريٌّ بأن يُوسَم بمعجز الشيعة وحافظ الشريعة . وروى الكثيرُ عنه الكرامات وصفات عالية) .

يقول الشيخ الطهراني : (أنه كان من أهل التقى في عصره وأبرزهم في الزهد والصلاح وسلامة الباطن)[٩].

ويقول الشيخ محبوبة : (كان عالمًا عاملاً فقيهًا أصوليًا ثقة عدلاً صادقًا صافي القلب خيّرًا ديّنًا ورعًا زاهدًا عابدًا)[١٠].

يقول الشيخ عباس القمي : (أنه عالم فاضل جليل وفقيه نبيه نبيل ومحدث ماهر[١١].

مؤلفاته

أثـرى المكتبـة العلميـة بالعديـد من المؤلفات، والتي تكشـف بصورة واضحة عن المقام العلمي الذي كان يتمتع به الشيخ الخضر في مدرسـة النجف الأشـرف في القرن الثالث عشـر الهجري واليك كشفا بها[١٢]:

أولًا : الفقه والأصول

١- التحفـة الرضوية في شـرح اللمعة الدمشـقية وقد وصل في شرحه إلى كتاب الحج[١٣] .

٢- رسالة في عمل المقلِّدين .

٣- رسالة في الفقه .

٤- عصـام الديـن : ذكره فـي إجازته للشيخ عبد الكريم الكرماني عام ١٢٤٧ هـ

٥- كتاب سحر الإمامية[١٤].

٦- كتاب معجز الإمامية .

٧- مصباح الحجيج .

٨- مصباح الرشاد .

٩- مصبـاح المتمتـع في مناسـك حج التمتع.

١٠- مختصـر شـرح اللمعـة مـن أول الطهارة إلى تمام الصلاة .

ثانيًا : علم الكلام وأصول الدين

١- جنة الخلد في أصول الدين وفروعه وهو رسالة عملية[١٥].

٢- كتاب المعجز .

ثالثًا: الأدعية والزيارات

١- أبـواب الجنان وبشـائر الرضوان، وهو في الزيارات وأعمال السـنة وسـائر الإحـراز والأدعيـة ويعرف باسـم (مزار الشيخ خضر شلال) وقد رتبه على مقدمة فـي فضل مكة وسـائر المشـاهد وأبواب ثمان تشـبيهًا الكتاب بالجنـان وترغيبًا في اتخاذه جُنّة عن النيـران وقد تفرع من كل باب عدة فصول وفرغ منه في شـعبان عام ١٢٤٢ هـ[١٦].

٢- كتاب الأدعية، أو مجموعة الأدعية .

٣- هديـة المسترشـدين (هديـة الزائرين).

٤- نتيجة الهداية .

٥- نجم الهداية وهو شـرح على كتاب هدية المسترشدين .

أفـرد المحقق الطهراني فـي الذريعة عنوان (المزار) ككتاب مُسـتقل عن كتاب أبواب الجنان، لكن مصادر أخرى أشارت إلـى أن المزار أو مزار الشـيخ خضر هو اسـمٌ متداول لكتاب أبواب الجنان وليس كتاباً آخر.

ذريته

لم يُعقّب بعـده إلا بنتاً واحدة تزوّجت السيد سـلمان بن هاشم الرفيعي،وأنجبت منه: السـيد عزيز، والسيد كريم، والسيد هاشم، وكل واحد من هؤلاء له أولاد.

وفاته

وتوفـي وقد ناهز الثمانين سـنة[١٧]في مدينـة النجف الأشـرف عـام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م . وقـد دفن فيهـا، يقول صاحب ماضـي النجف وحاضرها عـن قبره: (وله مرقدٌ ظاهرٌ مشـهور يُزار ويُتبرّك به عند ابتداء شارع السـلام مقابل مدرسة الحاج ميـرزا حسـين الخليلـي الكبيـرة يقرأ له الفاتحة الرائح والغادي).

وكان قبـره مشـهوراً ومعروفـاً ويُزار فـي (محلة العمارة)بداره الكبيرة في غرفة منها مطلة على الشـارع المعروف بشـارع السـلام، إلا أنهُ حين نُفّذ مشـروع مدينة الزائريـن (عـام١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م) هُدم قبـره، ثم نقـل رفاته إلى وادي السـلام، وشيدت مقبرة جديدة له[١٨].

يحكـى عن الشـيخ خضر شـلال في

مزاره قوله:

(لا ريب في أرجحية التأخر عن ضريح الهادي عليه السلام بمقدار ذراع أو أزيد عند زيارته عليه السلام لما بلغني أنه مقدم على الشباك المنصوب في عصرنا).

نقل البعض القصة التالية:

اشتكت النجف الأشرف عاماً من الجذب والجفاف فلجأ الناس إلى كبير علمائهم في عصره وهو العلامة الشيخ خضر شلال فاستجاب لهم وأمرهم أن يخرجوا كباراً وصغاراً نساء ورجالاً للتوسل إلى الله سبحانه وطلب الغيث وقد تقدمهم الشيخ خضر داعياً مبتهلاً متضرعاً ولكن الأمر جاء على عكس ما يريده الجميع حيث إنه كان قبل الاستسقاء سحاب قليل متفرق هرب كله عندما خرج الناس للاستسقاء فضحك الضاحك واستهزأ المستهزأ وسخر الساخر وأهينت كرامة الشيخ وتغنوا في ذلك: (طلع شيخنا يلتمس .. راح الغيم وجتنا الشمس) .. فعندها غضب الشيخ وغضب الله لغضبه فهتف فيهم معلناً : يا أهل المحلة أدخلوا مساكنكم فدخلوا وبقي وحده داعياً وما هي إلا دقائق معدودة حتى هطل الغيث كشلال الماء المنحدر من شاهق ولهذا سمي الشيخ خضر شلال وأزهق عند ذلك المبطلون وألجم المسفسفون وأسكت الدجالون، وأعلى الله كلمة المؤمنين لأن الله يدافع عن الذين آمنوا وأصبح مرقده بعد وفاته مزاراً لكل شارد وارد وصاد وغاد.

---

(١)العفكاوي نسبة إلى عفك بعين مهملة مكسورة وفاء مفتوحة وتُسَكّن عند النسبة، ومدينة عفك وتلفظ باللهجة المحلية عفج هي مركز قضاء عفك التابع لمحافظة القادسية (الديوانية)الواقعة في إقليم الفرات الأوسط من العراق أو جنوب وسط العراق. وتبعد عن مدينة الديوانية حوالي ٢٥ كم شمال شرق، وعن بغداد العاصمة بحوالي ١٧٠ كم جنوبا.

(٢)ينتسب ابن شلّال إلى آل خدام، وهم فخذ من آل شيبة الذين هم من باهلة، وينقل صاحب أعيان الشيعة:وفي كتاب الأنساب للسيد مهدي القزويني آل شيبة قبيلة من عفك باهلة.

(٣) ذكر محبوبة في ماضي النجف أن صاحب الحصون قال بأنه حضر على الشيخ موسى ومن بعده على أخيه الشيخ علي.

(٤)راجع: مستدرك أعيان الشيعة، السيد حسن الأمين ج٣:٢٥٠، وتراجم الرجال للسيد احمد الحسيني، ج١ : ٥٠٢.

(٥)راجع: الأمين، السيد محسن،أعيان الشيعة ج٨ :١٦٧، دار التعارف بيروت.

(٦)الشيخ حسن بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المحسني الأحسائي الفلاحي (١٢١٣ – ١٢٧٢هـ)، من أعلام الفلاحية بخوزستان، من مؤلفاته: تعليقة على جواهر الكلام، وتعليقة على الحدائق، وتعليقة على كفاية السبزواري، وتعليقة على مفاتيح الشرائع، وحاشية على البحار، وحاشية على وسائل الشيعة، وديوان شعر، ورسالة في أجوبة مسائل الشيخ محمد الصحاف، ورسالة في حل أخبار الطينة، والمسائل الجبارية، ومناسك الحج، ومنظومة في أصول الفقه .

(٧) راجع: أعيان الشيعة ج٣٢٢:٦.

(٨) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، ج٦: ٣٢١.

(٩)الطهراني : طبقات أعلام الشيعة الكرام البررة ٢ / ق / ٤٩٤ .

(١٠)محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ٢ : ٢٦٤ .

(١١)القمي : الفوائد الرضوية ص ١٦٨ .

(١٢)راجع: محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ٢ : ٢٦٦ .

(١٣)يقول الشيخ الطهراني : أن كتاب الميراث من اللمعة الدمشقية هو الذي سماه بالتحفة الغروية ويقع الكتاب في عدة مجلدات فرغ من المجلد

الأول عـام ١٢٢٩ هـ ومـن المجلد الثاني عام ١٢٣٤ هـ ومن المجلـد الثالث عـام ١٢٣٦ هـ . ويقول السيد الأمين :أنه فرغ من كتاب الحج عام ١٢٤٠ هـ ووجد جزء منه فيشـرح كتـاب المواريث فرغ منه عام ١٢٤٥ هـ ولم يعلم أنه أتمه أملا (الأمين : أعيان الشيعة:٣٢٢:٦).

(١٤) ذكـره آل محبوبـة فـي ماضـي النجـف وحاضرها.

(١٥) ذكر هـذا الكتاب عمر كحالة في معجمه، كما ذكره آغا بزرك الطهراني في ذريعته واصفاً إياه بالتالي: (رسـالة عملية مرتبة على مطلبين؛ أولهما في أصول الديـن، وثانيهما في فروعه من الطهارة إلى آخر الصلاة) وأشـار الطهراني إلى أن الشـيخ خضر قد أهدى نسـخة مـن الكتاب إلـى الفاضل المولـى محمد الجاوجاني الذي كان في النجف في سنة ١٢٤٤ هـ . وقد فرغ من تأليفه في سنة ١٢٤٣ هـ الذريعة ج ١٣ ص ٢٥٨.

(١٦)الطهرانـي : الذريعة ج ٢٠ : ٣١٨ يذكر أغا بـزرك الطهراني فـي الذريعـة ج١ ص٧٤ :(٣٦٧ : أبـواب الجنان وبشـائر الرضوان فـي الزيارات وأعمال السـنة وسـائر الأحـراز والأدعيـة للفقيه الـورع الزاهد الشـيخ خضر بن شـلال آل خدام العفكاوي النجفي من تلاميذ الشـيخ الأكبر كاشف الغطـاء المتوفـي سـنة١٢٥٥ والمدفـون بمقبرته المشـهورة قال في آخر شـرحه لكتـاب الميراث من اللمعة الدمشقية الذي سـماه بالتحفة الغروية، أن أبواب الجنان هذا كتاب لم يسـمح الدهر بمثله وذكر أنه كتبه بالقلم الذي كتب به جملة من مجلدات شـرحه المذكور وهو القلم الذي أعطـاه إياه أمير المؤمنيـن عليه السلام فـي المنام فوجده بيـده بعد الانتباه وذلك من كراماته قدس الله سـره وكان فراغه من شرح الميراث سـنة ١٢٤٥ فيظهر أن تأليف أبواب الجنـان كان قبل هـذا التأريخ، توجد نسـخة منه ناقصـة الآخر في خزانـة كتب سـيدنا أبي محمد الحسـن صدر الدين(أوله الحمد لله اللطيف بعبادة حيـث أمرهم بعبادته إلخ) ذكـر فيه أنه لما بلغ في كتاب شـرح اللمعة الموسـوم بالتحفة الغروية إلى آخـر كتاب الحج كان المناسـب بيان زيـارة النبي وسـائر ألائمة عليهم السلام وبعض الأدعية والأعمال فكتب أبواب الجنان هذا مترتبًا على مقدمة في فضل مكة والمسجدين وسـائر المشاهد للائمة عليهم السلام ثم أبواب ثمانية تشـبيهًا للكتاب بالجنـان وترغيبا في اتخاذه جُنّة عن النيـران وكل باب مرتب على عدة فصول وذكر فهرس الأبواب والفصول في أوله هكذا:

(الباب الأول) في فضل الزيارات وآدابها في فصلين.

(البـاب الثاني) فيما يتعلـق بالمدينة في أحد عشر فصلًا.

(البـاب الثالث) في زيارة النجـف الكوفة في إثني عشر فصلًا.

(الباب الرابع) في زيارة الحائر الشـريف في إثني عشرفصلًا.

(الباب الخامس) في زيارة الكاظمية وسـامراء في أربعة فصول.

(البـاب السـادس) فـي الزيـارات الجماعة والاستغاثات في سبعة فصول .

(الباب السـابع) في أعمال الشـهور في إثني عشر فصلًا.

(الباب الثامن) في النوادر في ثلاثة فصول من أدعية اليوم والليلة، والتعقيبات وغيرها من أعمال النيـروز، وبعض الأدعية والأحـراز مما لا يختص بوقت خاص، وينقل عنه شيخنا العلامة النوري في تحية الزائر ما يتعلق بزيارة العسكريين عليهما السلام بعنوان كتاب المزار وتوجد نسـخة أخرى أيضا ناقصة في بيت السادة آل الخرسان في النجف والنسخة التامة توجد فـي الخزانة الرضوية، فرغ منه من شـعبان سنة ١٢٤٢) .

(١٧) ذهب السيد الأمين في الأعيان انه تجاوز السبعين، وكذلك الشيخ محبوبة.

(١٨)قال الحاج علي محمد علي دخيّل في كتابه : نجفيـات المطبـوع في بيـروت ١٤١٤ هـ في ص : ١٦٠ - ١٦١ : (وفي السـنوات الأخيرة فتحت الدولة شـارعاً جديداً في النجف الأشرف هدّم الكثير من مقابر العلماء وكان منها مقبرة الشـيخ خضر شلاّل فأُخرج مـن قبره طريًا لم تغيّر المائة والخمسـون سـنة منه شيئاً فشُيّع تشييعاً عظيماً اشترك فيه جلّ أهل النجـف وتنازعت عدّة عشـائر في أن تحظى بدفنه في مقابرها مدعية معه الرحم والقرابة).

وقال الشـيخ الطهراني فـي أعلامه: (وتحدّث أُسـتاذنا الحجّة المجاهد شيخ الشريعة الأصفهاني

المتوفى سنة ١٣٣٩هـ مرّةً فقال : كنت في أيّام دراستي ضعيف الحال وإذا احتجتُ إلى مراجعة كتاب لم أتمكن من شرائه أذهب إلى شيخنا الأستاذ الفقيه الأكبر الشيخ محمد حسين الكاظمي صاحب :البغية فأستعيره منه . فاتفق مرّة أن احتجت إلى بعض الكتب وكان الوقت بعد الظهر وفي أيّام الصيف فقصدت دار الأستاذ فلمّا مررت على مقبرة الشيخ خضر فكّرت في الأمر وخشيت أن يكون الأستاذ نائماً فوقفت عند القبر وقرأت سورة ياسين رجاءَ أن يفوت الوقت قليلاً ولئلاّ يكون رواحي في ذلك الوقت مزعجاً للشيخ . ولمّا انتهيت منها ذهبت إلى دار الأستاذ فطرقت الباب ولم يجبني أحد فتأخّرت قليلاً ثمّ طرقتها من جديد وإذا بالشيخ الأستاذ نفسه وبيده الكتاب الذي أنا طالبه فاستغربت الحالة وقلت للشيخ : مَن أعلمك أنّي على الباب ؟ ومَن قال لك إنّي أُريد هذا الكتاب ؟ فقال : كنت نائماً فرأيت الشيخ خضر العفكاوي في عالم الرؤيا فقال لي : سيجيئك فلان وهو بحاجة إلى الكتاب الكذائي فقم وهيئه له . فانتبهت وذهبت إلى المكتبة فأحضرت الكتاب . ولمّا طرقت الباب في المرّة الأُولى كنتُ أُفتّش عنه بين الكتب . فذهلت ونقلت له ما كان من أمري مع الشيخ أعلى الله مقامه) . ثم يقول الشيخ الطهراني:(ولا تزال مقبرته مزاراً مشهوراً يقصد للتبرّك وقراءَة الفاتحة وهو مجرّب النذر فقراءَة الفاتحة له والإضاءَة على قبره مجرّبة لقضاء الحوائج . ومَن تعسّر عليه أمرٌ قصده فنذر له شيئاً من قراءَة القرآن أو غيره وسرعان ما يسهل أمره وتقضى حاجته).

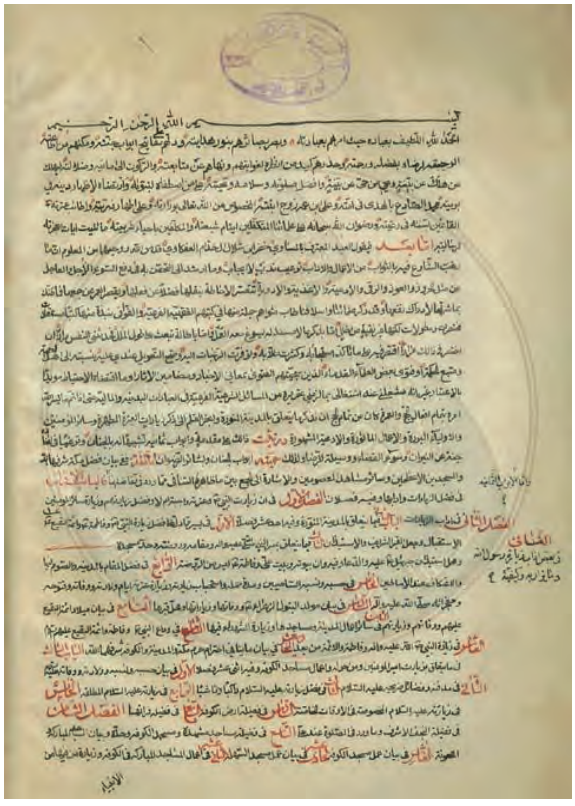

صورة من كتاب الشيخ خضر (أبواب الجنان وبشائر الرضوان المخطوط) موجود ضمن مخطوطات مكتبة الأمام الحكيم العامة

المُسيب بن نجبة الفزاري

الفارس الذي انتصر على نفسه ولم تقهره الأحداث

أ.د.صلاح الفرطوسي •
كلية التربية الأساس/جامعة الكوفة

ينابيع

من الشخصيات التي لم ينصفها تاريخ الكوفة الثائر في القرن الأول: المسيب بن نجبة بن ربيعة بن غوث بن هلال بن شمخ بن فزارة، وقيل: نجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف[١].

ذكر له ابن حبان ولدًا اسمه سبرة، روى عن ابن عباس، وعنه ابنه حنظلة[٢]. وروي أن له بنتًا اسمها جمانة تزوجها عبد الله بن جعفر رضوان الله عليه، وله منها عون الأصغر[٣]. وذكر ابن سعد أنها زوجة حذيفة بن اليمان ، ولعل عبد الله تزوجها من بعد. وله أخوة لم أقف لهم على دور يذكر باستثناء ابن أخيه الحكم بن مروان الذي استشهد معه يوم عين الوردة.

وهو من قادة الفتح، فقد التحق بجيش خالد بن الوليد حين اتجه لفتح العراق زمن الخليفة أبي بكر، وكان على شطر خيله، ثم كان معه حين توجه إلى الشام، وشهد حصار دمشق[٤]، ويبدو أنه عاد فالتحق بجيش سعد بن أبي وقاص مع النجدة التي وصلته من بلاد الشام، فشهد القادسية مع من شهدها[٥]، ومن سباياه حمران مولى الخليفة عثمان[٦]

كان من سادة الكوفة ووجهائها، ومن خيار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام المقربين، وقادة جيشه، وممن رووا عنه[٧]، وذكر أنه نفر لنجدته إلى ذي قار، فوصل رفقة رؤساء النافرين زيد بن صوحان والأشتر وعدي بن حاتم ويزيد بن قيس وغيرهم[٨]. ونقل السيد الخوئي عن مناقب ابن شهر آشوب أن الإمام عليه السلام استقبلهم على فرسخ، وقال: (مرحبًا بكم أهل الكوفة وفئة الإسلام ومركز الدين)[٩]. وشهد مشاهده بحسب ابن سعد وغيره[١٠]. وقال ابن عساكر: إن المسيب (صحب علي بن أبي طالب وسمع منه)[١١] ، وشهد مشاهده[١٢]، وهو من رؤوس شيعة الكوفة[١٣].

وبعد مؤامرة التحكيم وجه معاوية سنة تسع وثلاثين للهجرة عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء،

وأمره أن يقتل من امتنع عن عطائه وصدقة ماله، ثم يأتي مكة والمدينة، ويفعل بهما مثل ذلك؛ فلما علم بذلك أمير المؤمنين عليه السلام وجّه إليه المسيب، ويوم اختاره قال له: (يا مسيب إنك ممن أثق بصلاحه وبأسه ونصيحته، فتوجه إلى هؤلاء القوم وأثر فيهم، وإن كانوا قومك. فقال له المسيب: يا أمير المؤمنين إن سعادتي أن كنت من ثقاتك). فسار حتى لحق بابن مسعدة بتيماء، فقاتله قتالاً شديدًا، وحمل عليه فضربه ثلاث ضربات على رأسه، فدخل هو وعامة من معه إلى حصنها، وهرب الباقون نحو الشام، فحصرهم ثلاثة أيام، ثم ألقى الحطب على باب الحصن وأوقد النار فيه حتى احترق، فلما أشرفوا على الهلاك، ناداه ابن مسعدة ومن معه من القلعة، وقالوا له: يا مسيب قومك، فرق لهم، وأمر بإطفاء النار وكره هلاكهم، واستطاعوا الهرب ليلًا إلى الشام؛ فقال له عبد الرحمن بن شبيب: (داهنت والله يا مسيب في أمرهم، وغششت أمير المؤمنين[١٤]؛ وقدم على علي فقال له علي: يا مسيب كنت من نصّاحي، ثم فعلت ما فعلت فحبسه أيامًا، ثم أطلقه وولاّه قبض صدقة الكوفة)، ولاشك في أنه عليه السلام قد عفا عنه لكبير منزلته عنده، ولو لم يكن من ثقاته لما ولاّه صدقات المصر.

وبقي المسيب مخلصًا للبيت العلوي الشريف، فقد ذكره الشيخ الطوسي مع أصحاب أمير المؤمنين، وذكره المزي عن الترمذي مع من روى عنه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله[١٥] وهو من أصحاب الحسن عليه السلام وممن روى عنه أيضًا[١٦]، ويبدو من رواية أنه وسليمان بن الصرد لم يكونا راضيين عن تنازل الحسن عليه السلام لمعاوية[١٧]، وحين تجهّز عليه السلام للعودة إلى المدينة دخل عليه مودّعًا بحضور أبي عبد الله الحسين عليه السلام رفقة ظبيان بن عمارة التميمي أحد أصحاب أمير المؤمنين[١٨]. ولم ينقطع عنه حين عاد عليه السلام إلى المدينة[١٩]

ونقل التفريشي عن الكشي ما رواه عن الفضل بن شاذان من أن المسيب من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم. وعده ابن حبان من مشاهير علماء الكوفة، ومن جلتهم[٢٠]. روى أيضًا عن حذيفة بن اليمان، وهو زوج ابنته، وسلمان الفارسي[٢١]،وعنه أبو إسحاق السبيعي، وعبيد المكتب، وأبو إدريس المرهبي، وذكر أن له إدراك، وليست له صحبة[٢٢].

وبعد امتناع الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد، كان سليمان بن الصرد، والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وغيرهم من الذين كتبوا إليه سنة ستين للهجرة يطلبون منه القدوم إلى الكوفة[٢٣]؛ إلا أن المسيب وغالبية من كتب إليه عليه السلام لم يلتحق به. وتركوا رسوله مسلم بن عقيل رضوان الله عليه وحده فريسة لابن زياد بعد أن بايعه ثمانية عشر ألفًا من أهل الكوفة. ولك أن تدرك مدى الخوف والرعب الذي بثه ابن زياد في نفوس الخاصّة والعامة من أهل الكوفة. ولعلك واجد لهم بعض العذر بسبب الدهشة التي ركبتهم، والخوف الذي عقد ألسنتهم وأيديهم واستولى عليهم بعد الخطة الجهنمية التي اتبعها ابن زياد في تفريق شمل أنصار مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وقتلهما تلك القتلة المروعة[٢٤].

وما إن أفاق شيعة الكوفة من دهشتهم حتى استولت الخيبة والمهانة والندم على كثير منهم بعد مصرع الحسين عليه السلام، وبدأت نار تلك الحادثة المروعة تستعر في

نفوسهم وتؤرق لياليهم، فهرعوا سنة إحدى وستين إلى خمسة من رؤوسهم بالكوفة، إلى سليمان بن الصرد، وهو صحابي من خيار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، أمّره بمعركة صفين على رجّالة ميمنته[٢٥]، وإلى(المسيب بن نجبة الفزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم)[٢٦]، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وال التيمي،ورفاعة بن شداد البجَلي، وهو من أصحاب الإمام عليه السلام أيضًا، أمّره بمعركة صفين على بجيلة[٢٧]؛ واجتمعت وجوههم في منزل سليمان؛ فبدأ المسيب الجمع بكلام مؤثر، بين فيه ندمه، وتحدث عن خذلانهم الحسين عليه السلام بعد أن سألهم سرًّا وعلانية، حتى استشهد عليه السلام إلى جانبهم، وقال:(فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا؛ ولا جادلنا عنه بألسنتنا؛ ولا قوّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا إلى ربِّنا وعند لقاء نبيِّنا صلى الله عليه وآله وقد قُتل فينا ولده وحبيبه، وذريته ونَسله..)[٢٨]، وطلب منهم تولية رجل عليهم، فارتضوه واليًا عليهم، إلا أنهم قدَّموا سليمان بن الصرد لمكانته وصحبته، وكانوا أكثر من مائة رجل[٢٩]. وتتبين من خطبهم أن ثورتهم اتخذت من الثأر شعارًا انعكس على (سلوك زعمائها المثالي، وشخصياتهم المرتفعة التي زهدت بالمناصب ورفضت المساومات)، فالثأر أو الشهادة هو باب التوبة من الجرم الذي ارتكب، لذا اصطلح على ثورتهم من بعد بـ (ثورة التوابين)[٣٠]

بدأت الدعوة للثأر من قتلته سنة إحدى وستين تأخذ مداها، وتبرع الموسرون منهم بأموالهم لتمويل الضعفاء بما يحتاجون إليه من مؤونة وسلاح[٣١]، واتسم عملهم في بدايته بالسريّة خوفًا من فشل خطتهم[٣٢].

وبعد هلاك يزيد انحاز جمهور كبير من الشيعة إليهم، وكاتب سليمان وجوههم بالبصرة والمدائن وغيرهما، ثم انتقلت إلى طور الإعلان، واستقرَّ قرار سليمان على الخروج إلى عبيد الله بن زياد رأس العدوان، وكان مروان بن الحكم قد أرسل ابن زياد في آلاف مؤلفة من أهل الشام لاسترجاع العراق، ولم يكن من رأي سليمان التعرض لقتلة الحسين عليه السلام من الكوفيين لأنهم من رؤسائها، وقد ينقلبون عليهم مع جلاوزتهم. ومن يتبعهم من قبائلهم فلا يقدرون عليهم فتفشل خطتهم[٣٣]، لذا اختاروا مقاتلة عبيد الله بن زياد رأس حربة الأمويين الذي كان وراء استشهاد أبي عبد الله وأهل بيته عليهم السلام[٣٤].

وفي سنة أربع وستين بايعت الكوفة عبد الله بن الزبير فولّى عليها عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري، وأرسل معه إبراهيم بن محمد بن طلحة لجباية الخراج، وسبقهما إليها المختار بن أبي عبيد الثقفي[٣٥]؛ وتحدث الناس بالكوفة عن قرب خروج سليمان بن الصرد وجماعته؛ فخرج عبد الله بن يزيد وخطب بالناس، وقال: إنه لم يقاتل الحسين عليه السلام ولعن قاتليه، وذكر مدى تأثره بمصرعه، ثم أشار إلى أنه دُلَّ على رؤوس الشيعة، ولكنه لم يتعرض لهم، وطلب منهم الخروج إلى عبيد الله بن زياد قاتل الحسين وعدوهم المشترك، الذي قتل منهم من قتل، فلم يعجب كلام ابن يزيد إبراهيم بن محمد بن طلحة، وعدَّ حديثه مداهنة وموادعة، وهدد وتوعد، فوثب المسيب وقطع حديث إبراهيم ثم قال: (يابن الناكثين، أنت تهددنا بسيفك

وغشمك! أنت والله أذل من ذلك؛ إنا لا نلومك على بغضنا، وقد قتلنا أباك وجدك، والله إني لأرجو ألا يخرجك الله من بين ظهراني أهل هذا المصر حتى يثلثوا بك جدك وأباك)[٣٦]؛ ولم يرتدع إبراهيم، فرُدَّ عليه المسيب، وطُلب منه الامتناع عن التدخل فيما بينهم وبين أميرهم، لأنه حينما أرسله ابن الزبير إلى الكوفة أرسله لجباية الخراج.[٣٧] وبدأ أصحاب سليمان يتجهزون بالسلاح ظاهرين. وكان للمختار رأي آخر إذ كان ينوي الخروج بالكوفة.

في سنة خمس وستين قرر سليمان الخروج، وبايعه ستة عشر ألفًا، إلا أنه حينما عسكر بالنخيلة لم يلتحق به إلا نفر منهم، فأرسل حكيم بن منقذ الكندي، والوليد بن عصير الكناني إلى الكوفة فتردد صدى صوتيهما في أرجائها بـ (يا لثارات الحسين)[٣٨]؛ فكانت المرة الأولى التي ينادى فيها بهذا الشعار، فالتحق بالمعسكر من التحق في مستهل هلال شهر ربيع الآخر فأصبح عددهم أربعة آلاف مقاتل يزيدون ولا ينقصون؛ وبقي سليمان في معسكره ثلاثة أيام بانتظار من يلتحق به؛ فقام إليه المسيب وقال: (رحمك الله إنه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلاّ من أخرجته إليك النيّة، فلا تنتظر أحدًا، وجدّ في أمرك). فسَاروا نحو قبر أبي عبد الله فلمّا صبَّحوه عليه السلام أقاموا عنده يومًا وليلة يصلون عليه ويبكون ويتضرَّعون، ثم أخذوا الطريق إلى الأنبار، وعند وصولهم إلى القيارة استلموا رسالة من والي الكوفة ينصحهم فيها بالعودة. وعلى الرغم من عقلانية كلماته فإنهم قدَّروا أن من دعاهم اليوم إذا انتصر سيدعوهم في الغد للجهاد مع ابن الزبير؛ فكتب إليه سليمان رسالة شكره فيها وبين له عزمهم على مواصلة طريقهم[٣٩].

ولما وصلوا إلى قرقيسيا امتنع أهلُها عن فتح باب حصنهم، فأرسل سليمان المسيب ليتحدث مع زفر بن الحارث الكلابي الذي تربطه به صلة قرابة وكان على الحصن، وهو من شخصيات البصرة التي ناصرت أصحاب الجمل، وبعد احتلال يزيد مقعده بقعر الجحيم انشقَّ على بني مروان وبايع عبد الله بن الزبير، فلما أتى باب الحصن، ونادى عليه قال زفر لولده: ألا تعرف المسيب (هذا فارس مضر الحمراء كلها، وإذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم، وهو من بعد رجل ناسك له دين، فأذن له، وأجلسه بجانبه، وأخرج لهم ما يحتاجون إليه، وأمر للمسيب بألف درهم وفرس)[٤٠]، فاعتذر عن أخذ المال وقبل الفرس، وخرج زفر في اليوم الثاني لتشييعهم،وطلب منهم النزول بحصنة أو العسكرة بجانبه، وحين يئس طلب منهم الإسراع إلى عين الوردة؛ فأثنى الناس عليه بما يستحقه[٤١]. وأقبل أهل الشام إلى عين الوردة، وسرح لهم ابن زياد اثني عشر ألف مقاتل بقيادة الحصين بن نمير[٤٢].

رتب سليمان مقاتليه بحسب ما أراد المسيب، فكان عبد الله بن سعد بن نفيل على ميمنته والمسيب بن نجبة على ميسرته ووقف هو بالقلب، ووقع القتال، وقتلوا من جند الشام مقتلة عظيمة، فلما رأى الحصين صبرهم وبسالتهم بعث الرجال ترميهم بالسهام فاستشهد سليمان، وأخذ الراية المسيب؛ فشد بها فقاتل ساعة ثم رجع، وفعل هذا مرارًا. وروي عن أحد مواليه أنه قال: (والله ما رأيت أشجع منه إنسانًا قطّ، ولا من العصابة التي كان

فيهم، لقد رأيته يوم عين الوردة يقاتل قتالاً شديدًا ما ظننت أن رجلاً واحدًا يقدر أن يبلي مثل ما أبلى، ولا ينكأ في عدوه مثل ما نكأ)[٤٣]. إلى أن استشهد رحمه الله[٤٤].

فبعث الحصين برأسه إلى عبيد الله بن زياد، فبعث به إلى عبد الملك بن مروان، فنصبه بدمشق[٤٥]، وصعد المنبر وقال: (أما بعد فإن الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق مُلقح فتنة، رأس ضلالة، سليمان بن صُرد، ألا وإن السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريف، ألا وقد قتل الله من رؤوسهم رأسين عظيمين ضالَّين مضلِّين: عبد الله بن سعد أخا الأزد، وعبد الله بن وال أخا بكر، فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفاع ولا امتناع)[٤٦].

كان استشهاد سليمان ومن معه في شهر ربيع الأخر من سنة خمس وستين[٤٧]، ووهم بن حبان في قوله: إنه قتل في شهر رمضان سنة سبع وستين[٤٨]..

---

(١)جمهرة أنساب العرب ٢٥٨-٢٥٩، طبقات ٢١٦/٦، الإصابة ٢٣٤/٦ برقم ٨٤٤٢.
(٣)مقاتل الطالبيين ١٢٢.
(٤)طبقات ابن سعد ٤٨٢/٨.
(٥)تاريخ مدينة دمشق ١٩٤/٥٨ برقم ٧٤٤٠.
(٦)المصدر السابق.
(٧)المعارف ٤٣٥، الإصابة ٢٣٤/٦ برقم ٨٤٤٢، تاريخ دمشق ١٩٤/٥٨ برقم ٧٤٠٠.
الغارات ٤٨٧/٢، ٥٧١/٢، الإصابة ٢٣٤/٦ برقم ٨٤٤٢، تهذيب التهذيب ١٤٠/١١٠ برقم ٢٩٥.
(٩)تاريخ الطبري ٢٩/٣.
(١٠)معجم رجال الحديث ١٧٩/١٩ برقم ١٢٩٣.
(١١)طبقات ٢١٦/٦،
(١٢)تاريخ مدينة دمشق ١٩٣/٥٨ برقم ٧٤٤٠.
(١٣)المصدر السابق.
(١٤)تاريخ الطبري ٣٩٠/٣.
(١٥) تاريخ الطبري ١٥٠/٣.
(١٦)أمالي الشيخ الطوسي ١٢٥، تهذيب الكمال ٥٨٩/٢٧ برقم ٥٩٧٢، أمالي الصدوق ٣٢٤، دلائل الإمامة للطبري الشيعي ١٩٥.
(١٧) رجال الطوسي ٤/٨١، ٤/٩٦، تاريخ دمشق ١٩٤/٥٨ برقم ٧٤٤٠.
(١٨) البحار ٥٧/٤٤.
(١٩) أعيان الشيعة ٤٠٤/٧.
(٢٠)الأخبار الطوال ٢٢٠.
(٢١)مشاهير علماء الأمصار ١٧٣ برقم ٨١٩.
(٢٢)البحار ٣٨٦/٢٢.
(٢٣)التاريخ الكبير ٤٠٧/٧ برقم ١٧٨٣، الثقات ٤٣٧/٥، الإصابة ٢٣٤/٦ برقم ٨٤٤٢، تهذيب التهذيب ١٤٠/١٠ برقم ٢٩٥.
(٢٤) مقاتل الطالبيين ٩٩.
(٢٥) تاريخ الطبري ٣٩٠/٣.
(٢٦)وقعة صفين ٢٠٥، ٣١٣، ٤٠٠.
(٢٧)تاريخ الطبري ٣٩٠/٣-٣٩١.
(٢٨)وقعة صفين ٢٠٥.
(٢٩)مروج الذهب ٩٣/٣.
(٣٠) تاريخ الطبري ٣٩١/٣.
(٣١)التوابون ٨.
(٣٢) تاريخ الطبري ٣٩٤/٣.
(٣٣)المصدر السابق .
(٣٤) المصدر السابق ٣٩٤/٣، ٤٠٩.
(٣٥)تاريخ اليعقوبي ٢٥٧/٢.
(٣٦) تاريخ الطبري ٣٩٤.
(٣٧) المصدر السابق ٣٩٦.
(٣٨)تاريخ الطبري ٣/ ٣٩٧.
(٣٩)المصدر السابق ٤٠٨/٣.
(٤٠)المصدر السابق ٤١٢/٣-٤١٣.
(٤٠)المصدر السابق ٤١٣/٣.
(٤٢) المصدر السابق ٤١٥/٣.
(٤٣) المصدر السبق ٤١٧/٣.
(٤٤)المصدر السابق.
(٤٥) مروج الذهب ٩٤/٣-٩٦.
(٤٦)في الطبقات ٢١٦/٦ أرسله إلى مروان بن الحكم.
(٤٧)تاريخ الطبري ٤٢٠/٣، الغارات ٧٧٤/٢.
(٤٨)تاريخ الطبري ٤٢٣/٣.

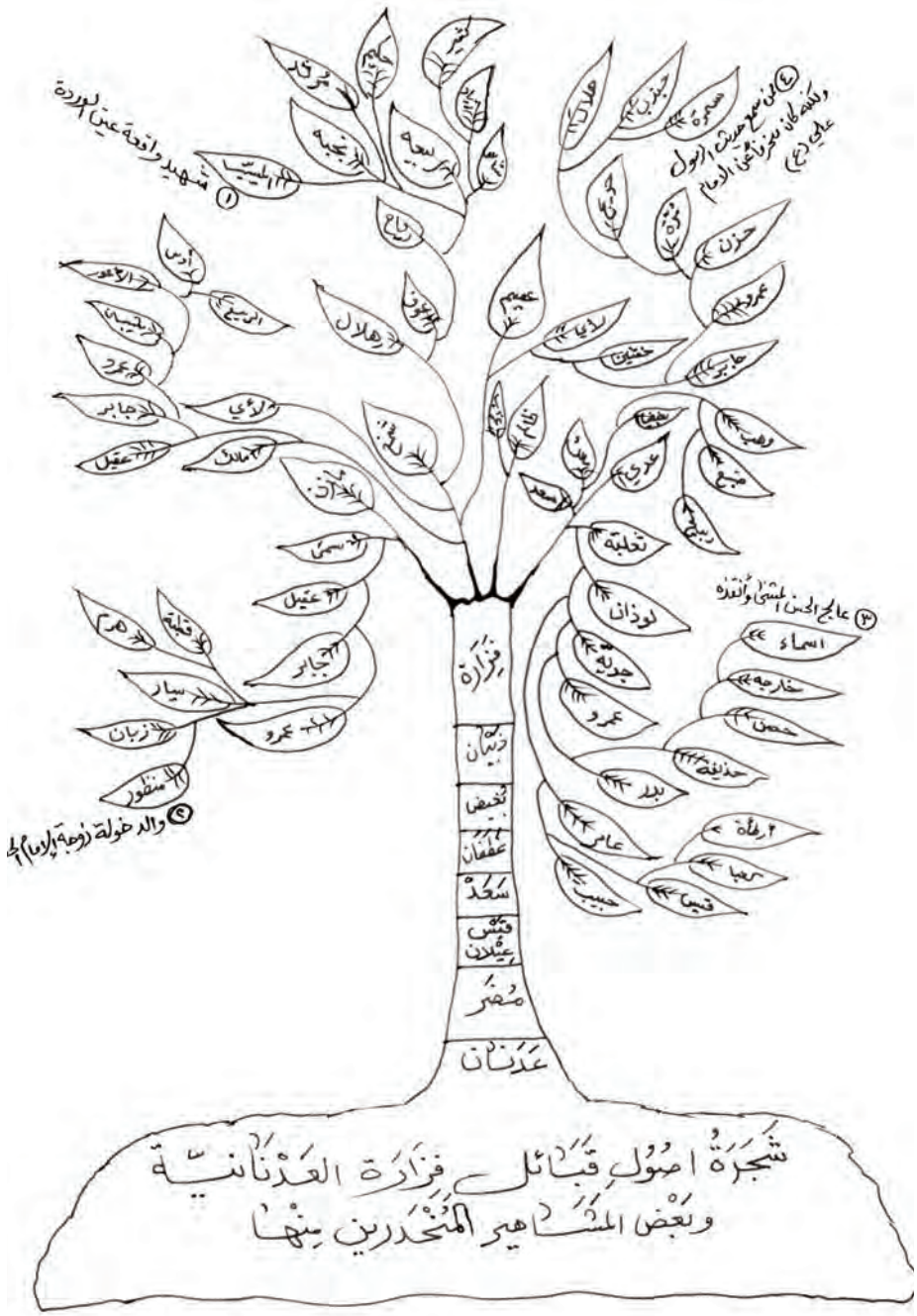
① شهيد واقعة عين الوردة
② ابن سمح حريث الرسول والله كان يحزن لحزن الامام علي (ع)
③ عالج الحسن المثنى وأنقذه
④ والد حولة (زوجة إدام)
فزارة
ذبيان
بغيض
عفقان
سعد
قيس عيلان
مضر
عدنان
شجرة أصول قبائل فزارة العدنانية وبعض المشاهير المنحدرين منها

السيد نعمة اللّه الجزائري
(رحمه اللّه)
١٠٥٠-١١١٢هـ

م. مسلم عقيل الشاوي •
البصرة

ينابيع

بين عذوبة مياهها ونقاوة هوائها أطل من أرض الجزائر من البصرة، في إحدى قراها التي تدعى الصباغية في شط المدك، علم من أعلامها وحصيف من حصفائها فكان سليلًا من السلالة العلوية ونورًا من أنوارهم النعمانية وتحفة من نوادر أخبارهم السنيّة، ذلك السيد نعمة الله بن السيد عبد الله بن السيد محمد، ينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

بدأ حياته بين العلم والعلماء في بلدة الماء وقصب البردي، في ذلك الهور الكبير المملوء حبًا وعطفًا وتسامحًا، قبل ملئه بالنخيل والأسماك والطيور والمناظر الخلابة.

فبعد مرور الخامسة من عمره الشريف، وبينما كان مشغوفًا باللهو واللعب مع صديق إذ أقبل والده فقال له: يا بني امضِ معي إلى المعلم وتعلم الخط والكتابة حتى تبلغ درجة الأعلام، فكان إحساس أبيه بمرتبته العلمية منذ أوائل سنّه، لكنه بكى من هذا الكلام وفضل اللعب على الجَدّ، ولعمري لعل بكاءه كان لحجم المسؤولية وثقلها ومصائب الدنيا وأهوالها.

إلا أن تعلمه أمر لابد منه، فاستسلم للواقع وشق طريقه نحو القراءة لدى المكتب، وأفرغ جل وقته من الجد والجهد في تحصيل العلم. صار في الخامسة وستة أشهر. ختم القرآن الكريم وقرأ من القصائد والأشعار.

دراسته:

بدأ منذ سنيه الأولى في تحصيل العلم في بلدته الجزائر والتي تدعى حاليًا قضاء (المُدَيْنَه)، وكان بدايته تعلم الخط والكتابة لدى المكتب وحفظ القرآن الكريم، وما إن فرغ منه حتى قرأ (الأمثلة) و(البصرويه) ثم قرأ (الزنجاني) عند سيد من أقاربهم، ثم قصد قرية الكارون وأخذ (الكافية) عند رجل من أفاضلها، أما حفظه لصيغ الصرف وقواعده فهو يقول: كنت يومًا في المسجد (مسجد الكارون) فدخل علينا رجل أبيض الثياب عليه عمامة كبيرة كأنها قبة بيضاء والناس يرونه أنه رجل عالم، فتقدمت إليه وسألته بصيغة من صيغ الصرف، فلم يرد

الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب الأنوار النعمانية في معرفة أحوال النشأة الإنسانية ، نسخها المؤلف في عاشر جمادي الاخرة سنة ١٠٨٩هـ في شوشتر

جوابًا فتلجلج، فقلت له إذا كنت لاتعرف هذه الصيغة فكيف وضعت على رأسك هذه العمامة؟! فضحك الحاضرون وقام الرجل من ساعته، وهذا الذي شجعني على حفظ صيغ الصرف وقواعده، بعدها مضى إلى نهر عنتر للقراءة على يد أحد علمائها فأخوه السيد نجم الدين يقرأ عنده لكن وحين وصوله لقي أخاه راجعاً، فرجع معه فقصد شط بني أسد. يقول﵀ طلبت من أبي أن أذهب إلى الحويزة لطلب العلم، فذهب وهناك درس عند العالم الفاضل الشيخ حسين سبتي الحويزي، وقد اشتد معاشه فكان يطالع على ضوء القمر وفي الليالي المظلمة كان يعتمد على حفظه لمتون الكتب كالكافيه والشافية وألفية ابن ملك وغيرها، فكان يقرأها على قلبه، وهكذا كان حاله في الانتقال من مكان لآخر لأجل طلب العلم، حتى إن الكتاب لا يفارقه في الأسفار على راحلته.

أسفاره ومعاشه:

بدأ ينتقل بين قرى بلدته المعمورة طلبًا للعلم والتزود من زاده، ثم قصد الحويزة لطلب العلم، فعانى ما عانى، وعن مأكله كان يقول: كنا في بيت رجل من أكابرها وفي أكثر الأوقات كنا نبقى في المدرسة لأجل المباحثة إلى وقت الظهر، فإذا مضينا إلى منزل الرجل وجدناهم فرغوا من الغذاءفنبقى إلى الليل كان صاحبي يلقط قشور البطيخ والرقي من الأرض ويأكلها بترابها، وكان يستتر عني بهذا حياء وخجلاً (وكنت أنا أفعل مثل فعله) فأتيت يومًا وطلبته فرأيته قد جمع القشور وجلس تحت الباب يأكلها بترابها فلما رأيته ضحكت فقال: فإذا كان هذا حالنا فنجمع هذه القشور كل يوم ونغسلها بالماء ونأكلها، وبقي مدة من الزمن على هذا الحال حتى عاد إلى الجزائر ومنها إلى البصرة في أيام سلطانها حسين باشا، فشيراز وكان عمره آنذاك إحدى عشر سنة، فما مضت إلا أيام قلائل فقال له أخو السيد نجم الدين علينا أن نرجع إلى الجزائر لأن المعاش قد ضاق علينا، وكان السيد نعمة الله يكتب بالأجرة ويقول أكتب أربعة دروس للقراءة وأحشيها وأصححها وحدي، وكان حالي في وقت الصيف الحار أن طلبة العلم يصعدون إلى سطح المدرسة وأنا أغلق الحجرة وأشرع في المطالعة والحواشي وتصحيح الدرس.. وكان لي درس أكتب حواشيه بعد صلاة الصبح في وقت الشتاء، وكان الدم يجري من يدي من شدة البرد، وكنت لا أشعر به، بقي في شيراز تسع سنين وقد أصابه من الجوع والتعب ما لا يعلم به إلا الله يقول: يثبت مرة ليومين ما وقع بيدي إلا الماء ورأيت الدنيا تدور برأسي فأتيت إلى قبة السيد أحمد بن الإمام موسى الكاظم﵇ وقلت له: أنا ضيفك فكنت واقفًا(فإذا رجل سيد أعطاني قوت تلك الليلة من غير طلب فحمدت الله وشكرته)، ووصل به الحال أن لا يملك ثمنًا حتى لدهن سراج، فكان يجلس في غرفة متعددة الأبواب فأينما دار القمر دار معه حتى كان له درسٌ يقرأه على ضوء سراج المسجد آخر الليل، بعدها كثرت أسفاره بعد عودته إلى دياره الجزائر والتي فيها راح لقرية نهر صالح ليدرس عند أحد أفاضلها، بعدها ظل ينتقل بين شيراز وأصفهان والتي ضاق فيهم أمور المعاش، فكانوا لا يملكون إلا القليل من الثياب ويأكلون الطعام الثقيل، وكذلك المالحة لأجل أن يشربوا الماء إلى أن من الله عليه وتعرّف إلى العلامة المجلسي

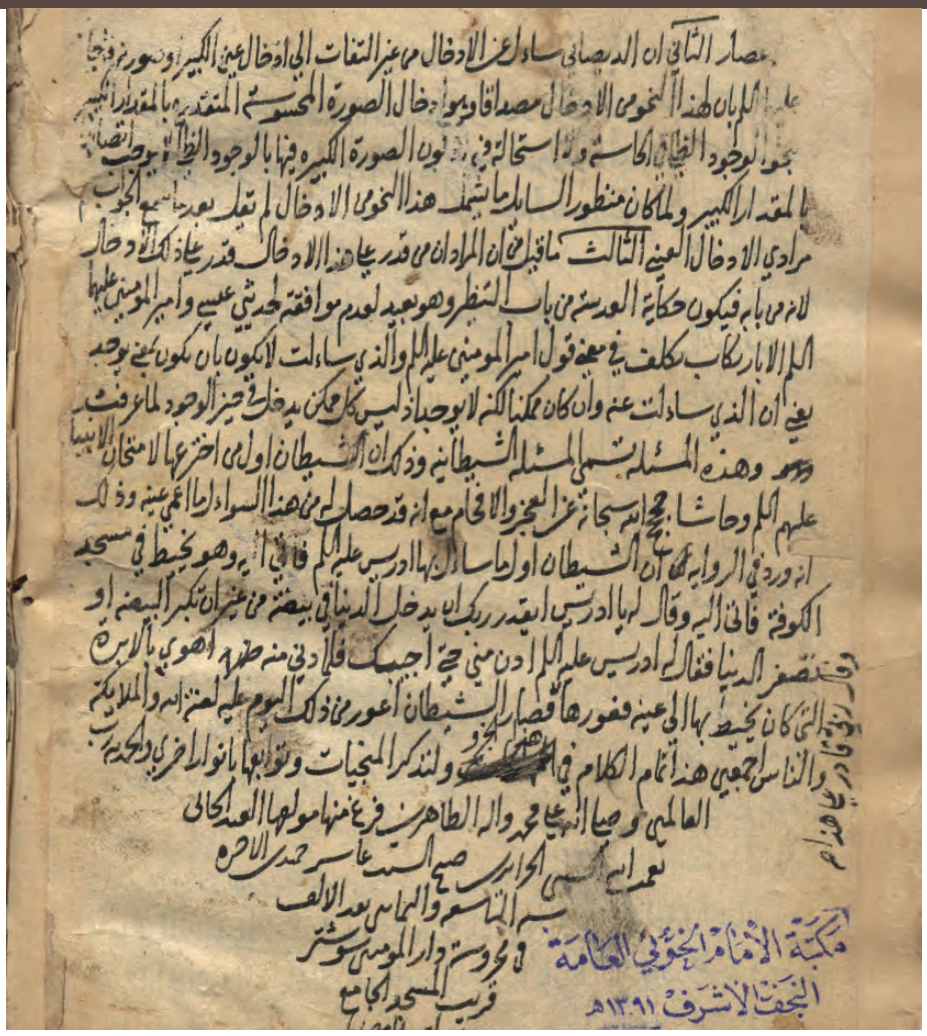

الصفحة الأخيرة من كتاب الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري

فبقي في منزله أربعة سنوات، ثم إنه ضعف بصره فأتى لزيارة المراقد المقدسة في سر من رأى (سامراء) والكاظمين وكربلاء والنجف، ومنها عاد إلى الصباغية في نهر المدك، وهكذا عندما عصى أفراسياب الحكومة العثمانية، وانتشر الجيش العثماني في الجزائر غادرها إلى الحويزة، وبعدها كاتبه أهل تستر فاستخار الله فخاره، فأقام فيها وكتب إليه القضاء ومنصب شيخ الإسلام والتدريس ونيابة الصدر وإمامة الجمعة وتولية المسجد الجامع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر المناصب الشرعية وتوفي ليلة الجمعة ٢٣ شوال سنة (١١١٢هجري)، وكان قد توجه من تستر إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام، ثم رجع حتى وصل إلى جايدر حالياً بلدختر من أعمال (فيلي) فتوفى بها ودفن هناك وبنيت عليه قبة فوقفوا له

أوقافًا وقبره إلى الآن معروف هناك يزار ويتبرك به.

أساتذته ومن روى عنهم:

لقد قرأ الجزائري على جملة من الأعلام منهم من كان في بلدته كالشيخ قاضي المسلمين يوسف بن محمد بن سليمان الجزائري والعالم النحوي محمد بن سليمان الجزائري والفقيه المحدث الثقة فرج الله بن سليمان الجزائري وغيرهم، ثم انتقل إلى إيران ودرس عند أفاضل علمائها كالشيخ حسن سبتي والعلم المحقق الشاه أبو الولي ابن الشاه تقي الدين محمد الشيرازي والفيلسوف إبراهيم صدر الدين إبراهيم الشيرازي وغيرهم، الذين أخذ منهم المعقول، أما المنقول فقد أخذه عن المولى المحدث الشيخ صالح بن عبد الكريم البحريني، أما في أصبهان عند المولى المحدث الميرزا رفيع الدين محمد النائيني والمولى محمد باقر بن محمد مؤمن السبزواري، ثم اختص بالمولى الثقة الأوحد البارع في التحرير والتقرير محمد باقر بن محمد تقي المجلسي قدس سره وأحله محل الولد البار من الوالد المشفق.

أما من روى عنهم فهم العلامة المجلسي والخونساري والشيخ حسين بن محي الدين بن عبد اللطيف الجامعي العاملي وهاشم بن عبد الحسين بن عبد الرؤف الإحسائي عن السيد نور الدين أخي صاحب المدارك ومنهم الميرزا محمد بن شرف الدين علي بن نعمة الله الجزائري عن صاحب الحاوي ومنهم جعفر بن كمال الدين البحراني عن علي بن نصر الله الجزائري ومنهم الشيخ المحدث علي بن جمعة العروسي الحويزي ومنهم السيد شرف الدين علي بن حجة الله الحسني الشوستاني الغروي وآخرهم الأمير فيض الله بن غياث الدين محمد الطباطبائي الراوي عن السيد حسين بن حيدر الكركي.

تلاميذه ومن روي عنه:

تتلمذ على يد أجلّ العلماء وكبار المجتهدين، وروى عنه جملة من أعاظم الفضلاء المتبحرين، ومنهم ولده السيد نور الدين والمولى أبو الحسن الشريف الفتوني النباطي العاملي والشيخ بهاء الدين محمد الجزائري والشيخ عوض البصري الحويزي والشيخ فتح الله الكعبي والمير محمد هادي بن مير السيد محمد المرعشي الشوشتري والسيد نجم الدين بن السيد محمد بن السيد عبد الرضا الجزائري وغيرهم من العلماء.

مكتبته ومؤلفاته:

لقد كان له اهتمام بالغ بكتب الحديث وشرح كثيرًا منها وربما كرر شرح بعضها فكان يقول حفيده السيد عبد الله بن نور الدين، وكان من مبدأ نشوئه إلى آخر عمره مولعًا بطلب العلم ونشره وترويجه، كدودًا لا يفتر عنه ولا يميل.

وكان في أسفاره يستصحب ما يقدر عليه من الكتب فإذا نزلت القافلة وضعها واشتغل بها إلى وقت الرحيل، وربما كان يأخذ الكتاب بيده يطالع فيه وهو راكب في المسير.

فجمع من نوادر الكتب وأثمن المخطوطات، فكانت مصدرًا مهمًا بالنسبة لأهل العلم والتأليف وهذا ما نلاحظه على مؤلفاته التي جمع فيها الشيء الكثير من نوادر الأخبار وجواهر الكلام والتي طبع بعضها وبقي الآخر مخطوطًا إلى الآن ومؤلفات منها:

١ـ عقود المرجان في تفسير القرآن.
٢ـ غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام.
٣ـ مقصود الأنام في شرح تهذيب الأحكام.
٤ـ كشف الأسرار في شرح الاستبصار.
٥ـ أنس الوحيد في شرح التوحيد.
٦ـ النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين.
٧ـ الأنوار النعمانية.
٨ـ زهر الربيع وغيرها.

بعض ما قيل في السيد نعمة الله الجزائري طاب رمسه:

لقد كتب عنه أغلب كتاب التراجم، لذا نختصر على:

١ـ الحر العاملي: فاضل، عالم، محقق، علامة، جليل القدر، مدرس من المعاصرين.

٢ـ الميرزا عبد الله الأفندي: فقيه، محدث، متكلم، معاصر..

٣ـ العلامة الخونساري:كان من أعاظم علمائنا المتأخرين، وأفاخم فضلائها المتبحرين، واحد عصره في العربية والأدب والفقه والحديث، وأخذ حظه من المعارف الربانية. بحثه الأكيد وكدّه الحثيث.

٤ـ حفيده السيد عبد الأعلى الجزائري:المتبحر الجليل النبيل، المشهور ذكره في الآفاق، المشهود بفضله على الإطلاق، السيد نعمة الله بن السيد عبد الله بن السيد محمد الموسوي الجزائري، جزاه الله عن العلم وأهله أحسن الجزاء... فانتقل إلى تستر وأقام بها ووقع في نفوس أهلها أعظم موقع.. إلى أن يقول: وجميع ما يوجد إلى الآن من الرسوم والآداب الشرعية في هذه البلدة فإنما هي من بقايا آثاره، وجميع من نشأ بعده من العلماء والمشتغلين وأئمة المساجد والوعاظ والمتهذبين فهم من تلامذته وأتباعه ولو بالواسطة.

٥ـ العلامة المجلسي والذي كتب عدة إجازات، قال فيه:

(.. إني تشرفت برهة من الزمان بصحبة السيد الأيد الحسيب الحبيب اللبيب الأديب الأريب الفاضل الكامل المحقق المدقق، جامع أصناف العلم والسعادات حائز قصبات السبق في مضامير الكمالات، الأخ الوفي والصاحب الرضي السيد نعمة الله الحسيني الجزائري رزقه الله الوصول إلى أعلى مدارج المتقين واقتفاء آبائه الطاهرين، فقرأ عليّ وسمع مني وأخذ مني شطرًا وافيًا من العلوم العقلية والنقلية والأدبية، لاسيما كتب الأخبار المأثورة على الأئمة الأبرار صلوات الله عليهم أجمعين.. فأبحت له كثر الله العلماء مثله أن يروي عني كل ما علم أنه داخل في مقروءاتي ومسموعاتي ومجازاتي بتلك الأسانيد وغيرهما مما أوردته في الكتاب الكبير، وأن يروي عني جميع مؤلفاتي ومؤلفات والدي وسائر مشايخي وكل ما أفرغته في قالب التصنيف في سلك التأليف لاسيما كتاب (بحار الأنوار)).

مصادر الترجمة:
أعيان الشيعة ج١٥ ص١٣٣
الأنوار النعمانية ج١ ص٣ وج٤ ص٢١٨
تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه ص١٣٩
الأجازة الكبيرة للسيد عبد الله الجزائري ص٧٠
روضات الجنات ج٨ ص١٥٠
وغيرها من كتب الرجال والسير فراجع.

التفضيل والتكريم الإنساني

عند الإمام علي عليه السلام

ا. د. صاحب محمد حسين نصار •
كلية الفقة /جامعة الكوفه

ينابيع

من مقولة وصيَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علي عليه السلام، في عهده لمالك الأشتر لما ولاه مصر: (ولا تكونَنَّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخٌ لك في الدين[1] ، أو نظيرٌ لك في الخلق[2]،..)[3] ، فكانت هذه المقولة صوت ودرس، أورد الأمين العام السابق للأمم المتحدة (كوفي عنان): (هذه العبارة يجب أن تعلّق على كلّ المنظمات، وهي عبارة يجب أن تنشدها البشرية)، وبعد أشهر اقترح (عنان) أن تكون هناك مداولة قانونية حول كتاب الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر، واللجنة القانونية في الأمم المتحدة، بعد مدارسات طويلة، عرضت : هل هذا يرشح للتصويت؟ (أي الكتاب) وقد مرّت عليه مراحل ثم المقترح، وصوتت عليه الدول بأنه أحد مصادر التشريع الدولي.

يَنظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى الناس نظرة بمنتهى الواقعية تحت سراج الحكمة والتعقل، من خلال عهده إلى مالك الأشتر رضي الله عنه، وهو يوصيه ويبين له كيف ينظر إلى الناس كي يكون تعامله معهم على أساس رؤية واضحة، فأمير المؤمنين عليه السلام في حديثه هذا يقدم فلسفة لكينونة الإنسان في الأرض وما تحمل هذه الكينونة من مراتب، وسنحاول أن نستجلي أهم المسائل المهمة التي تهتم بالشأن الإنساني في هذا الحديث وكما يأتي :

أولًا: معايير التفضيل بين البشر

خلق الله تعالى البشر وكرمهم على بقية الخلق،(**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**)[4] ، وهذا التكريم ينطلق من كونهم بشرًا لا أكثر، من دون أي إضافة أخرى، مع أن هناك عناوين مختلفة يمكن أن تكون معيارًا للتفضيل، كفضل المؤمن

على الكافر، إلا أن نظرة الخالق إلى الإنسان بمحض كونه إنسانًا، هي نظرة التكريم على سائر الخلائق.

وبحكم العلاقات التي لا يمكن لأي فرد أن ينسلخ عنها، وكل إنسان يعيشها حاجة طبيعية، نشأت معايير للتفضيل بين البشر أنفسهم بعد مرحلة التكريم العام الذي كرمهم به الله تعالى.

ونشأت تلك المعايير للتفضيل بين البشر أنفسهم من خلال عدة قوانين وقيم دينية وعقلائية أصبح يتفاضل بها البشر بحسب ارتباطهم بها من خلال الفعل والتطبيق.

وثمة معايير مختلفة للتفضيل بين أبناء البشر، وقد أكد القرآن الكريم على أهمها، وهي التقوى، لقولِه تعالى:(**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[٥] ، وكذلك معيار العلم، كقوله تعالى: (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**)[٦] .

ثانيا : الاعترافَ بإنسانية الإنسان:

لقد عانت البشرية من التمييز العنصري والديني، منذ قدم تاريخها وإلى اليوم، ويتأتى هذا التمييز من اضطراب آلية تقييم الفرد، وعدم وضوح القيمة الطبيعية المودعة في كينونة الفرد وهي (الإنسانية)، ومن خلال كلام أمير المؤمنين عليه السلام، يتضح لنا البعد الإنساني في تقييمه، فهو عليه السلام لم يغفل ذلك العنوان الإنساني الذي ينطوي تحته كل فرد حتى الكافر، بمعنى أنه عليه السلام قد أدخل في دائرة الوعي ذلك الجانب المُكرَّم في كينونة الفرد هو الإنسانية، فهو عنوان مُكرَّم بنص القرآن الكريم كما سلف ذكره، وعلى هذا الأساس يتم التعامل مع الآخر على مختلف توجهاته، من خلال رؤية واقعية عقلائية، تعترف بالعنوان العام

الجامع للبشرية على مختلف مراتبها.

إن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصنف الناس إلى أخ في الدين أو نظير في الخلق، ليس بصدد تفضيل الفاضل على المفضول، بل بصدد الاعتراف بالآخر المفضول إلى جانب الفاضل مع وجود الفارق، وهذا الاعتراف يأتي في إطار القيمة التكوينية المودعة في صميم المعنى الإنساني الذي يتمتع به كل فرد، إلا ما شذ عن الإطار الإنساني وأخذ ينسلخ عن الإنسانية نحو الحيوانية والتوحش، مثل الطواغيت الفراعنة فإنهم خارجون عن تصنيف الإمام عليه السلام، وذلك الخروج واضح بعدما اتضح معيار الاعتراف بالآخر تحت عنوان التكريم.

ثالثا: حدود الاعتراف بالآخر

من خلال قول أمير المؤمنين عليه السلام سوف يكون التقييم والتفضيل على أسس موضوعية، فيتم التعامل مع غير المسلم في إطار إنساني عام، وإنسانيته محفوظة مادام يعيش في حدودها، أما لو تعداها فإنه يكون خارجًا من الأساس، ولا يمكن حمله على الإنسانية إذ لا مبرر لدخوله الإنسانية وهو يتنكر لها من خلال طاغوته وفرعنته وجبروته وبطشه.

إذن ما دام الإنسان يعيش القيم العامة التي تسالم بها العقلاء، فهو تحت عنوان الإنسانية، وإن لم يعتنق الدين، غاية الأمر يبقى هو المفضول، والمتدين هو الفاضل وفق القيمة المضافة إلى هذا الأخير، وهي قيمة التدين.

رابعاً: الحوار من مقتضيات تصنيف أمير المؤمنين عليه السلام:

من مشاكل الدهر، فقدان الحوار بين الأفراد والمجتمعات والأمم، وعدم الحوار مع الآخر عبارة عن رفض الآخر، وهو ينم عن نظرة دونية تجاه الآخر، ومن الخطأ أن يفهم الحوار على أنه تأسيس لشرعية الآخر، بل هو أسلوب واقعي وموضوعي، وقد تم حوار بين الباري عز وجل وبين إبليس الخارج عن الطاعة والامتثال، وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام زاخرة بمواقف حوارية.

إن تصنيف أمير المؤمنين عليه السلام للناس يؤسس لضرورة بل شرعية الحوار، فلما كان ثمة مبررٌ للاعتراف بوجود الآخر وهو البعد الإنساني، فإن الحوار من ملازمات ذلك الوجود، وبالحوار تم تبليغ رسالات السماء، وبالحوار تم إلقاء الحجة على أعتى الخلق..

إن النظارة في الخلق، واقتران الفرد بالفرد تحت عنوان الإنسانية، يكرس ضرورة الحوار كمخرج من أزمات العلاقة بين الأفراد على مختلف الأصعدة والمجالات،(**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**)[٧] ،وفي هذه الآية تكريس للدعوة والحوار، ومعلوم أن الكافر والملحد مشمول بتلك الدعوة، ولا يعقل أن تتم دعوة من لا وجود له ولا إنسانية، وهذا مقتضى تكريم الله عز وجل للإنسان عندما خاطبه بالدعوة، وأرسل إليه الرسل والأنبياء، لذلك فإن تصنيف أمير المؤمنين عليه السلام يأتي في سياق مقتضى التكريم الإلهي للإنسان، وذلك الموجود المكرم والمفضل على سائر المخلوقات، ومن ثم تأتي دوائر أضيق للتفضيل من خلال الاستجابة للدعوة والارتباط الحقيقي بقيم السماء..

الخاتمة :

إن التعامل الذي برزته الدراسات

الحداثوية اليوم تحاول أن تستبعد كل ما هو أصيل في الدين الإسلامي، ولا يخفى على كل باحث في الدراسات الغربية نجدها تنادي في كل مرة بين الإصلاح والنهضة والتجديد بأفكار ترسم صورة على التعامل الإنساني وتطبيقات حياته اليومية من تعامله مع الآخر وحريته وإنسانيته فنجد من نادى بالإنسانوية[٨] اليوم كمفهوم وكنزعة منذ عصر النهضة وحتى عصر الحداثة وما بعدها، ولكن الإسلام سبق هذه التنظيرات قبل العقل الغربي الذي يتجه نحو: العدمية كنمط سلوكي يجعل الإنسان آلة خالي من القيم والشعور، وتارة يحاول أن يسلبه الحرية من الوجود ليستعبده، قال الإمام علي لابنه الحسن عليه السلام، (ولاتكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًا)[٩] ، ومرة يفقده كينونة ذاتيته فتجعله نمطي خارج إبداعاته الروحية التي أودعت بها طاقات، وبهذا يفقد الإنسان القيمة الروحية والتاريخية الزمنية لوجوده مِنْ سَلْبِه لهذه الذاتية التي أكد عليها أمير المؤمنين عليه السلام(وكفى بالمرء جهلًا ألا يعرف قدره)[١٠]، أو قوله(**رحم الله إمرءاً تفكر فاعتبر واعتبر فأبصر...**)[١١] ، ومن هذا نستشف أن الإنسان اليوم مفضل ومكرم بإنسانيته وكمالاته الروحية ليرتفع بها من الدونية إلى العلية وهي التقوى، وهذا ما أكدته نصوص القرآن العظيم وكلمات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

(١)إما أخ لك في الدين) إنه مسلم ، أي تلزمك حرمته. ينظر : نهج البلاغة : الإمام علي بن أبي طالب (ع)، جمعه الشريف الرضي/ شرح على محمد علي دخيل، دار المرتضى بيروت ، ط١ ، عام ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م، ٣/ ٥٦٢.

(٢) (وإما نظير لك في الخلق) أي، إنسان والإنسانية تستوجب منك العطف عليه ، ينظر: المصدر السابق،٣/ ٥٦٢.

(٣). المصدر السابق: ٣/ ٥٦٢.

(٤). سورة الإسراء: ٧٠.

(٥).سورة الحجرات:١٣.

(٦). سورة الزمر:٩.

(٧) . سورة آل عمران:٦٤.

(٨) . مصطلح : يدرس طبيعة الإنسان وماهيته الإنسانية ، أو يدرس البحوث المختص بالإنسان، أو يدرس المعايير أو المعتقدات المتعلقة بالحاجات الإنسانية ، أو دراسة الوجود الإنساني... ينظر : المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة ، إصدارات مركز الفكر الإسلامي المعاصر(١) ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م لبنان، مط الرسل الفنية، ، ج١/ ١٤٣.

(٩). نهج البلاغة ، شرح محمد عبده، ج٣، ١٣.

(١٠) . نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ج١ ، ص ٥٠ .

(١٠). نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ج٢، ص٢٠٠

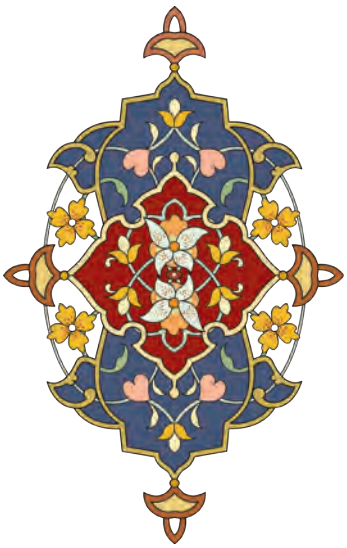

الانحراف
أنواعه..أسبابه..علاجه

الأستاذ مسلم مصارع علوان •
ـ جامعة ذي قار ـ

ينابيع: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(المائدة:١٣)

الانحراف لغة (كما في اللسان) في باب حرف هو: أخذ الحرف والحرف هو الطرف ويقال انحرف إذا مال الإنسان عن شيء، فهو إذن الميل عن الشيء .

والانحراف اصطلاحًا : هو الميل عن الشيء والعدول إلى جانبه، ويطلق في العلوم الطبيعية على الشذوذ عن الخط السوي كانحراف أحد أعضاء الجسم عن القيام بوظيفته الطبيعية أو انحراف إحدى الظواهر عن قانونها العام[1].

أما عقائديًا فمعناه : الميل عن العقيدة الحقة التي ينبغي على الإنسان أن يتخذها إلى أخرى مخالفة، والانحراف عمومًا ظاهرة سلبية في حياة الفرد أو المجتمع تؤدي بهما أو بكل منهما إذا ما صغت قلوبهما إليه إلى عواقب وخيمة تنعكس مردوداتها سلبيًا على المسيرة العامة للأمة جمعاء .

والانحراف على أنواع : منها الانحراف الفكري (الأيديولوجي) وهو الميل عن الأيديولوجية الفكرية التي يرسمها اتجاه فكري معين، وهجْرها إلى اتجاه فكري مغاير له. ومنها الانحراف الاجتماعي وهو عبارة عن خروج

الفرد عن التقاليد والعادات والأعراف الاجتماعية السائدة، ومنها الانحراف الجنسي وهو ظاهرة من أسوأ الظواهر سلبية تطرأ على حياة بعض الأفراد فتميل بهم إلى تغيير الوظيفة الغريزية لديهم شذوذًا ترفضه الطبيعة البشرية، والانحراف العقائدي وهو تغيير المعتقد عقيدتَه الحقة إلى عقيدة غيرها وهو كما يحصل عند من ينتقل من دين إلى دين أو من مذهب إلى مذهب آخر، أما الانتقال من المعتقد المخالف إلى العقيدة الحقة فلا يعد انحرافًا وإنما يعد انصلاحًا وقد يسمى استبصاراً. وهناك أنواع أخرى، كالانحراف العقلي والنفسي وغيرها، ولكن يبقى أخطر أنواعه الذي يتعلق بالمصير الجمعي، مصير الأمة.

وخلاصة الموضوع أن الانحراف خروج عن حد الاعتدال، وهو طريق وسط بين الإفراط والتفريط، قال تعالى: (**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ**

عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)(الفاتحة:٦-٧)، فهو طريق وسط بين هؤلاء وأولئك، قال علي عليه السلام في النهج : (اليَمِينُ والشِّمَالُ مَضَلَّةٌ والطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ)[٢] ومثله قوله عليه السلام: (انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ - فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ - واتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ- فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى - وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى - فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا - وإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا - ولا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا - ولا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا)[٣].

إن الطرق المتعددة في الحياة الدنيا ليست كلها مؤدية إلى الله سبحانه وتعالى، إن هناك طريقًا واحدًا هو الذي يؤدي إلى الله وهو طريق الإسلام .. طريق العدل ..طريق الاعتدال..

قال تعالى : (**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)(الأنعام:١٥٣)، وهذا الطريق هو الذي جسده رسول الله صلى الله عليه وآله والذي يمثل جوهر الإسلام، بل الإسلام ناطقًا، وعلى ذلك الطريق سار أهل بيته عليهم السلام والثلة المؤمنة من أتباعهم، وقد قدموا التضحيات الجسام من أجل الحفاظ على طريق الحق، ولم يغيروا ولم يبدلوا. قال تعالى:(**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**) (الأحزاب:٢٣)

لقد كان موقف القرآن إزاء هذا المخاض العسير الذي مرت به الأمة فنبَه على خطر خيانة الرسالة منذ البدء لأنه لو وقع وقد وقع فسيكون له تأثير يأخذ أبعاداً خطيرة على الأمة وقد كان وما هذه التيارات المنحرفة التي نراها اليوم، إلا إفرازات حتمية لذلك الانحراف .

تباين القناعات واختلاف الآراء

يختلف نظر الناس في العقائد والأديان والاتجاهات الفكرية والأنظمة التي ينتمون إليها طبقًا لقناعاتهم المبتنية على الذوق المجرد أو على المرتكزات الثقافية أو الإرث الاجتماعي، وقد تعتبر بعض المعتقدات أو الاتجاهات أو الأنظمة مقدسة لدى فئة أو مجموعة من الناس وتعتبر نفسها لدى غيرهم رجس يجب اجتنابه أو الابتعاد عنه وربما تفرض عليهم قيمهم ومبادئهم، السعي لانتشال من يقع في بؤرتها منهم كما يتحرك الإسلام لتحرير الناس من الكفر .

وعلى هذا الأساس سعى القرآن الكريم إلى تحرير العقول من القيود المادية والمعنوية التي تحجر الإنسان وتجمده على اتجاه لا يراعى فيه النظرة الموضوعية ولا الرؤية الكونية الإلهية الحقة التي تنسجم مع العقل السليم وتخاطب الروح الطاهر .

أسباب الانحراف وعلاجه

أسباب الانحراف كثيرة ولكن ممكن أن نجملها في ما يأتي :

١- ضعف العقيدة الناشئ من عدم المعرفة وكثرة الذنوب، أو كما يعبر عنه في علم الأخلاق بتلوث القلب ومن ثم انقفاله على ظلماته حيث يكون غير مستعد لاستقبال نور المعرفة الإلهية، و(علاجه) تطهير القلب بدءاً من التوبة وانتهاءً بملئه بالعلم والمعرفة المستقاة من المنابع الطاهرة .

٢ـ الجهل وقلة الوعي، وهو عامل خطير وأصل الكثير من أسباب الانحراف، حتى روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام :قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك [٤] و(علاجه)السعي في طلب العلم لتشرق شمس المعرفة في عالم أرواحنا وتطرد ظلام الجهل من أنفسنا.

٣ـ الغفلة وهو عدم الانتباه لأنفسنا أو إلى ما يخطط له عدونا ولاسيما الشيطان الذي يدعو إلى الفحشاء والمنكر، ويثير العداوة والبغضاء (**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**) الإسراء٥٣ ، و(علاجه)توخي الحذر وإيجاد أسباب الانتباه، والتقرب إلى الله بالتقوى .

٤ الحسد وهو كراهة النعمة على المحسود، والحسد هو الذي دعا إبليس للانحراف والتكبر وعدم الامتثال لأمر الله بالسجود (لآدم)، و(علاجه)تطهير القلب منه بإطاعة أوامر الله والرضا بما قسم .

هذه أهم أخطار الانحراف في حياة الفرد والمجتمع، وما ينبغي فعله لتجاوز تلك الأخطار . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) المعجم الفلسفي /جميل صليبا /ج١ باب حرف

(٢) نهج البلاغة /تحقيق صبحي الصالح ص٥٩ .

(٣) م.ن/ص١٤٣ .

(٤) الحقائق للكاشاني /ص٣٥.

مبادئ التعايش السلمي عند الإمام علي عليه السلام

(رؤية تربوية اجتماعية)

أ.م.د. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية/جامعة ميسان

ينابيع

لا يخفى على كل ذي عقل راجح أن الإنسان يتكون من جانبين أساسيين هما:(الجسمي أو ما يسمى البايلوجي ، والنفسي أو ما يسمى السيكولوجي) وكلا الجانبين مهمين في حياة الفرد ونشأته ، فإذا كان الجانب الجسمي مهماً لبقاء الإنسان على قيد الحياة ، فان الجانب النفسي مهماً أيضاً لاستمراره بالحياة وشعوره بالحياة الطيبة السعيدة الهانئة .

ومن البديهي أن تكون مسألة الأمن الاجتماعي باعتبارها حاجة نفسية ملحة ينشدها الفرد في مراحله العمرية كافة منذ ولادته إلى أن يأذن الله برحيله من الدنيا ، حتى أن بعض الأفراد والجماعات يجوبون الأرض شرقاً وغرباً بحثاً عن هذه الصفة وطلباً للأمن والأمان .

وعندما تشرفت البشرية بنزول الرسالة السماوية على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أخذت بزمام هذين الجانبين السابقين الذكر على اعتبارهما الأساس لتكوين الإنسان السوي، فالفرد يحيى بالجسد والنفس معا، وإن هناك حاجات جسدية وأخر نفسية يجب أن توفَر للإنسان طيلة حياته ليعيش هانئاً مستقراً .

ومعلوم أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم خلال مدة رسالته وحكمه الشريف، أرسى قواعد كثيرة صحيحة في بناء المجتمع، أصبحت دليل عمل للقائمين على الانثروبولوجيا الاجتماعية فيما بعد .

وفي المقابل لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، نجد شخصية الإمام علي عليه السلام الذي سار في إمرته للمؤمنين وعند توليه أمور المسلمين بنفس الخطى التي سار عليها أخيه وابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعمل جاهدًا على أن لا يحيد ويخرج عن هذه المسارات الصحيحة لبناء المجتمع المسلم الناجح .

فقراءة الامام علي عليه السلام للمجتمع قراءة واقعية تتسم بقدرته الفائقة وعمله الدؤوب على خلق حالة الامن الاجتماعي، وعمله الدؤوب على ايجاد التعايش السلمي قبل كل شيء إيماناً منه عليه السلام بأن الانسان يتأثر بالعديد من العوامل المحيطة به خلال حياته، والتي اهمها مجتمعه الذي ينتمي اليه والناس الذين يعتاش معهم .

ولا اريد في هذه الكلمات البسيطة أن أذكر شواهد التعايش السلمي عند الامام

علـي عليه السلام بقدر ما أرغب في ايضاح المباديء الأساسـية لزرع التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد سـواء كان مسـلماً أم لا ، وقد ركز الامام عليه السلام على مجموعة من المبادئ لتحقيق التعايش السـلمي في داخل المجتمع الذي يحكمه والتي منها :

١ـ التركيـز على بنـاء المجتمع على وفق أسـس التعـاون والمحبة والأخـوة الدائمة، روي عـن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (عليك بإخوان الصـدق، فأكثر اكتسـابهم، فإنهم عدة عند الرخاء، وجُنة عند البلاء)[١] .

إيمانـاً منه عليه السلام بـأن ذلك يعد مـن أبرز الأسـس التي يرتكز عليها المجتمع، وتخلق روح التعاطف والتوادد والرحمة والمحبة بين الناس، فقد لجـأ الفكر التربوي عند الامام علي عليه السلام، للعمل على إيجاد المجتمع المسلم المتعـاون من خلال الإهتمام ببناء الإنسـان أينما وجد ، ليتربى على وفق القيم السماوية التـي أكدهـا الله تعالى ، كما فـي قوله جلّ وعـلا :- (وَتَعَاوَنُـوا عَلَى الْبِـرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُـوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُوا اللّه إِنَّ اللّه شَدِيدُ الْعِقَابِ)(المائدة : ٢) .

وفي مثل هذه الحالة، لا يحتاج المجتمع إلـى أكثر من نسـيج يؤمّن علاقـة التعاون، وتوزيـع الأعمـال بيـن أعضـاء المجتمع ، ويؤمّن لهم العدالة الإجتماعية ، والحسـم ، والقضاء بعدل ، في حالة تصادم المصالح ، والعدوان ، وتوفير التعليمات ، والمجاملات الإنسانية التي تلطف جو التعامل الإنساني[٢] .

فالعلاقات الاجتماعية الطيبة هي الكفيلة بأن تجعل المجتمع متماسـك ويعيش أواصر اللحمة والتضحية وهي النسيج الرابط فيما بينهم .

وبذلك فإن الصلة والرابط بين الإنسان ، وأخيـه الإنسـان ، تعمق الشـعور بالود ، والتعاطف ، والتقارب ، بين أفراد المجتمع الإسلامي ، ومختلف أفراد بني البشر ، بعيداً عـن اللون ، أو الجنس ، أو اللغة ، أو العرق ، قال تعالى :- (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّه أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّه**

عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:١٣) فكانت علاقات الإمام عليه السلام الاجتماعية متينة وطيبة حتى مع الذين يختلفون معه في الدين وفي الفكر حتى ضرب أروع وأجمل صور التوادد والتعاطف الإنساني مع الآخرين الأمر الذي دعاه إلى أن يكفل حقوقهم وامتيازاتهم بغير بخس أو نقص أو منٍّ أو أذىً . ٢. العمل بجد وحزم على إشاعة ثقافة المساواة بين الناس وأنه لا توجد إفضلية لشخص على آخر، فرؤيته عليه السلام إنه يجب السعي الحثيث لكي تلغي كل عوامل التمايز السطحية التي أوجدها الناس والتي تدفع إلى العلو والفساد داخل المجتمع والإختلاف والنزاع والكراهية والحقد والتي تجعل من بعض الأشخاص ينظرون بأعين الاستصغار والاحتقار للآخرين ظانين أنهم أعلى مرتبة من الآخرين مرتبة منهم .

فكانت القاعدة أساسية في تربية المجتمع المسلم على وفق نظرته الشريفة ، هي إعداد الفرد إعداداً يؤهله أنْ يكون فرداً صالحاً ، وعضواً نافعاً ، وكائناً إجتماعياً متكيفاً ، مع المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه مبتعداً عن الاعتداء والكراهية والحقد والبغضاء والتعالي والاستعلاء والتكبر والتفاخر .

فالمجتمع مركب من فئات مختلفة ليس لأحد حق أن يعتدي فيه على الآخرين وليس هناك طبقة أو فئة أفضل من أخرى وليس للفرد الحق أن يسعد على حساب الآخرين، والمساواة في وجهة نظره تشمل كل مناحي الحياة .

قال عليه السلام:(أن اللّه سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير إلاّ بما متّع به غني ، واللّه تعالى سائلهم عن ذلك) [٣] .

وحينما وَلِيَ أمير المؤمنين علي عليه السلام أعلن قراره القاضي بالمساواة التامة بين الناس في العطاء ، من أجل إشاعة العدل في توزيع الثروة وإلغاء كافة أسباب التمايز بين الناس ، فكان قرار انتزاع قطائع بني أمية وقرار التسوية من أول القرارات التي اتخذها علي عليه السلام في اليوم التالي من البيعة وطبّقه عملياً في اليوم الثالث ، وتحمل مزيداً من العناء في هذا السبيل.[٤] .

فقد أوجد الامام عليه السلام في مجتمعه فكرة أن الكل محترمون على اختلاف قومياتهم وأديانهم وانتمائهم العشائري وأن الكل متساوون لديه وليس فيهم أفضلية ولا أسبقية لأحد عنده ، وحاول قدر الإمكان أن يزرع هذا الانطباع لدى رعيته امتثالاً لرغبة السماء في أن يكون هذا المجتمع متساوٍ من النواحي كافة.

٣. احترام حرية الإنسان الفكرية : أن من السمات الواضحة في تجربة الإمام علي ابن ابي طالب عليه السلام السياسية هو سعيه الحثيث نحو ايجاد وتوسيع دائرة الحرية السياسية وفتح السبل سواء بحرية القول والفكر والرأي أم بالعمل وتبني المواقف أزاء الأحداث السياسية ، فقد كفل الإمام عليه السلام حق اختيار الخط السياسي لكل مواطن في أصقاع دولته وشملت هذه الحرية حتى مناوئيه [٥] .

فالذي يستقرء فترة حكمه الشريف يجد أن هناك تيارات سياسية معارضه له اخذت كل حريتها في بيان رأيها فيه وفي نظام حكمه الشريف ، ولم يكن يتصدى لهم بالقوة أو بالسيف مثلما يفعل الآخرين ، ولم يحاربهم في عطائهم ولم يهدم دورهم ولم يشردهم ، وبذلك ضرب لنا أروع صور التعايش السلمي بين الحاكم ورعيته الأمر الذي انعكس إيجاباً على المجتمع الذي

عاصر أمير المؤمنين عليه السلام.

ففي رؤياه أن سلب حرية الفرد الفكرية أو إجباره على اعتناق دين أو مذهب أو تيار سياسي يعد اغتصاباً واضحاً لعقلية الفرد وتعدٍ صارخ على شخصيته ، فلا بد للفرد أن يمارس دوره ويبدي رأيه في الحاكم ونظام الحكم من دون أية تبعات قانونية ، بشرط أساس هو عدم الإضرار بمصلحة المجتمع وعدم الاعتداء عليه .

ثم أنه عليه السلام طالما يذكّر أصحابه ومواليه وأتباعه ومجتمعه الذي يعيش فيه أن الإنسان يجب أن تحترم حريته الفكرية ولا يجبر على اعتناق دين أو مذهب إلا عن طريق قناعة متكاملة وأن الإنسان لا يضرب أو يقتل أو يهان لمجرد اختلافات فكرية .

٤. إشاعة ثقافة احترام النظام العام وتطبيقه من دون تمايز ، شرع الامام علي عليه السلام على تبصير المجتمع الذي يعيش فيه على ضرورة احترام النظام الحكومي وعدم التجاوز على الأحكام الشرعية حتى بالنسبة لغير المسلمين ، ومن جهة أخرى فإن القانون الإسلامي ليس محدود التطبيق بل إنه سوف يطبق على أي فرد يخل به من دون تمايز مع الأفراد الآخرين فلا توجد درجة تفضيل لفرد على حساب الآخرين .

إن علياً عليه السلام ملتزماً بالقانون تجاه المتخلفين من القانون مهما كان المذنب يتمتع بالحصانة العشائرية أو المالية[٦] .

ومن جانب آخر فإنه عليه السلام لا يسمح لأي شخص أن يتجاوز على فرد آخر أو يحط من قدره وقيمته وكرامته فإن الجميع يجب أن يعيشوا بسلام وأمان على مختلف مشاربهم ومن يتجاوز فإن القانون سوف يردعه .

فعلي عليه السلام يحارب أشد محاربة الطائفية ويتشدد على كل أساليب الإعتداء والعنف والظلم بين الآخرين لأنها تشكل بحق أزمات اجتماعية وتخل بأمن المجتمع والدولة الحاكمة فنراه يعمد على إشاعة روح العيش بسلام وعلى الاحترام المتبادل وتكوين مجتمع آمن مطمئن يتربع على العيش الآمن الهانيء .

وعلى الرغم من أن المجتمع الذي كان يقوده الإمام علي عليه السلام مجتمعاً قبلياً متعصباً فإنه استطاع باعتماده على الله تعالى وبرجاحة عقله وحكمته وسلوكه وحزمه وقوته أن يجعله مجتمعاً يحبو نحو التعايش السلمي بين أبناء طبقاته كافة .

فعلي عليه السلام مولعاً بحب الخير للناس والعفو والصبر والتسامح والسخاء وعدم الاكتراث متطلعاً إلى خدمة الناس ، فهو عليه السلام إمام يحب أن يشيع ثقافة التعايش والتسامح واحتواء الآخرين ويحلها بدلاً عن العنف والإرهاب والتعسف والظلم والطغيان .

وفي الختام لا بد أن نذكر أن الإمام علي عليه السلام وعلى حد تعبير علماء الاجتماع هو رائد ومؤسس حركة التعايش السلمي في المجتمع بما كان يمثله من قيم إسلامية حقيقية وما كان يحمله من نبل الأخلاق وسمو النفس .

هامش:

(١) بحار الأنوار/المجلسي/ج١٠ ص٥١

(٢) الثقافة القيادية والإدارية عند أمير المؤمنين علي (ع)/محمد مهدي الآصفي ص ١٥.

(٣) نهج البلاغة لأمير المؤمنين(ع)/تحقيق محمد عبده/ص ٥٣٣ ، الحكمة ٣٢٨.

(٤) معالم الإصلاح عند أهل البيت (ع)/علي موسى الكعبي ص ١٣٤.

(٥) حقوق الإنسان عند الإمام علي (ع) رؤية علمية /د.غسان السعد ص ١٤٥.

(٦) الثقافة القيادية والإدارية عند أمير المؤمنين علي عليه السلام/ محمد مهدي الآصفي ص ٣٨ .

أهمية المعروف في المجتمع

د. وفقان الكعبي •
كلية الفقه/جامعة الكوفة

ينابيع

المعروف :الفعل الحسن الذي يتبين حسنه أما بالشرع حسن أو بالعرف والعقلاء حسنه ، وقال ابن منظور: (هو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرّب إليه، والإحسان إلى الناس؛ وكل ما ندَب إليه الشرعُ ونهى عنه من المُحَسَّنات والمُقَبَّحات، وهو من الصفات الغالبة، أَي أَمْرٌ مَعْروف بين الناس إذا رأَوْه لا يُنكرونه، والمعروف النَّصَفةُ وحُسْن الصُّحْبة مع الأهل وغيرهم من الناس والمُنكَر ضدّ ذلك جميعه)[1]

وقد ورد لفظ المعروف في آيات القرآن ما يقرب من أربعين موردًا على اختلاف ألفاظه وسياقه نتابع ذلك حسب المنهج المتبع والخطة للموضوعات الاجتماعية المعاصرة.

إن المتدبر في ظواهر الكتاب وسننه وأحكامه، يجد الاعتناء والاهتمام في العلاقات العائلية والأسرية والاجتماعية،ولابد أن تبتني على أساس قانون المعروف والإحسان والعفو بين الطرفين. وهذا ناتج من الإحساس الفكري بأن منشأ أغلب المشاكل الاجتماعية ناشئ من أسس وأصول عائلية مالية معينة.

وسنقتصر البحث هنا في العلاقة بالمعروف بين الآباء والأبناء والمجتمع ، على أمل أن نفرغ بحثًا خاصًا عن المعروف بين الأزواج.

ـ التعامل مع الوالدين بالمعروف

العلاقة بين الولد وأبويه ،تراعي فيها جوانب عدة منها : دينية بالطاعة والعقوق، الجانب الاجتماعي والمادي والإنساني، فقد وردت مضامين في القرآن تشير بالطاعة والإحسان إلى الوالدين والتعامل بالمعروف معهما.

ومن مصاديق المعروف، الوصية للوالدين، وهي ما ينفذ بعد الموت من إعطاء مال كثير إلى الأبوين –الأم والأب- وإذا لم يوجد واحد منهما فالأقارب والأرحام .

وتكون مصب الوصية بالعدل الذي لا إفراط ولا تفريط به وعدم ترجيح بعض على بعض ولا يجحف ويمنع الورثة ولا يكون قليلا يوجب الاستخفاف.[2]

قال تعالى : (**الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**) (سورة البقرة:١٨٠)

وهناك إضافة مهمة في طاعة الوالدين بالمعروف ،وهو ما فيه طاعة لله ، فإذا كان فيها عصيان لأمر الله فلا يجب الطاعة ولا المعروف فيها .

قال عز وجل : (**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا**

إذا اصطنعت المعروف فاستره , و إذا اصطنع إليك فانشره

وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(سورة لقمان:١٥)

اشتراط الصحبة والطاعة والمتابعة للوالدين بحدود ما هو مشروع فإذا تجاوز ذلك فلا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.[٣]

وبينت الروايات القول المعروف إلى الأبوين وحدوده:(**وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا**) : أي حسنًا غير خشن ، واختلف فيه أيضًا، فقال سعيد بن جبير : أمر الله الولي أن يقول للذي لا يرث من المذكورين قولا معروفًا ، إذا كانت الورثة صغارًا ، يقول : إن هذا ليتامى صغار ، وليس لكم فيه حق ، ولسنا نملك أن نعطيكم منه .

وقيل : المأمور بذلك الرجل الذي يوصي في ماله ، والقول المعروف أن يدعو لهم بالرزق ، والغنى ، وما أشبه ذلك .

وقيل : الآية في الوصية على أن يوصوا للقرابة ، ويقولوا لغيرهم قولًا معروفًا ، عن ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وقد دلت الآية على أن الإنسان قد يرزق غيره على معنى التمليك ، فهو حجة على المجبرة .[٤]

ويمكن أن تجري الآية بأن يكون من المعروف الإنفاق على الأم عند حاجتها وتشمله الآية (**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**)[٥]

- المعاشرة للأخوة والأخوات والأقارب بالمعروف

فقد اتبع القرآن الكريم في التشريعات الإسلامية النافعة في التعامل الاجتماعي في النظام الفردي والجمعي الإنساني، تهذيب الأخلاق ، ونبذ الانتقام والعدوان والتعامل بالحسنى .

فقال تعالى : (**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**...).(البقرة :١٧٨)

وهنا الأخوة بمعنى عام إما نسبية أو دينية عامة أو إنسانية خاصة تبتني على قواعد هي :

-العفو عن المسيء والمذنب والعاصي والآيات كثيرة تحث عليه ومضامين مختلفة حسب مواضيعها.

قال تعالى : (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**)(الأعراف:١٩٩)

قال عز وجل : (...**عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو**

انْتِقَام)(المائدة :٥ ٩)

قال سبحانه: (**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**)(الشورى :٢٥)

فهذا العفو الآلهي ليس له حدود ولا مقيد بل شامل لعدة مواضيع متنوعة وذنوب مختلفة ليس هنا محل تفصيله.[٦]

ـ المعروف، ضد المنكر ،وكل ما حسن عند العقلاء كما تقدم ولم ينه عنه الشرع وانطبق عليه أحد الأحكام من الوجوب والندب. والمعروف يختلف باختلاف المكان والزمان ويتغير حسب تغير موضوعه.

وفي سياق النص القرآني المذكور الذي ورد بعد الجناية والاعتداء والقصاص وفي مقام أخذ الثأر و الانتقام والبطش بالقاتل ،ورد العفو بالمعروف وهذا أمر حسن محبوب ومرغوب فيه.

بيان تفاصيله :

•لا يرهق بالدية الكبيرة والباهظة جدًا ويعفو عنه.

•ينظره إلى ميسرة مع عسرته ولا يشدد عليه.

•التنازل عنه العرفًا وقانونًا وما إليها .

وأشارت بعض الروايات إلى إيصال المعروف إلى الأخ. روى الكليني بسنده ،عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : (أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفًا فقد أوصل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٧] .

فلو تبادل المؤمنين بالمعروف ينال ثواب فعل المعروف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فضل عظيم ومهم جدًا.

ـ المعروف بين الأمم والشعوب والدول

نظم قانون المعروف الأفراد والجماعات والدول في الفكر الإسلامي وفي ضوء النصوص من الآيات والروايات الواردة في ذلك.

ويطبق هذا القانون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،ويشمل ذلك العلاقات الدولية وهيئة الرقابة الدولية على الأسلحة المدمرة لشعوب فهي عاملة بقانون المعروف.

وتطبق قانون المعروف بينها والانزجار عن إشاعة المنكرات بين الشعوب.

قال تعالى : (**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)(آل عمران :١٠٤).

مجموعة في كل مجتمع ودولة تنادي وتعمل بالخير وتأمر بالمعروف الحسن،وتلازم بالنهي عن المنكر والقبيح. والخطاب في النص القرآني ظاهر للجمع والطبيعة ويصدق على الشعوب والأمم.

قال تعالى:(**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**..)(آل عمران:١١٠).

وقال تعالى:(يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)(آل عمران:١١٤)

وكانت هذه مهمة الأنبياء والأولياء والمبلغين في تبليغ هذه الواجب بكل مراتبه الثلاثة (بالقلب واللسان واليد).

قال تعالى : (**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**..)(الأعراف:١٥٧)

وآيات أخرى غيرها .

وفي ضوء هذه الآيات الكريمة، يتبين لا بد من وجود جماعة عبر القرآن- أمة- تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتنفذ كل ذلك سلطة ودولة إسلامية محققة في الأرض تعمل على مبدأ وقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وهما أمران مهمان:

ـ دعوى المجتمع والناس إلى الخير والمعروف والأمر به.

ـ النهي عن المنكر.

وهما أمران أساسيان في وظيفة السلطة التنفيذية وفي ربط الأفراد بين وسائط ثلاث وهي طاعة الله والمعروف بين الناس في التعامل وحب الوطن وهما منهج الله في حياة البشر.

والسلطة والدولة التي تأمر وتعمل بهذه القاعدة الثنائية، تكليف صعب لما في الناس من طوائف مختلفة وغير متنجانسة تعيش بين ثنايا المجتمع.[٨]

وقال تعالى :(لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء:١١٤)

نظم القرآن الكريم نظامًا إسلاميًا سياسيًا منظمًا ومحكمًا، يستند على النهي عن التناجي بمعزل عن الجماعة المسلمة وقيادتها.

ومن مميزات المجتمع الإسلامي كله أنه مجتمع مفتوح – تبين مشكلاته- والتي هي ليست من الأسرار الدولية ولا الشخصية .فالدولة المسلمة وسلطاتها مجتمع نظيف طلق الأفكار لا يخترقه إلا المتآمرون والمنافقون غالبًا.

إلا أن يجتمع المسلم مع أخيه للحث على جمع الصدقة أو الاهتمام بتقديم المعروف أو الإصلاح بين المتنازعين ولرفع النزاع بين المؤمنين قواعد وأسس حتى توصل إلى مرضاة الله.[٩]

قال تعالى : {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}(الحج:٧٧)

فقوله :{وَافْعَلُوا الْخَيْرَ} أمر يشمل كل خير، وقال تعالى: {**وأحسنوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}(البقرة:١٩٥)

وقال تعالى : (**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**) (التوبة :١١٢)

هذه صفات مميزة للجماعة الصالحة في المجتمع الإسلامي،وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في مستويات ثلاث:

ـ المستوى الأول: هو تقرير التوحيد لله تعالى ،وتحقيق دولة الإسلام ،والمجتمع المسلم الذي يؤمن بالدين ويتجنب حكم الطاغوت وعبادة غير الله.

ـ المستوى الثاني: بعد تحكم الدين وإقامة المجتمع المسلم يأتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في استقامة المجتمع على الطاعات والمعاصي.وما يتناول من استقامة المجتمع الإسلامي من الداخل وما فيه من انحرافات عن منهج طاعة الله ورسوله وأهل بيته.فلا يبدأ بالأمر والنهي الفرعي قبل الانتهاء من رسم الأسس الأولى في الشريعة الإسلامية المقدسة .

ـ المستوى الثالث ،هو تهذيب النفس الإنسانية للفرد وقدرته على كبح جماح ومشتهيات نفسه الإمارة بالسوء وهو الجهاد الأكبر.

الهوامش

(١) لسان العرب:١٥١/٩مادة عرف

(٢) انظر : مواهب الرحمن:٤١٣/٢

(٣) وسائل الشيعة :٢٦/١٤

(٤)مجمع البيان :٢٤/٣

(٥)الخلاف- الطوسي:١٢٤/٥

(٦)مواهب الرحمن:٣٩٥/٢

(٧)أصول الكافي :٢٩/٤ ح٨ ؛ الترديد في الناقل من الراوي، ومن فعل المعروف مع أخيه قد امتثل وصية النبي (ص) بأن يصل أخاه ويبره ولا يقطعه.

(٨)ظلال القرآن:٣٠/٣

(٩)انظر:ظلال القرآن:٥٢٢/٥

النجف الأشرف الوعي المبكر للإصلاح

والتحول في الدرس اللغوي

أ.د. زهير غازي زاهد •
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

في هذه المدينة التي تنام وتستيقظ في أهداب الصحراء فتلتهب كلهيب هجيرها، وتصفو كصفاء سمائها. في هذه المدينة التي بقيت إشارة مضيئة في وسط موج ظلمات العصور المتأخرة فبقيت للعربية لساناً وقلباً خافقاً احتفظ بصفائها في زمن كادت العربية تضيع فيه بين ليل الجهل المطبق وسيف السلطان العثماني. فمعاهدها كانت منارات حافظت على العربية في موجة التتريك، كما كان الأزهر الشريف في مصر وجامعة القرويين في المغرب وجامع الزيتونة في تونس.

في هذه المدينة التي ورثت ثقافتين: ثقافة مملكة الحيرة بما فيها من حضارة وشعر، وثقافة الكوفة عاصمة الخلافة العلوية بما فيها من فقه وحديث وعلوم قرآن ولغة وشعر أيضاً.

في هذه المدينة (النجف) تتابع أجيال من العلماء والشعراء كان لهم الأثر العظيم في حياتها ونهضتها العلمية والأدبية، كما كان لها أثرها في العالم الإسلامي عامة.

سينحصر البحث في أجيال ما بعد النهضة، ثم فيما قدمته النجف من جهود لغوية ساهمت في تطوير الدراسات كما شاركت في الرؤية المنهجية لدراسة النحو الخاص على يد كبير نحويي عصرنا العلامة الدكتور مهدي المخزومي.

لقد استقبل القرن العشرون النجف بمجموعة صراعات: منها العسكري يتمثل بالغزو البريطاني الذي بسط نفوذه بدلًا من السيطرة العثمانية، وكان رفض النجف لكليهما. وبعد

بسط الإنجليز نفوذهم قامت ثورات وحركات مقاومة، وثورة العشرين معروفة كان مركزها النجف وكربلاء، وكانت أصوات التحرير والإصلاح تعلو من رجال الدين والسياسيين والأدباء فيها. فمنذ السيد محمد سعيد الحبوبي الذي استشهد في أثناء مقاومته الغزاة الانجليز سنة ١٩١٦ ثم الشيخ جواد الشبيبي وولداه الشيخ محمد رضا والشيخ باقر، والشاعر علي الشرقي كانت دعوتهم للإصلاح السياسي والتطوير الاجتماعي بالشعر والمشاركة بالأحداث، وهكذا تتابعت الأجيال أحدها يكمل الآخر والصراع بين الأجيال سنة حياة لدى الأمم، حتى إذا وصلنا إلى ثلاثينيات القرن وأربعينيات نجد ملامح الصراع الثقافي والأدبي والاجتماعي والدعوة للتحول والتغيير تعلو في المناسبات. فأسست جمعية الرابطة الأدبية (١٣١٥هـ ١٩٣٢م)، كما أسست جمعية منتدى النشر سنة (١٣٥٤هـ ١٩٣٥م) وكل مؤسسة يقف معها رجال دعوة الإصلاح، فكان على رأس جمعية المنتدى الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم وجماعة من العلماء، وقد انطلقت منها دعوة للتجديد وخصوصاً تجديد مناهج الدرس في الفقه والأصول والمنطق وغيرها، وكان مثل هذه الدعوة تعد كفرًا لدى السلفيين.

أما الرابطة الأدبية فكان طابعها الأدب والانفتاح على الجديد من مظاهر الحضارة، وكان في مقدمة مؤسسيها وعميدها الشاعر الشيخ محمد علي اليعقوبي، والشاعر الشيخ صالح الجعفري، والشاعر الشيخ عبد الرزاق محي الدين، وكان لكل مؤسسة مواسمها الثقافية والأدبية.

كان الشعر والخطب هما الوسيلة الإعلامية في الدعوة للتجديد، فبعد الشبيبي ظهر جيل الجواهري وصالح الجعفري وأحمد الصافي النجفي ومحمود الحبوبي ومرتضى فرج الله، ثم جيل مصطفى جمال الدين وصالح الظالمي والسيد محمد بحر العلوم وعبد الصاحب البرقعاوي، وتتابعت الأجيال حتى جيل الشباب المعاصر.

أما في مجال اللغة، فقد ورثت جامعة النجف مناهج دراستها في الفقه والأصول وغيرها، وعلوم العربية النحو خاصة كانت جزءاً من مناهج دراسة الحوزة العلمية، وأهم كتبها ألفية ابن مالك وقطر الندى والآجرومية وبعض شروحها (والفوائد الضيائية) لعبد الرحمن الجامي، وهو شرح لكافية ابن الحاجب في النحو، وما كان يعطيه الشيوخ من شروح وتعليقات، ومن المعلوم أن مفسر القرآن الكريم والفقيه والأصولي ينبغي له أن يتقن علوم العربية لأنها أداته في الاستنباط والوصول إلى المعنى وهو الغاية في الحكم الفقهي والأصولي.

لقد أخذت المدارس الحديثة والمعاهد ودور التعليم العالية تظهر كلما اقتربنا من النصف الثاني من القرن العشرين، وأخذت جهود جمعية منتدى النشر ومدارسها تتسع حتى توجهت بفتح كلية الفقه بعد ثورة تموز سنة ١٩٥٨م، كما كان وصول أخبار المنجزات الحضارية عن طريق الصحف والمجلات من سوريا ومصر إلى النجف وإطلاع المثقفين والداعين إلى التجديد منذ ثلاثينيات القرن وما قبلها وما بعدها. كل ذلك كان ذا أثر في تطور الحياة الثقافية وقد أصاب الدرس اللغوي شيء من التغيير في معاهد النجف وأوساطه العلمية، وبدأت ملامح الوعي للتطور بظهور اتجاهين في الدرس اللغوي والنحوي خاصة:

أحدها: هو استمرار للدرس التقليدي بمنهجه القديم، ولما وصلت كتب مؤلفة ميسرة من مصر في النحو مثل كتاب (النحو الواضح) لعلي الجارم ومصطفى أمين، وكذا البلاغة الواضحة للمدارس الثانوية ودرست في العراق. كان لذلك أثر في تأليف كتب في النحو للمدارس المتوسطة والثانوية على غرارها. وأهم تجربة في هذا المجال ما ألفه الشيخ مهدي مطر في النحو كتاب (دراسات في قواعد اللغة العربية) بأربعة أجزاء وكان كتاباً منهجياً مقرراً لطلبة كلية الفقه، وهو شرح مبسط لقواعد النحو العربي أسهل من ألفية ابن مالك ويشمل قواعد العربية والصرف عامة.

وكان من هذا الطراز كتاب (المعجب) للسيد رؤوف جمال الدين وهو كتاب في قواعد العربية شرحها على غرار شرح الألفية. وكذا كتابه (مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد) وقد رد عليه الدكتور مصطفى جواد بكتاب ثمين هو

(دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم) كان حواراً جاداً ومفيداً.

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور مصطفى جواد أهم من دعا إلى إصلاح العربية وقواعدها في وقت مبكر منذ أن نشر مقالته (كيفية إصلاح العربية) سنة ١٩٣١[١] ثم مقالته (مشكلات اللغة العربية)[٢] ثم بحوثه في سلامة العربية[٣].

إن الاتجاه التقليدي في تدريس العربية كان شائعاً لدى مدرسي العربية على مختلف مراحل الدراسة، ومن أدركته منهم الشيخ يحيى الجواهري مدرس إعدادية النجف والأستاذ الشاعر صالح الجعفري والشيخ عبد الله الشرقي وآخرون، ولكل منهم طريقته في التدريس، فالجعفري كان أكثرهم تمكناً في إيصال مادة النحو، لأنه أديب شاعر، أما الأستاذ الجواهري فكانت طريقته في التدريس جافة تقليدية فيها شيء من تعقيد الألفية التي كان يحفظها ويفتخر بمعرفته إياها، ويمكن أن نضع مدرسي مادة النحو المعاصرين في هذا الباب.

إن الأساتذة في كلية الفقه الذين كانوا دعاة تحديث مناهج الفقه والأصول والمنطق وفي مقدمتهم الشيخ المظفر قد طبقوا دعوتهم في وضع كتب في هذه العلوم بمناهج جديدة لطلبة الكلية، وكان أثر ذلك في من تخرج في دوراتها الأولى ومنهم من كان يشارك أساتذته قبل أجازة الكلية مثل السيد مصطفى جمال الدين الذي وضع كتاباً بمنهج جديد في العروض هو (الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة)، كما كان له جهد في النحو في رسالته للدكتوراه (البحث النحوي عند الأصوليين)، بإشراف العلامة الدكتور مهدي المخزومي صاحب نظرية في تيسير النحو، وكذا ما كان لدى الدكتور صالح الظالمي في رسالته للدكتوراه أيضاً (تطور الجملة العربية بين النحويين والأصوليين) بإشراف الدكتور عبد الحسين الفتلي رحمه الله صاحب التجربة الطويلة في تدريس النحو، وكذلك الدكتور عبد الهادي الفضلي وجهوده في النحو والقراءات القرآنية وتأليفه فيها، وجهود الأستاذ إبراهيم الوائلي في تدريس اللغويات في جامعة بغداد.

أما الاتجاه الآخر في الدرس النحوي فهو الدعوة إلى إصلاح منهج النحو لا الكتاب فقط، وقد اتصلت هذه الدعوة في مبدئها بدعوة ابن مضاء القرطبي المتوفى ٥٩٢هـ في كتابه (الرد على النحاة) التي دعا فيها إلى إسقاط ما لا صلة له بالدرس اللغوي كفكرة العامل والمعمول التي شغلت النحويين طويلاً، كما دعا إلى إسقاط القياس المنطقي وإقامة النحو على أسس جديدة تتصل بمنابعه الأولى. وأول كتاب صدر في العصر الحديث سنة ١٩٣٧م في مصر ينادي بتيسير المنهج النحوي هو كتاب (إحياء النحو) للأستاذ إبراهيم مصطفى، دعا فيه إلى إقامة النحو على أسس لغوية وإبعاده عن آثار المنطق العقلي، وكان لهذا الكتاب أثر في الأوساط اللغوية فقد أثار حوارات ونقاشات وجدل في مصر ووقف منه أصحاب الثبات في منهجهم موقفاً

شديد الرفض والنقد.

وفي بداية الأربعينيات حصل ابن النجف مهدي المخزومي على بعثة إلى القاهرة للحصول على الشهادة الجامعية من (جامعة فؤاد)(القاهرة) وحصل عليها بجدارة، وعاد حاملاً فكرة الدعوة لتحديث الدرس اللغوي التي كان يميل إليها مع المجددين. ثم عاد إلى القاهرة في عام ١٩٥١م وحصل على شهادة الماجستير وموضوعه (الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه) بتفوق مع إعجاب أساتذته، وفي مقدمتهم إبراهيم مصطفى صاحب كتاب (إحياء النحو) فكان الانسجام مع تيار التجديد لديه، واستمر في تحصليه على الشهادة العليا (الدكتوراه) فاختار (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) بإشراف الأستاذ مصطفى السقا الذي كان معجباً بذكائه وبحوثه، فحصل عليها سنة ١٩٥٣ وكان قد امتاز بالجد في البحث والتحليل وفي اختيار موضوعه.

وعند عودته إلى بغداد أخذ ينشر أبحاثه ومقالاته مطبّقًا أفكاره في تيسير النحو وإصلاح منهجه، وكان ذلك في تأليفه كتابين: أحدهما (في النحو العربي نقد وتوجيه) عرض في مباحثه أسساً نظرية للدرس النحوي وما ينبغي له أن يكون عليه، بدءاً بتعريفه وظيفة النحوي وانتهاء بدراسته أساليب التعبير التي هي من صميم الدرس النحوي، وكانت كتب النحو تبعدها عن هذا الدرس لتكون في علم المعاني الذي هو قسم من أقسام البلاغة، لكن المخزومي جعل هذا القسم جزءاً مهما في الدرس النحوي كما كان عبد القاهر الجرجاني ينظر إلى معاني النحو أهميتها في فهم الكلام والتراكيب. وعرف فيه النحو بأنه عارضة لغوية يخضع لما تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور بينما هم يعرفونه بأنه اختلاف حركات الإعراب لاختلاف العوامل.

كما حدّد وظيفة النحوي في تسجيل ملاحظاته ونتائج اختباراته في صورة أصول وقواعد تمليها عليه طبيعة اللغة.

أما تيسير هذا العلم فهو في رأيه ليس اختصاراً ولا حذفاً للشروح والتعليقات كما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول في التيسير، وإنما هو عرض جديد لموضوعات النحو بيسر. ويسبق ذلك إصلاح شامل لمنهج هذا الدرس وموضوعاته أصولاً ومسائل، وقد حدد موضوعين مهمين ينبغي للدرس النحوي أن يعالجهما وقد أهملهما النحويون:

الأول: الجملة من حيث تأليفها ونظامها ومن حيث أجزاؤها وما يطرأ على أجزائها من تغيير.

الثاني: ما يعرض للجملة من معان عامة تؤديها أدوات التعبير التي تُستخدَم لهذا الغرض كالتوكيد وأدواته والنفي وأدواته والاستفهام وأدواته ... إلخ.

على هذه الأسس الواضحة والتفكير البعيد عن التعقيد تستمر مباحثه في الكتاب.

وأما الكتاب الثاني: (في النحو العربي قواعد وتطبيق ـ) فهو الجانب التطبيقي لنظريته في إصلاح النحو، وفيه رسم منهج كتاب جديد للنحو المدرسي جامع لأصوله وأبوابه، وهو خال من النظريات التعسفية المعقدة كنظرية

العامل وأثرها في خلق أبواب في النحو تزيد في تعقيده كبابيّ الاشتغال والتنازع وكذا نائب الفاعل وغيرها.

لقد كان لأفكار المخزومي وآرائه في اللغة أثر في الوسط الجامعي وفي دارسي كتبه، لذلك واجه كل دعاة الإصلاح من حقد حساده أشباه الأميين الكارهين للجديد، فقد استعانوا لمحاربته بكل الوسائل غير المشروعة[٤].

ولا عجب أن يكون في حياة العلماء الكبار منافسون وحاسدون كما يكون لهم معجبون ومريدون.

لقد كان المخزومي واحداً من الأصوات العالية المؤثرة في القرن العشرين، فالمخزومي في الدرس اللغوي، والجواهري في الشعر، وعلي جواد الطاهر في النقد، وجواد علي في التاريخ، ومصطفى جواد في اللغة والتاريخ، وهلال ناجي في تحقيق التراث.

والنجف مدينة ولود وهي مركز المرجعية والحوزة الكبرى في تخريج العلماء والفقهاء على مدى ألف عام. فإذا أخذنا القرنين الأخيرين فقط فهي قد خرجت علماء وفقهاء ومفسرين قادوا الحركة العلمية في العالم الإسلامي بل وحتى السياسية والاجتماعية.

لقد ظهرت بعد جيل المخزومي في النصف الثاني من القرن في النجف مجموعة من أصحاب الجهود في علوم اللغة والقرآن الكريم والتحقيق، من الأساتذة من تلامذته والمعجبين بعلمه منهم مصطفى جمال الدين وكاتب هذه السطور والدكتور محمد حسين الصغير والدكتور مناف الموسوي والدكتور محمد كاظم البكاء والدكتور عبد الأمير زاهد ومجموعة ممن فيه أمل الظهور بجهوده العلمية، ولجامعة الكوفة دور في إنجاز مجموعة من الرسائل والدراسات اللغوية في حقولها المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، فقد أنجزت أطروحة للدكتوراه لأحد طلبة كلية الآداب الدكتور عبد علي ناعور، درست الجهود اللغوية في النصف الثاني من القرن العشرين، وكان للنجف نصيب وافر فيها وآخر ما وصل إلي من الرسائل المنشورة والمنجزة في الكلية نفسها كتاب (الانسجام الصوتي في النص القرآني)، للدكتور تحسين فاضل عباس تتلوها مطبوعات أخرى.

وللجامعة الإسلامية وغيرها من المؤسسات العلمية دور في تنمية العلم وتوسيع الدرس اللغوي يتضح إن شاء الله بعد أن تظهر ملامحه فيمن يتخرج فيها من الطلبة والباحثين.

---

(١) انظر مجلة لغة العرب ج٢، ١٩٣١ لصاحبها أنستاس الكرملي بغداد ص٨١ ٩٤، وقد رد بها على مقالة القس رحماني الموصلي في جريدة العراق في ٢ حزيران ١٩٢٤ وعنوانها "اللغة العربية ووسائط ترقيتها"، وكان فيها مقترحات غير مقبولة مثل: إلغاء المشى.

(٢)مجلة المعلم الجديد العدد ١ سنة ١٩٤٠ ص٩٨ ١١١ .

(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ج١ ٢٠٥-٢٣٢، ج٢ ٩٢ ١١٩ سنة ١٩٥١، ١٩٤٥ .

(٤) أوضحت ذلك في كتابي (المخزومي ونظرية النحو العام)

القراءة الحداثية

للقرآن الكريم.. نظرة عامة

د.نور نظام الدين نجم الدين ●
كلية التربية /ابن رشد/جامعة بغداد

ينابيع

لا يوجد تعريف متسالم عليه للحداثة، ذلك لأن موضوعها نفسه أغراب وغموض ولكن السمة الغالبة فيها أنها مذهب أدبي أو نظرية فكرية تدعو إلى التمرد على الواقع، والانقلاب على القديم الموروث بكل جوانبه ومجالاته[1].

فهي:(انقلاب على الموروث بمختلف اتجاهاته ومناحيه، وهي تتيح للقارئ أن يتعامل مع النصوص بحرية سواء كانت مقدسة أو بشرية، لهذا فأن الفيلسوف الألماني (كانت) الذي يعد من آباء الحداثة يؤكد على أن الحرية هي لازمة الحداثة وشرطها، بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المقدس ورجال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل)[2]. (محمد مصطفى هدارة)

وما يعنينا من مفهوم الحداثة هو محاولات إسقاط متبنياتها على فهم القرآن الكريم، انطلاقاً من هذه الرؤية الغربية التي تدعو للتحرر من سمة المقدس والتعاطي مع النصوص جميعها نظرة استقلالية مجردة عن القدسية، هذه النزعة التي أخذت تترعرع في البيئة الإسلامية وتنمو على أيدي عدد من الباحثين المسلمين الذين تأثروا بها، فانعكست على تعابيرهم الاصطلاحية، فأطلقوا على القرآن الكريم تسميات ومصطلحات تتواءم مع مسلكهم الحداثي، فسموه بالقراءة الحديثة أو القراءة الجديدة، ودعوا إلى تجديد قراءة التراث وتقييمه على ضوء المنهج النقدي غير المقيد. لذا (فالحداثة ليس لها أصول تاريخية أو جذور معرفية داخل التربة الإسلامية، وإنما هي نتيجة جلبت من أرضها ومناخها الخاص وأريد استنباتها في أرض ومناخ مغايرين)[3].

ومن أهم العناوين التي نلحظها في قراءتنا لمظاهر الحداثة في رؤيتها وموقفها تجاه القرآن الكريم ما يأتي:

١ـ مصطلحات الحداثيين وتسمياتهم للقرآن الكريم:

سلك الحداثيون مسلكاً مغايرًا لما أطلقه القرآن الكريم على نفسه من أسماء، وتبعهم المسلمون في تعاطيهم المصطلحي معه، فخالفوا إلى حد ما التأصيل الإسلامي للمصطلح ودلالاته اللفظية والتعبيرية المأخوذة من القرآن، فهو (القرآن العظيم،

والقرآن الحكيم، والقرآن المجيد، والكتاب، وغير ذلك من الأسماء التي ذكرها القرآن الكريم نفسه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: (**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**)، وقوله تعالى: (**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**)، وقوله تعالى: (**وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**)، وقوله تعالى: (**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**)، بيد أنهم جاؤوا بمصطلحات أخرى تحاكي وتتبع مصطلحات المفكرين الغربيين الذين أسقطوا مفاهيمهم وتسمياتهم على النص التوراتي والإنجيلي، وقرأوه وفق منهجهم النقدي، وابتدعوها على ضوء القراءة الحداثية التي اعتمدوها، والتي تساوي بين المقدس وغير المقدس، فاقتفى الحداثيون من المسلمين آثار أولئك الغربيين، وأسقطوا مصطلحات مشابهة لما أطلقه أولئك على كتبهم الدينية، فعبروا عن القرآن الكريم بالمدونة القرآنية، والمدونة النصية القرآنية، والمدونة الرسمية، والنص الرسمي، كما أنهم سموا الآيات القرآنية مقطعاً، أو وحدات نصية، وعبروا عن الآية بأنها وحدة نصية، وذهبوا إلى تسمية الآية بالمنطوقة اللغوية)[٤].

٢ـ تجويز النقد على القرآن الكريم:

ذهب الحداثيون إلى أن القرآن قابل للنقد، بل إن النقد على القرآن لازم محصلته التغيير والتطوير، يقول أحدهم: (يرى الخطاب العلماني أن نقد القرآن من المناطق المحرمة في فكرنا مع أن هذا النقد ضروري ولا بد منه كي يحافظ الإنسان على تماسكه المنهجي أو العقلي)[٥] وقد تطور الأوربيون لأنهم أخضعوا نصوصهم المقدسة للنقد[٦][٧].

ويقول كبيرهم: (عملي يقوم على إخضاع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن)[٨].

ولكن الحداثيين يتحدثون في الظاهر

عن النقد المؤدي للتطوير والثورة الفكرية، ليسلكوا مسلكاً آخر في حقيقة هذا النقد يقترب مما سلكه الأولون، وهدفوا إليه وعمدوا إلى محاولات لنزع القدسية عنه، فوصفوا النبي بأنه شاعر، وأنه يهجر، ونقل القرآن الكريم أقوالهم فقال: (**بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ**)(الأنبياء:٥)، كما أنهم عمدوا للتشويش على القرآن والضجيج إذ ذكر القرآن واقعهم هذا، في قوله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**)(فصلت: ١٠).

من هنا يمكن أن تعد النزعة الحداثية النقدية لوناً آخر من اللغو في القرآن الكريم، لأن المنحى النقدي الذي يريدونه والنتائج التي يبتغون الوصول إليها يجب أن لا تلتقي مع النتائج التي يريدها القرآن، فهم لا يعدون النقد الذي ينسجم مع الرؤية القرآنية نقداً إيجابياً ما دام لا يتناقض مع القرآن ولا يخالفه، فالنقد بالمفهوم العلماني يجب أن يخرج بنتائج مناقضة للقرآن ومضادة لتعاليمه، فالنقد الذي يرسخ المعاني القرآنية ويؤكدها هو نقدي تقليدي أيديولوجي تبجيلي، أما النقد الذي يرفض بعض العقائد القرآنية أو يسخر منها أو يستهزئ بالقرآن فهو الذي يسمى نقداً تنويرياً[٩].

وعلى ضوء هذا يتجلى أن قيمة النقد العلمي عندهم تتجسد في إتيانه بنتائج مناهضة للقرآن الكريم، وهذه النتائج من شأنها بنظرهم أن تهدي الأمة إلى التطور، كما أوصل نقد الكتب المقدسة عند الأوربيين وقادها إلى النهضة والتنوير، وكأن القرآن الكريم في نظرهم عامل تأخير وتلكؤ في حركة الأمة.

وهذا يكشف عن تهافت هؤلاء على المناهج الفكرية المتبعة في المجتمع الغربي وما توصلوا إليه من علوم ونظريات تجاه واقعهم الفكري والاجتماعي، فاندفعوا لإسقاط تلك المناهج والأفكار على القرآن الكريم، ليعيدوا إنتاج نفس النتائج التي توصل إليها علماء الغرب في قراءتهم التوراة والإنجيل، وهم بذلك يتجاهلون حقيقة أساسية هي أنه ليس كل ما ينسجم مع التفكير الغربي ويصلح التعامل به مع موروثهم يصلح لنا وينسجم مع رؤيتنا تجاه القرآن الكريم، لوجود فرق جوهري، هو أن كتبهم منزوعة القدسية، كونها إنتاجاً بشرياً قابلاً للنقد، في حين أن القرآن الكريم كلام الله الذي (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) ومن هنا وقع هؤلاء في خطأ وخلط كبير بتقليد ما هو بشري مع ما هو إلهي مقدس.

٣- تاريخية القرآن الكريم:

التاريخية: هي إخضاع الوجود بما فيه لرؤية مادية ومكانية قائمة على الحتمية والنسبة والصيرورة [١٠].

كما أن القول بتاريخية نص ما يعني ربطه بحدود الزمان والمكان الذي ظهر فيهما، وعده نتاجاً للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية[١١].

والتاريخية التي يعنون بها في دراستهم للقرآن ووصفه بها هي إخضاع القرآن الكريم لأثر الزمان والمكان والمخاطب مطلقاً)، أي إنهم يعمدون إلى جعل القرآن خاضعاً للواقع الذي جاء فيه والبيئة التي نزل فيها وليد اللحظة التاريخية والظرف المحيط، إذ إنه ينفعل مع هذه الظروف ويتأثر بها ويتماشى معها فيقول قائلهم: (أريد لقراءتي في أن نطرح مشكلة لم تطرح عملياً قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي ألا وهي تاريخية القرآن و تاريخية

ارتباطه بلحظة زمنية تاريخية معينة) [١٢].

فهو بذلك يريد أن يتحرك بالفكر الإسلامي إلى ساحة تقترب من الفكر الغربي إذ إنه يريد أن يلبس الفكر الإسلامي بلباس الفكر الغربي الذي لا ينظر إلى النص على أنه نص مقدس وأنه مرتبط باللحظة الزمنية وبالرقعة المكانية المحدودة.

ثم يأتي من يتحرك في هذه المسافة أكثر حين يقرر أن القرآن نتاج ظروف بيئية أثرت في بلورته، فيقول (البحث التاريخي ثبت لنا بأن القرآن مرتبط بظروف عصره وبيئته)[١٣] أو (أن التاريخية المتعلقة بالنص تعني ارتباطيه باللحظة التاريخية التي صدر فيها)[١٤].

وهو بذلك يكون مقيّداً بتلك اللحظة الزمنية وتلك الرقعة الجغرافية فيرى (أن النص القرآني وإن كان مفهومًا ذا صلة إلهية مطلقة غير بشرية فإنه يمثل خطاباً نسبياً موجهاً للبشر أو بتعبير أدق لبشر ينتمون إلى شعب معين وزمن تاريخي معين وحقل جغرافي معين)[١٥].

وهناك منحىً أكثر جرأة في الكشف عن معتقداته تجاه القرآن الكريم وتأثره بالظروف الاجتماعية إذ يقول: (النص يعفو متى وجب، ويأمر بالقتل متى استقام له الأمر)[١٦] ويجاريه من يذهب إلى أبعد منها حين يعتقد أن القرآن الكريم ينزل بحسب أهواء الصحابة وحاجاتهم وطلباتهم فيقول: (عندما تتأزم المشكلات يقع كبراء الصحابة في ورطة يسعفهم (محمد) بالحل بأن يتلو عليهم آيات من القرآن تأتي بالفرج بعد الشدة)[١٧].

هذه بعض من متبنيات الحداثيين التي أرادوا أن يؤدلجوا المجتمع الإسلامي عليها وهي تحتاج إلى دراسة متخصصة أكثر عمقاً وتناولًا من هذه الإشارات التي أوردناها في البحث لكي تقف الأمة الإسلامية وقفة جادة لحفظ كتابها الكريم من محاولات اللغو بعناوين مختلفة أكثر قدرة على التمويه والتضليل.

---

(١) نظرية تقويم الحداثة/د.عدنان علي رضا النحوي ص٢٦.

(٢) مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، بحث للكاتب الحداثي:علي وطفة ص١١ مجلة فكر ونقد/ العدد (٣٤).

(٣) الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم/د. الجيلاني مفتاح/ ص٢٠.

(٤) انظر: إشكاليات القراءة/جورج طرابيشي، ص٦٢ . والقرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني/محمد أركون، ص ٣٩و ١٥٥ . والوحي والقرآن والنبوة/ هشام جعيط ٦١و ٤٩.

(٥) انظر: النص القرآني/طيب تزيني ص ٣٥٢.

(٦) سلطة النص/عبد الهادي عبد الرحمن ص١٥.

(٧) العلمانيون والقرآن /د. أحمد إدريس الطعان ص٧٥٦.

(٨) مجلة الثقافة الجديدة /محمد أركون، ، العدد ٢٦ ، ٢٧، ١٩٨٣.

(٩) العلمانيون والقرآن /د. أحمد إدريس الطعان ص٧٦٦ .

(١٠) العلمانيون والقرآن /د. أحمد إدريس الطعان / تاريخية النص، ص٣٣٢.

(١١) انظر: القرآن الكريم والقراءة الحداثية دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون / د. الحسن العباقي، ص٤٨

(١٢) العلمانيون والقرآن /د. أحمد إدريس الطعان / تاريخية النص، ص٢٩٦

(١٣) ثقافتنا في ضوء التاريخ /عبد الله العروي، ص٥٠.

(١٤) انظر: النص السلطة الحقيقة /نصر حامد أبو زيد، ص٧١ ، ٦.

(١٥) النص القرآني/طيب تزيني ص٣٨١.

(١٦) تاريخية التفسير القرآني /نائلة السليني، ص٤٧.

(١٧) مجتمع يثرب/ خليل عبد الكريم، ص٧٣.

شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الفكرية

أ.م.د خليل خلف بشير •
جامعة البصرة – كلية الآداب

ينابيع

لقد لفت الإمام علي عليه السلام انتباه الفكر الإنساني عامة بشخصيته الفذة النادرة الملهمة، فكان موسوعة فكرية عامة تألقت في مختلف ميادين الفكر والمعرفة لذا تراه مؤسساً لكثير من العلوم بمختلف تقسيماتها ، ولا غرابة في ذلك فقد استقى علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتربى في حجره منذُ الصغر ، وفتح (عينيه على الطريق التي رسمها ابن عمه ، وعرف العبادة أول ما عرفها من صلاته ، ونَعِمَ بعطفه وحنانه وإخائه... وخفق قلب علي أول ما خفق بحب ابن عمه ، ونطق لسانه أول ما نطق بما لقّنه إياه من رائع القول، واكتملت رجولته أول ما اكتملت لمؤازرة النبي المضطهد)[1] وارتشف منه التقى والهدى والإيمان والعلم والمعرفة والحكمة فكان له أباً وأخاً وصديقاً وأستاذاً كما يشير إلى ذلك في قوله:(أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، .....إلى آخر كلامه)[2].

وتكشف هذه الرواية عن شدة العلاقة ومدى الرابطة الحميمة بين علي عليه السلام ،والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والموقع والمكانة التي يشغلها من اهتمامه بتلقيه علوم الوحي وتفسير كتاب الله ، وأنه كان يلقي عليه من أخلاقه وعلومه وتجاربه، وبالمقابل كان علي عليه السلام يتلقى كل ما يفيض عليه معلمه ومربيه من صنوف المعرفة ، وهذا يدل على أنه تلقى عن معلمه الأوحد كل ما علّمه

إيـاه[٣]، ومن ذلك علوم القرآن من التأويل والتفسير ،والناسخ والمنسوخ ،والمحكم والمتشـابه ،والخـاص والعـام وغير ذلك كمـا يتضح من الرواية الآتيـة: ((وقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُـولِ اللّه ﷺ كُلَّ يَوْم دَخْلَةً وكُلَّ لَيْلَةٍ دَخْلَةً فَيُخَلِّينِي فيهَا أَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، ..... وكُنْـتُ إذَا سَـأَلْتُه أَجَابَنِـي وإذَا سَـكَتُّ عَنْه وفَنِيَتْ مَسَـائِلِي ابْتَدَأَنِي، فَمَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللّه ﷺ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إلَّا أَقْرَأَنِيهَـا وأَمْلَاهَا عَلَـيَّ ..... ودَعَا اللّهَ أَنْ يُعْطِيَنِي فَهْمَهَا وحِفْظَهَا، فَمَا نَسِيتُ آيَةً مِـنْ كِتَابِ اللّه ولَا عِلْماً أَمْـلاه عَلَيَّ وكَتَبْتُه مُنْـذُ دَعَا اللّه لِي بِمَا دَعَـا ..... فَقُلْتُ : يَا نَبِـيَّ اللّه بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّـي مُنْذُ دَعَوْتَ اللّه لِـي بِمَا دَعَوْتَ لَمْ أَنْسَ شَـيْئاً ولَـمْ يَفُتْنِي شَـيْءٌ لَمْ أَكْتُبْه أَفَتَتَخَوَّفُ عَلَيَّ النِّسْيَانَ فِيمَا بَعْدُ؟ فَقَالَ: لَا لَسْتُ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ النِّسْيَانَ والْجَهْلَ)[٤].

ويُعَـدُّ أميـر المؤمنين عليه السلام سـبّاقاً في كثير من العلوم كالنحو ، وعلوم القرآن – ومنه التفسـير - ،والفيزياء ، والكيمياء ، والرياضيات ، وأسـرار الكون ، وغيرها فقـد فهم الدارسـون من مقولـة الإمام (الإنسان يشارك السبع الشداد [٥] أنّ الإنسان سيتمكن من ارتقاء السماء ، والتعرف إلى أسـرار القمـر والمريخ والزهـرة وزحل والكواكب الأخرى فيكون الإمام قد سـبق العلماء فـي ما توصلوا إليـه حديثاً ،وكذا فـي قوله :(في التجارب علم مسـتفاد)[٦] ،وقولـه: (مـا من حركـة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة)[٧] فقد سبق الإمام بيكون في اكتشـاف الطريقة التجريبية في العلوم الطبيعية، لقد كان علي عليه السلام رجل علم قبل أن يكون رجـل دين ، وقد أحبّ العلم ، فكان وعـاءً لعلوم شـتى ، ولو بـثّ علومه كلها لتحولـت الدنيا إلى غيرهـا ، وتغير وجه الحياة ، وازدهرت بالبركات والخيرات ، وتحولت الأرض إلى بسـاط أخضر وربيع

مقـرّ ولكان الإسـلام دين الأرض وسـيّد الدنيا ، وارتقت البشرية إلى مرحلة فكرية فلا ظلـم ولا تخلف ولا فسـاد ولأكلنا من ثمـرات الأرض ، ولـو جمعنا ما روي عنه لأدركنا أنه رجل علم ومدرسـة علمية لكنه عاش في مجتمع لم يعرف للعلم ثمناً ، ولا للعلمـاء وزناً [٨]فهو القائـل : (بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُـونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِـهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِـيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ)[٩] ، فهذا العلم الجم الـذي لم يجد من يعينه ، والعلـم المكنـون الذي إباحتـه تقتضي اضطراب سـامعيه ، ليس علمًا قد اكتسبه بقراءة ودراسـة ومباحثة وتكرار ، بل هو علم لدنـي قذف الله تعالى نـوره في قلبه من مشـكاة تقواه ، وألهمه إيـاه لما تحلى زهده في متاع دنياه[١٠] ،فهو القائل :(عندي علم المنايـا والبلايا والوصايا والأنسـاب والأسباب وفصل الخطاب ومولد الإسلام مـوارد الكفر وأنـا صاحب الميسـم وأنا الفـاروق الأكبر ...)[١١]،وكذا القائل :(والله لو شـئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسـول الله صلى الله عليه وآله)[١٢] فلم يستفيدوا من علمه فهو حينما كان يقول (سلوني قبل أن تفقدوني) فكان سـعد بن أبي وقاص يسأله : كم شعرة في رأسي ولحيتي ؟ استهزاءً بما طرحه الإمام فيجيبـه الإمام عن مغيّـب : (إنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله) إشارة إلى أن له صبياً سـيكبر ويقتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ، وهو عمر بن سعد[١٣].

لـذا يصـح القـول : إنـه مـن العلماء المظلومين في الحياة ؛ لأنه لم يُسـمع له ،ولـم يؤخذ منه كمـا أراد ورغب ؛ ولأنه العالـم وليس كالعلماء[١٤] فهـو القادر على القضـاء والحكـم لأهل التـوراة بتوراتهم ،ولأهل الإنجيـل بإنجيلهم ،ولأهل القرآن بقرآنهـم لقوله:(... أمـا والله لو ثنيت لي الوسـادة فجلسـت عليهـا ، لأفتيت أهل التـوراة بتوراتهم وأهـل الإنجيل بإنجيلهم ،وأهـل الزبور بزبورهـم ، وأهل القرآن بقرآنهـم ، حتى ينطـق كل كتاب من كتب الله فيقـول : " صدق علـي لقد أفتاكم بما أنـزل الله فـي " وأنتم تتلـون القرآن ليلاً ونهـارًا فهل فيكم أحد يعلـم : ما أنزل الله فيه ، ولولا آية فـي كتاب الله لأخبرتكم : بما كان ، وما يكون ، وما هو كائن إلى يوم القيامـة وهي هذه الآيـة : (**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**)(الرعد:٣٩) ثم قال : سَلوني قبل أن تفقدوني ، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لو سألتموني عن : آيـة آية في ليل نزلـت أم في نهار نزلت ، مكيّهـا ومدنيها ، سـفريها وحضريها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها لأنبأتكم ...)[١٥].

فلـو ثنيت الوسـادة لأميـر المؤمنين عليه السلام بعد وفاة الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم وتسـلم قيادة الحكم لتطورت الحياة الإسلامية ،وسادت القيم الأصيلة والمثل العليا فقد كان الإمام يملـك طاقات هائلـة من العلـم لا يملكها غيره فثرواته العلمية شـملت جميع ما يقع في الدنيا من أحـداث في ما هو كائن وما يكون حتى يرث الأرض ومن عليها لكن من المؤسـف أنّ الأمة لم تسـتغل هذا الجهبذ العظيم ، ولم تحتضنه ليفيض عليها بعلومه ومعارفـه وثقافتـه فقد باعـدوا بينه وبين الحياة السياسـية العامة في البلاد محتجين بحجـة تتمُّ عـن حقدهم الدفيـن وهي أن الخلافة والنبوة لا تجتمع في بيت واحد[١٦] متناسين أنه الوحيد من بين الصحابة الذي

لم يُسأل عن مسألة إلا وأجاب عنها ، بل هو الوحيد الذي لم يحتج أن يسأل أحداً عن مسألة ، وهو المرجع الذي يرجع إليه الصحابة في جميع أمورهم، فقد سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي عالم العربية المعروف ،وصاحب أول معجم عربي هو العين ، ومخترع علم العروض عن الدليل على إمامة علي عليه السلام، على نحو الكل في الكل ، قال: احتياج الكل إليه ، واستغناؤه عن الكل[١٧].

لقد رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن علمه ليس له فهو ليس مثل بقية الذين يحملون العلم من أجل أن يجمدوه في ذواتهم أو ليحصلوا على امتيازات خاصة، فقد كان يشعر أن علمه ليس ملكاً له ؛ لأنه ملك الله ،والله يريد منه أن ينفقه على خلقه، لذا كان يطلب من الناس ، وهو مسجى على فراش الموت أن يسألوه فلا يترك فرصة يشعر فيها أن الناس بحاجة إليه إلا وبادر إليها من أجل إزالة شبهة عنهم أو فتح باب لهم للحق أو تخطيط لهم على طريق الهدى أو إنقاذهم من طريق الضلال[١٨].

وقد شهد بفضله القاصي والداني، ونكتفي بذكر شهادة الدكتور محمد حسين الذهبي الذي قال عنه إنه :((كان رضي الله عنه بحرًا في العلم ، وكان قوي الحجة سليم الاستنباط، أوتي الحظ الأوفر من الفصاحة والخطابة والشعر ، وكان ذا عقل قضائي ناضج ، وبصيرة نافذة إلى بواطن الأمور ، وكثيرًا ما يرجع إليه الصحابة في فهم ما خفي واستجلاء ما أشكل ، وقد ولاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضاء اليمن ودعا له بقوله : (اللهم ثبت لسانه واهد قلبه)[١٩] فكان موفقًا ومسددًا فيصلًا في المعضلات حتى ضرب به المثل فقيل : (قضية ولا أبا حسن لها)[٢٠]. ولا عجب ، فقد تربى في بيت النبوة ، وتغذى بلبان معارفها وعمته مشكاة أنوارها)[٢١].

هوامش:

(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية / جورج جرداق ٦٨.

(٢) نهج البلاغة / أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، الخطبة ١٩٢، ص ٣٤٨-٣٥٠.

(٣) ينظر : مدارس التفسير الإسلامي / علي أكبر بابائي ٧١/١.

(٤) الكافي / الكليني ٦٤/١.

(٥) وردت هذه المقولة في شرح الصحيفة السجادية /حسن السيد علي القباناي ٨٤ .

(٦) المقولة لأمير المؤمنين وردت في ميزان الحكمة / محمد الريشهري ٣٧٦/١.

(٧) من وصاياه لكميل بن زياد ،ينظر : تحف العقول / ابن شعبة الحراني ١٧١.

(٨) ينظر : الإمام علي القرآن الناطق/ نعمة هادي الساعدي ٢٤٧.

(٩) نهج البلاغة ،الخطبة ٥ ،ص٣٢.

(١٠) ينظر : مطالب السؤول في مناقب آل الرسول / محمد بن طلحة الشافعي .٨٢

(١١) بصائر الدرجات / محمد بن الحسن الصفار ٢٢٢.

(١٢) نهج البلاغة ،الخطبة ١٧٥،ص ٢٨٩.

(١٣) ينظر : بحار الأنوار/المجلسي ١٩٢/٤٠.

(١٤) ينظر : الإمام علي القرآن الناطق/ نعمة هادي الساعدي ٢٤٧.

(١٥) الاحتجاج / الطبرسي ٣٨٥/١.

(١٦) موسوعة الإمام أمير المؤمنين / الشيخ باقر شريف القرشي ٨/٣-٩.

(١٧) ينظر : معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ٨١/٨.

(١٨) ينظر : في رحاب أهل البيت ١٦٢/١.

(١٩) ورد في أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين ٢٨٧/١.

(٢٠) مقولة لعمر بن الخطاب(ينظر : الرسالة السعدية / العلامة الحلي ٢٥).

(٢١) التفسير والمفسرون / الذهبي ٨٩/١.

العفو
سجية النبلاء

فارس رزاق علوان الحريزي •

ينابيع

قال علماء الأخلاق أن العفو: هو أن تستحق حقاً فتسقطه وتبرأ عنه من قصاص أو غرامة[1]، وهو ضدّ الانتقام، وقيل: هو ترك عقوبة الذنب.

ومن خصائصه: ينبغي أن يكون عند التمكّن، والمقدرة، فإنما يعفو المرء عن غريمه إذا كان قادراً على عقوبته، والاقتصاص لنفسه وليس حينما يعجز عن ذلك.

وللعفو صلاته مع بعض الخصال، إذ قبل الولوج فيه لابد من معرفة ما يأتي:

١ـ الحلم: ضبط النفس عن هيجان الغضب، والغضب ثورات النفس واشتعالها لإرادة الانتقام، وهو الإمهال بتاريخ العقوبة المستحقة.

٢ـ كظم الغيظ: معنى الكظم: هو الحبس والشدّ، فكظم الغيظ يعني: تأجيل العقوبة إلى وقت آخر، أو موقع آخر، فيه صبر وأناة، وفيه ضبط النفس عن هيجان الغضب.

٣ـ الصفح: هو ترك العقوبة عن الذنب، وعدم التثريب واللوم عليه، ومن ضروراته العفو، ومن مستلزماته الرفق والستر والرحمة.

وقد ورد في الكتاب آيات كثيرة، وفي السنة نصوص مستفيضة، في فضل هذه الخلائق وحسنها، والحث على تحصيلها، والجري على وفقها.

فقد قال عز وجل في كتابه الكريم: (**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**)(آل عمران: ١٣٤) وأمر بقوله: (**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**)(النور: ٢٢). وقوله: (**خُذِ الْعَفْوَ**) (الأعراف: ١٩٩) وقوله: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)(الحجر: ٨٥) وقوله: (**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**...)(الشورى:

٤٠) وقوله: (**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ...**)(الزخرف: ٨٩) إلى غير ذلك من النصوص:

إن من خير الدنيا والآخرة ومكارمها: أن تعفو عمن ظلمك وتحلم إذا جهل عليك[٢]. وأنه إذا جمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد نادى منادٍ: أين أهل الفضل؟ فيقوم عنق من الناس فيسأل عن فضلهم، فيقولون: كنا نعفو عمّن ظلمنا، فيقال صدقتم، أدخلوا الجنة[٣]. والعنق: الجماعة. وقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام كن عفواً في قدرتك، جواداً في عسرتك، مؤثراً في فاقتك، تكمُل لك الفضائل[٤]. وإن علي بن الحسين عليه السلام قال: إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه، وإن الله يحب الحيي الحليم[٥]. وإن كظم الغيظ إذا كان في الرجل استكمل خصال الإيمان وزوجه الله من الحور العين كيف يشاء. وإن من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ قلبه يوم القيامة رضاه وحشاه أمناً وإيماناً.

ولنا في رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار أسوة حسنة وما علمونا عليه من الرفد المستمر، وبطريق واضح وإن عليه الرأفة والرحمة إذ تسامى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عفوه ورحمته، وبروز سجيته، وسمو أخلاقه التي يرجى منها ترك العقوبة حتى مع شانئيه وأعدائه:

١ـ المقبلون على قتله، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُتي باليهودية التي سمت شاة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ملكاً أرحتُ الناس منه. قال: فعفى عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٦].

٢ـ كان أبو هريرة قد تكلم في الإمام علي عليه السلام وأسمعه، ثم جاء في اليوم الثاني وسأله حوائجه، فقضاها الإمام له، وكان من كلامه عليه السلام: إلى كم أغضي الجفون على القذى، وأسحب ذيلي على الأذى، وأقول

لعلّ وعسى؟[٧].

٣ـ موقف الإمام الحسن عليه السلام مع الشامي الذي كان يلعنه، والحسن عليه السلام لا يرد بفضل حلمه وعفوه وصفحه وصبره وحسن خلقه وتجرّعه الغيظ وكظمه، مما حدا بالشامي الحب له والولاء والاعتقاد بإمامته[٨].

٤ـ وجنى غلام للإمام الحسين عليه السلام جناية توجب العقاب، وبعد توسله للإمام عليه السلام قال له: أنت حرٌ لوجه الله، ولك ضعفُ ما كنت أعطيك[٩].

٥ـ وكذلك فعل الإمام زين العابدين عليه السلام، مع الجارية التي سقط منها الإبريق وشق وجهه، إذا قال لها اذهبي فأنت حرّة[١٠].

٦ـ قال نصراني للإمام الباقر عليه السلام: أنت بقر؟ قال: لا، أنا باقر، قال النصراني: أنت ابن الطباخة؟ قال: ذلك حرفتها، عاد النصراني: أنت ابن السوداء الزنجية البذيئة (طويلة اللسان)، وباقر العلوم أمه أم عبد الله بنت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ولذلك هو أول من كان علوياً وفاطمياً من الأب والأم. فأجابه الباقر: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك، فأسلم النصراني[١١].

٧ـ أما الإمام جعفر الصادق عليه السلام فأحسن إلى غلامه، وأجاد على الحسن الأفطس وهو عليه السلام في حالة إغماء، فقيل له: أتعطي من حمل عليك الشفرة يريد قتلك؟ فقال عليه السلام: أتريد ألا أكون من الذين قال الله عز وجل: (**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**) (الرعد: ٢١)[١٢].

٨ـ نقرأ في سيرة الإمام موسى الكاظم عليه السلام: أنه كان يعفو عن الناس، كعفوه عن الذي سرق كارة تمر من بستانه، فوهبها له وقال عليه السلام خَلّ عنه[١٣].

٩ـ موقف الإمام علي الهادي عليه السلام مع صاحب صلاة الحرمين، المسبب إلى إحضاره بالإجبار إلى سامراء، فعفا عنه عندما استعفاه[١٤].

١٠ـ ومن أخلاق بعض الأصحاب كأبي ذر الغفاري(رض) الذي عفا عن غلامه الذي أراد أن يغيظه، وكذلك سلمان الفارسي المحمدي، وعمار بن ياسر، وابن مسعود، ومالك بن الأشتر وغيرهم فسجيتهم دائماً العفو.

فالعفو يثمر عن إصلاح ذات البين، وعن خلق المودة والإخاء والمحبة بين الناس وبه تزال الضغائن والأحقاد ويكون سبباً لصلة الرحم، وزوال العقوق حين تعود الروابط الرحمية بني المؤمنين، وهذه هي سجية النبلاء.

١ـ المحجة البيضاء: ٥/ ٣١٨ باب فضيلة العفو
٢ـ الكافي: ج٢، ص١٠٧ـ بحار الأنوار: ج٧١، ص٣٩٩ مرآة العقول: ج٩، ص٤٢٨
٣ـ بحار الأنوار: ج٧١، ص٤٠٠ الكافي ج٢، ص١٠٨
٤ـ غرر الحكمة: ٢٤٧
٥ـ وسائل الشيعة: ج١١، ص٢١١
٦ـ الكافي: ٢/ ٨٩ باب العفو
٧ـ مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٣١، وشرح نهج البلاغة: ٣/ ٢٥٣.
٨ـ العفو، جعفر البياتي، ص١٠٨ ١٠٩
٩ـ كشف الغمة: ١٨٣، والفصول المهمة: ١٥٩
١٠ـ أمالي الصدوق: المجلس ٣٦/ ج١٢
١١ـ مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٢٤ .
١٢ـ المصدر نفسه: ٤/ ٢٩٥ .
١٣ـ الكافي: ٢/ ٨٨ باب العفو
١٤ـ إثبات الوصية: ٢٢٥

لكل مثل حكاية

* « زَوْجٌ مِنْ عُودْ ، خَيرٌ مِنْ قُعُودْ »

قالته بعض نساء العرب ، قالوا :

كان ذو الإصبع العدواني غيورًا ، وله بنات أربع ، وكان لا يزوّجهنّ غيرةً عليهنّ ، فاستمع عليهنّ يومًا وقد خلون يتحدّثن ، فقالت إحداهنّ : لتقل كلّ واحدة منا ما في نفسها ، ولنصدُقنّ جميعًا ، فاشتهت كلّ واحدة من الثلاثة زوجًا وصفت من جماله وكماله وسعة حاله ، ثم أبت الصغرى أن تتكلّم ، فقالوا : لا بدّ أن تقولي ، وألّحوا عليها ، فقالت :

زَوْجٌ مِنْ عُودْ ، خَيرٌ مِنْ قُعُودْ ،.. فزوّجهنّ .

* وقولهم : « زُرْ غَبًّا.. تَزدَدْ حُبًّا »

قاله معاذ بن صرم الخزاعي ، وكانت أمّه من عكّ ، وكان يكثر من زيارة أخواله ، فأقام فيهم زمانًا ، ثم خرج يتصيّد مع بني أخواله ، فحمل على عير ، فلحقه ابن خال له يقال له : الغضبان فتخاصما ، فقال له الغضبان : والله ! لو كان فيك خير لما تركت قومك ، فقال : زُرْ غَبًّا ، تَزدَدْ حُبًّا ، فأرسلها مثلا ، وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا شئت أن تقلى فَزُرْ متواليًا وإن شئت أن تزداد حبًّا فَزُرْ غبّا

نهاية الأرب في فنون للأدب/ الموري ج٣ ص٣٣

الأكل عند أهل المصيبة بين الجاهلية والإسلام

السيد معد البطاط •
أستراليا

من العادات السيئة وإن شئت فقل مصيبة على مصيبة تحدث في العرف السائد في كثير من البقاع، إذ يقوم أهل المصيبة بالذبح والطبخ لاستقبال المعزين إلى سبعة أيام، وفي الليلة السابعة يصنعون الطعام الكثير أيضًا باسم السابعة، وبعضهم في الليلة الثالثة، وهذه العادة عادة جاهلية كما سنبين إن شاء الله بدليلين هما :

١- إنها لم تعد من الولائم :

فهي ليس من الولائم المحببة ففي جواهر الكلام عن النبيﷺ: (لا وليمة إلا في خمس : في عِرْس ، أو خُرس ، أو عِذار ، أو وِكار ، أو رِكاز . أي التزويج ، والنفاس بالولد ، والختان ، وشراء الدار ، وقدوم الرجل من مكّة ..)[١] . ولم يعد منها الأكل في المصائب ،ولذا سميت وضيمة وليس وليمة.

قال المرداوي: الأطعمة التي يدعى إليها الناس عشرة ...العاشر الوضيمة وهو طعام المأتم[٢].

٢- إنها عادة جاهلية وقد خالفتها السنة :

كانت هذه العادة من عمل أهل الجاهلية، ولكن النبيﷺ غيرها وعكسها فبدلًا من أن يأكل عند أهل المصاب من طعامهم أمر أن يصنع لهم الطعام ويبعث إليهم لأنهم مشغولون بمصابهم، فعن الصادقعليه السلام: (الأَكلُ عندَ أهلِ المُصيبَةِ من عَمَلِ أهلِ الجاهليَّة ، وَالسُّنَّةُ البَعثُ إليهم بالطَّعام كما أمَرَ بِهِ النَّبيّﷺ في آلِ جَعفَرِ بنِ أبيَ طالب لَمّا جاءَ نَعيُهُ)[٣].

وعنه عليه السلام قال: (لَمَّا قُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع) أَمَرَ رَسُولُ اللَّهﷺ فَاطِمَةَ ع أَنْ تَتَّخِذَ طَعَاماً - لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وتَأْتِيَهَا ونِسَاءَهَا فَتُقِيمَ عِنْدَهَا ثَلَاثَةَ

أَيَّـام فَجَرَتْ بذَلكَ السُّـنَّةُ أَنْ يُصْنَعَ لأَهْلِ الْمُصِيبَةِ طَعَامٌ ثَلَاثاً)[٤] .

وعـن الباقر عليه السلام قَـالَ: (يُصْنَـعُ لأَهْـلِ الْمَيِّتِ مَأْتَمٌ ثَلَاثَةَ أَيَّام مِنْ يَوْمَ مَاتَ)[٥].

وعن الصادق عليه السلام قال: (يَنْبَغِي لِجِيرَانِ صَاحِبِ الْمُصِيبَـةِ أَنْ يُطْعِمُوا الطَّعَامَ عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّام)[٦] .

رأي العلماء

هناك عدة اسـتفتاءات في الموضوع لعدة من العلماء اخترت من بينها اسـتفتاء موجه إلى مكتب المرجع الكبير سـماحة السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله) لما فيه من إسهاب وشمول فقد جاء الرد عن هذه العادة:

(إن تعزيـة المصـاب وإن كانت سُـنة مؤكدة بل فيها أجر عظيم وثواب جسـيم كمـا نطقـت بفضلهـا الأخبـار ، إلا أنـه يكفي رؤية صاحـب المصيبة كما ورد في الحديث:(وكفـاك مـن التعزيـة أن يراك صاحب المصيبـة) ، ويجوز الجلوس فيها ولكن قيل بكراهة مـا زاد على يوم واحد إلا أن يكون الجلوس بقصد قراءة القرآن والدعاء.

وينبغي مع ذلك مراعاة آداب التعزية، فلا يحسن التثقيل على أهل الميت وذويه وإحراجهم، فإن ذلك ينافي التسـلية لهم والمواساة معهم.بل يراعى التخفيف عنهم وإعانتهم ما أمكن.

وقـد ورد اسـتحباب إرسـال الطعام إليهم .وكأنه لدفـع العناء عنهم وتكريمهم ،كمـا ورد كراهـة الأكل عندهـم ..ففي الحديث عن الصادق عليه السلام: (الأكل عند أهل المصيبة من عمـل الجاهلية)..وذكر بعض الفقهاء أنه يختـص بما كان من عندهم لا ما يهدى إليهم من الأقرباء والجيران على السنة المذكورة.

كمـا يجب مراعـاة المعزيـن للحدود الشـرعية في تعزيتهم ووفودهم علة أهل الميـت من اجتنـاب إلحاق الضـرر بهم والتصـرف في أموالهم بغيـر رضاهم أو

التبذير والإسراف فيها، فإن هذا المقام أحق بمراعاة التقوى فيه، فإن في ذكر الموت عظة لمن يتعظ وعبرة لمن يعتبر، وعلى المؤمن أن يتذكر أنه لاحق بهم عن قريب فيحتاط لدينه ما شاء .فلا تؤدي الغفلة إلى تحريف هذه السنّة الشريفة عما أريد منها من التخفيف عن أهل الميت والتكريم لهم، خلاف ذلك فيحبط بذلك الأجر وتزول البركة وتوجب الفرقة .والله العالم.)

وأود أن أشير هنا إلى أمور :

(الأول): أن الله - جَلّت آلاؤه - رؤوف بأهل المصيبة فقد حثّ على مواساتهم والتخفيف عن آلامهم، وذلك بتعزيتهم ومشاركتهم في مصابهم ثم بإعانتهم ماديًا بوجه محترم يحفظ لهم ماء وجههم، وذلك بصنع الطعام لهم، لأنهم قد شغلوا بمصابهم، ونهى عن الأكل عندهم خلافًا لعادة الجاهلية، كما ورد في الحديثين المتقدمين عن الإمام الصادق عليه السلام. والأخبار في ذلك كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام فلماذا يا ترى نخالفها ونحن شيعتهم وموالوهم؟

(الثاني): إن صنع الطعام بهذا الوجه وإقامة الولائم بهذه السعة أمر ممقوت شرعًا لما فيه من السرف والتبذير، قال تعالى: (**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**)(الأنعام:١٤١)وكذلك قوله تعالى:(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)(الإسراء:٢٧)، كما إن التوسع بالوجه المذكور قد يبتني على المباهاة والرياء وحب السمعة والظهور .قال النبي صلى الله عليه وآله : (وَمَنْ أطعَمَ طعامًا رياءً وسُمعةً أطعمَهُ اللّه مثلَهُ مِنْ صَديدِ جَهَنم ، وَجعلَ ذلكَ الطعَامَ نارًا في بَطنه حتى يَقضي اللّهُ بينَ الناسْ)[٧].

(الثالث): إن إنفاق النفقات الكثيرة من دون رغبة أهل المصيبة ولا رضًا منهم ثم تحميلهم تلك النفقات اعتداء عليهم ، وهو محرم شرعًا وغير إنساني عقلاً ، فبدلًا من إعانتهم والتخفيف عنهم في مصابهم تُضاعف المصيبة عليهم، ويقعون في إحراجات ومشاكل تزيد من آلامهم وتضيق الخناق عليهم.

(الرابع): إن الأمر قد تجاوز الأفراد وخرج عن اختيارهم فصار مشكلة مجتمع يصعب حلها والإفلات من قيودها، فاللازم على المجتمع التعاون بين أفراده لمعالجة الداء وسد باب الفساد بشجاعة وحزم وقوة تصميم، وذلك بالحث على ترك هذه العادة الضارة والتشجيع على نبذها ومدح من يقوم بذلك والثناء عليه والشكر له.

وتقع المسؤولية العظمى في ذلك على أهل النفوذ والمال والمقام الاجتماعي المرموق فإن قيامهم بذلك و تطبيقه على أنفسهم أشد تأثيرًا من قيام غيرهم، وإن اتهموا وسمعوا بعض اللذعات الظالمة والكلام غير المقبول من الجهلة والمفسدين وممن لا يصلح لتحمل المسؤولية، فذلك أمر قد يتعرض له المصلحون، إلا أنه لا ينبغي أن يعوقهم عن الإصلاح و تحمل المسؤولية إزاء دينهم ومجتمعهم طلبًا لمرضاة الله تعالى ورأفة بالناس ليفوزوا بعد ذلك بالأجر الجزيل والثناء الجميل والذكر الحسن والشكر الدائم .

ختامًا: نحن مأمورون بنبذ عادات الجاهلية وقد ثبت أنها عادة جاهلية ولاسيما ونحن مأمورون باتباع سنة النبي

ﷺ .قال تعالى: (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**)(الحشر:٧)

وقال تعالى :(**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) (المائدة: ٥٠)

من المؤسف حقًّا أن نتمسك بهذه العادة إلى اليوم ونترك ما سنه النبي ﷺ وجاهد أهل البيت عليهم السلام من أجله، والحب الصادق هو أن نتبعهم عليهم السلام بما يريدون ونقدم إرادتهم على رغباتنا لا العكس.

نسأله سبحانه و تعالى أن يوفق المؤمنين ويصلح أمورهم ويسدد خطاهم ،وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) جواهر الكلام ج٢٩ ص٥١

(٢) - الإنصاف ج٨ ص٣١٦

(٣) من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٨٢

(٤) الكافي ج٣ ص٢١٧

(٥) - من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٨٢ والمأتم كل مجتمع في حزن أو فرح او خاص بالنساء.

(٦)-المصدر نفسه ج٣ ص٢٣٧

(٧) ثواب الأعمال/الشيخ الصدوق ص٢٨٦

من أقوال الرسول الأعظم ﷺ الموجزة

- استنزلوا الرزق بالصدقة .
- ادفعوا البلاء بالدعاء .
- جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .
- ما نقص مال من صدقة .
- لا صدقة وذو رحم محتاج .
- الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان .
- عفو الملك أبقى للملك .
- هبة الرجل لزوجته تزيد في عفتها .
- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
- لا يشكر الله من لا يشكر الناس.
- الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف.
- حبك للشيء يعمي ويصم.

(من لا يحضره الفقيه – الشيخ الصدوق – ج ٤ – ص ٣٧٦ ٣٨١)

أجوبة مسابقة العدد (٥٥)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب.رجلان وامرأة

السـؤال الثاني: ج. أربعة

السـؤال الثالث: ب. ابن الأمير الصنعاني

السـؤال الرابع: ب. أصفهان

السؤال الخامس: ب. المغيرة بن نوفل

السؤال السادس: ب. الأبلة

السـؤال السابع: ب. أبو الطفيل الليثي

السـؤال الثامن: ب. طالقان

السـؤال التاسع: ب. غزوة الأبواء

الفائز بالجائزة الأولى:عادل جبار اسود / بابل حلة_ الماشطة

الفائز بالجائزة الثانية: زيد لطيف عبد الرحيم/ بابل _ حي الأساتذة

الفائز بالجائزة الثالثة: محمد رسوم سعيد/ بابل _حي نادر/ ٣

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٥٧)

١ لما جاءت فاطمة بنت أسد إلى البيت الحرام ضربها الطلق بالإمام علي عليه السلام، فدعت الله عز وجل فانفتح البيت ودخلت فيه، فمن الذي كان جالساً بإزاء البيت الحرام وروى هذا الخبر؟

أ ـ العباس بن عبد المطلب ب ـ يزيد بن قعنب

ج ـ سعيد بن جبير

٢ من الأدعية الرجبية، علمه الإمام الصادق عليه السلام لتلميذه المعلى بن خنيس، وقال عليه السلام عنه: «لقد جمع لك هذا الدعاء ما كان من لدن آدم الخليل إلى محمد صلى الله عليه وآله»، فما مطلع هذا الدعاء؟

أ ـ خاب الوافدون على غيرك

ب ـ يا من أرجوه لكل خير

ج ـ اللهم إني أسألك صبر الشاكرين

٣ عمار بن ياسر، صحابي جليل، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الإسلام، شهد الجمل مع الإمام علي عليه السلام، وصفين واستشهد فيها، فإذا كان أحد أوائل المسلمين فكم كان عددهم؟

أ ـ ٥ ب ـ ٦ ج ـ ٧

٤ **خلعنا نفوسنا قبل خلع نعالنا**
غداة حللنا مرقداً منك مأنوسا
وليس علينا من جناح بخلعها
لأنك بالواد المقدس يا موسى

بيتان قالهما الشاعر وهو متوجه إلى حضرة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، فمن هو ؟

أ ـ كاظم الأزري ب ـ صالح التميمي

ج ـ عبد الباقي أفندي العمري

كوبون المسابقة

ينابيع ٥٧

جواب السؤال الأول: أ ب ج

جواب السؤال الثاني: أ ب ج

جواب السؤال الثالث: أ ب ج

جواب السؤال الرابع: أ ب ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ذو الحجة/ ١٤٣٥هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ «**اللهم صل على محمد وآل محمد شجرة النبوة، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وأهل بيت الوحي**»
دعاء من أدعية شهر شعبان، مروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام، ففي أي الأوقات من الشهر كان عليه السلام يدعو به؟
أ ـ عند الزوال من كل يوم.
ب ـ في ليلة النصف من شعبان.
ج ـ في كليهما.

٦ محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني، من علمائنا الأعلام، كان واسع العلم، كثير العبادة، دائم الوضوء، ألف كتباً عديدة أهمها (مناقب آل أبي طالب) الذي يعتبر مصدراً من المصادر، متى وأين توفي؟
أ ـ ٥٨٥هـ/ مازندران. ب ـ ٥٨٨/ حلب.
ج ـ ٥٩٠/ بغداد.

٧ سليمان كتابي، كاتب حاذق مسيحي لبناني شارك في المسابقة الكبرى للتأليف في الإمام علي عليه السلام ففاز بأحد المراتب المتقدمة، فما اسم الكتاب الذي ألفه؟
أ ـ الإمام علي رائد العدالة الاجتماعية.
ب ـ الإمام علي من المهد إلى اللحد.
ج ـ الإمام علي نبراس ومتراس.

٨ مسجد قبا، أول المساجد التي أسست على التقوى، حث رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه على إتيانه وكذلك أصحابه في يوم محدد من الأسبوع، فأي الأيام كان؟
أ ـ السبت ب ـ الأحد ج ـ الاثنين

٩ واقعة عين الوردة، استشهد فيها سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، سنة ٦٥هـ حيث خرجوا يطلبون ثارات الحسين عليه السلام فقتلوا في تلك الواقعة، وعين الوردة اسم لمدينة، تطل على الفرات، ولها اسم آخر فما هو ذلك الاسم؟
أ ـ رأس العين ب ـ رأس النبع ج ـ تل الورد

دار الهلال

طباعة . نشر . توزيع

- كتب
- اقراص كومبيوترية
- اقراص DVD - VCD

النجف الأشرف ـ شارع الرسول ﷺ
Tel:332913-371797

www.Alhelal.org
INFO@ALHELAL.ORG

صوره نادره للشيخ عبد الحسين الاميني مؤالف كتاب (الغدير)حيث يتوسط ثلة من اعيان الهند عند زيارته مكتباتها